النور الأسنى فى شرح أسماء الله الحُسْنَى

هذا الكتاب

قال تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "

وعبادة الله مستحيلة على من لا يعرفه ، ولذلك كان أول ما فرضه الله على خلقه معرفته قال تعالى : "فاعلم أنه لا إله إلا الله " (محمد : 19)
وقال أبو القاسم الأصبهانى : " ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته واسم أبيه وجده وسأل عن صغير أمره وكبيره .
فالله الذى خلقنا ورزقنا ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها" ومن أجل ذلك فقد أصدرت هذا المؤلف المتواضع فى أسماء الله الحسنى راجيا أن يجعلنى الله سببا فى معرفته وحبه وعبادته لدى خلقه وقد قسمت الكتاب إلى اربعة أبواب رئيسية وهى كالتالى .

1- الباب الأول : فضائل الأسماء الحسنى
2- الباب الثانى : قواعد فى الأسماء الحسنى
3- الباب الثالث : أربعة تنبيهات هامة وهى
    1- إحصاء الأسماء الحسنى "معناه وأنواعه"
    2- الإلحاد فى الأسماء الحسنى "معناه وأنواعه"
    3- الدعاء بالأسماء الحسنى "معناه وأنواعه"
    4- النهى عن إطلاق الأسماء الخاصة بالله على خلقه
4- الباب الرابع : شرح الأسماء الحسنى من خلال عدة
    1- المعنى اللغوى للإسم
    2- المعنى الشرعى للإسم
    3- الدليل من القرآن أو صحيح السنة على ورود الإسم
    4- آثار الإيمان المترتبة على معرفة الإسم
    5- "ليس كمثله شئ" فى كل أسمائه وصفاته تبارك وتعالى.

وإقرأ فى هذا الجزء من هذه الأسماء " الرحمن – الرحيم – الملك – القدوس – الغنى – الوهاب – الأعلى – الشافى – الغفور – الودود – الواسع "

النور الأسنى فى شرح

أسماء الله الحُسْنَى

الجزء الأول

قدم له

فضيلة الشيخ **محمد حسان** و فضيلة الشيخ **محمود المصري**

كتبه

أمين بن الحسن الأنصاري

تقديم الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللَّه تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مُضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** } [آل عمران : 103] .

{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** } [النساء : 1] .

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** } [الأحزاب : 70، 71] .

أما بعد :

فإن الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة ، وتلك الشريعة تنظم شئون الحياة ولا يقبل اللّه من قومٍ شريعتهم حتى تصحّ عقيدتهم .

فالتوحيد ليس أمرًا ثانويًّا حتى نؤجله أو نؤخره ، بل هو الأساس الذي يقوم عليه الدين كله ، ومن أجل ذلك ظل النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على التوحيد ثلاث عشرة سنة في مكة .

وظل النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على التوحيد حتى آخر لحظة في حياته ؛ لأن قضية التوحيد هي التي من أجلها خلق الله السماوات والأرض وأرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار .

والتوحيد الذي تثبته كلمة التوحيد ينقسم إلى ثلاث أقسام وهي :

توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وهو موضوع تلك الرسالة المباركة .

وهذا الباب كم زلت فيه أقدام وكم ضلَّت فيه أفهام .

فتوحيد الأسماء والصفات : « هو إفراد اللَّه تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته بحيث يؤمن العبد بما أثبت اللّه لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على الوجه الذي أراد اللّه ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الوجه اللائق به من غير إثبات مثيل له ؛ لأن إثبات المثيل لله تعالى شرك به »[1] .

* قال الإمام الشنقيطي - رحمه اللَّه - في رسالته القيمة « الأسماء والصفات نقلًا وعقلًا » : اعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف . واعلموا أن مبحث آيات

---

[1] () المجموع الثمين (ص 16) .

الصـفات دل القـرآن العظيـم أنـه يـتركز علـى ثلاث أسس ، من جاء بها كلها فقـد وافـق الصـواب وكـان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي صـلى اللـه عليـه وسلم وأصحابه والسلف الصالح ، ومن أخـل بواحـدٍ من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل .

وكـل هـذه الأسـس الثلاثـة يـدل عليهـا القـرآن العظيم .

الأول : تنزيه اللَّه جـل وعلا أن يُشـبه شـيء مـن صفاته شيئًا مـن صـفات المخلـوقين ، وهـذا الأصـلُ يدل عليه قـوله تعـالى : { **لَيْـسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ** } [الشورى : 11] ، { **لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** } [الإخلاص : 4] ، { **فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ** } [النمل : 74] .

الثاني من هذه الأسس : هو الإيمـان بمـا وصـف اللَّهِ به نفسه ؛ لأنه لا يصف اللَّه أعلمُ باللَّه من اللَّه : { **أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** } [البقرة : 140] .

والإيمان بما وصـفه بـه رسـوله صـلى اللـه عليـه وسلم لأنـه لا يصـف اللَّه بعـد اللَّـه أعلـم بـاللَّه مـن رسول الله الذي قال اللَّه في حقـه : { **وَمَـا يَنْطِـقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** } [النجـم : 3 - 4] .

الثالث من هذه الأسس : قطع الطمع عن إدراك كيفيـة ذات اللَّـه عـز وجـل : { **وَلاَ يُحِيطُـونَ بِـهِ عِلْمًا** } [طه : 110] .

وها نحن نتعايش بقلوبنا من خلال تلـك السـطور مع تلـك الرسـالة الرقيقـة للأخ الحـبيب / أميـن بـن الحسن الأنصاري ، حفظه اللَّه ، حيـث يأخـذ بقلوبنـا لتلك الواحة الغنَّاء التي حـوت مـن الأزهـار أجملهـا ، ومن الرياحين أطيبها ، ومن المياه أعذبها ، لنتعـرف على شرحٍ ممتعٍ لأسماء اللَّه الحسنى .

فأسألُ اللَّه عز وجل أن ينفع بتلـك الرسـالة كمـا نفع بأصولها ، وأن يجـزي مؤلفهـا خيـر الجـزاء ، وأن يرزقنا التوحيد الخالص ، وأن يحشرنا يوم القيامة مع

سيد الموحدين محمـد بـن عبـد اللَّـه - عليـه أفضـل الصلاة والتسليم .

وصلى اللَّه على نبينـا محمـد وعلـى آلـه وصـحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري (أبو عمار)

مقدمة فضيلة الشيخ / محمد حسان

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم وبعد .

فإنه لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بتحقيـق التوحيـد ... الذي من أجلـه خلـق اللـه الأرض والسـماوات .. وهو محض حق الله على جميع المخلوقات .. ولأجله بعث الله الرسل وجاءت جميع الرسالات .

وبه انقسم الناس إلـى شـقي وسـعيد .. وقريـب وبعيد .. ومقبول وطريـد .. وبـه انفصـلت دار الكفـر عن دار الإيمان ، وتميزت دار النعيم من دار الجحيـم !!

وذلـك لأن التوحيـد هـو أصـل الـدين وأساسـه .. ورأس أمره .. وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعـة عنـه متشـعبة منـه مكملات لـه .. فهـو ديـن شـامل ومنهج حياة متكامل !!

ومـن أعظـم وأجـل وأشـرف أبـوابه بـاب توحيـد الأسماء والصفات ، وهو إفراد الله جل جلاله بأسماء الجلال وصفات الكمال ، والإيمان بها كما جاءت فـي القرآن والسنة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيـل لأنه جل وعلا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ثم التعبد بها وبمقتضياتها للملك القدير .

وهذا الباب من أشرف وأجل أبواب التوحيـد لأنـه يتعلق بذات الله جل وعلا ومعرفة أسـمائه الحسـنى وصفتاته العلا معرفة صحيحة صادقة تدحض الشرك والتعطيـل والتشـبيه والتمثيـل والإلحـاد والتأويـل امتثـالاً عملياً لقـول الـرب القـدير " وللـه الأسـماء الحسـنى فـادعوه بهـا وذروا الـذين يلحـدون فـي أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون " .

والحق أقول : كم ضلت فـي هـذا البـاب أفهـام ! وكم زلت فيه أقلام وأقدام! والموفق من وفقه الله تعـالى للفهـم عـن اللـه ورسـوله صـلى اللـه عليـه وسلم.

إذ أن سوء الفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام قديماً وحديثاً وما وقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والروافض وسائر طوائف أهل البدع في القديم والحديث ما وقعوا فيما وقعوا إلا بسوء الفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

لذا نرى الإمام البخاري يترجم في صحيحه في كتاب العلم بابا بعنوان :" باب الفهم في العلم " وفي الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " .

ولقد وفق الله أخانا الحبيب الشيخ / أمين – حفظه الله فقدم لنا هذا البستان الماتع في هذا الباب الجليل بعد مقدمة في غاية الأهمية في الأبواب الثلاثة الأولى بأسلوب جميل سهل ثم شرح الأسماء الحسنى بمنهاجية جمعت بين التأصيل العلمي والأسلوب المنهجي والبيان الرقراق الوعظي ، فبدأ بالتأصيل اللغوي والشرعي للاسم ، ثم بالأدلة الشرعية ثم بالآثار الإيمانية لهذا الاسم الكريم فجزاه الله خير الجزاء .

وأسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنه صالح الأعمال وأن يقر أعيننا جميعاً بعودة الأمة إلى التوحيد الخالص بشموله وكماله وأن يرزقنا وإياه الإخلاص في القول والعمل وألا يجعل حظنا من ديننا قولنا وأن يحسن نياتنا وأعمالنا وأن يختم لنا وله ولجميع المسلمين بخاتمة الموحدين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن.

وكتبه / أبو أحمد

محمد حسان – القاهرة / شوال / 1423هـ

المقدمة

بسم اللَّه ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

نحمد الله ، ونستعينه ونستغفره ، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده اللَّهُ فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ... وبعد :

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** } [آل عمران : 103] .

{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** } [النساء : 1] .

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** } [الأحزاب : 70، 71] .

ثم أما بعد ، فإن أصدق الحديث كلام اللَّه ، وخير الهدي هدي محمد (عليه الصلاة والسلام) ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ... وبعد :

أيها الأحبة في اللَّه ، إني والله لسعيد بلقائكم من خلال هذه السلسلة الطيبة « سلسلة أسماء اللَّه الحسنى » ، والتي أسميتها « **النور الأسنى في شرح أسماء اللَّه الحسنى** » ، والتي نحاول أن نقترب من خلالها من أسماء الله الحسنى بشيء من الشرح لمعانيها الجميلة ، وفوائدها الجليلة ، فكل اسم فيها كالكوكب الساطع ، والنجم اللامع ، تهدي الحائرين ، وتضيء الطريق للسائرين إلى رب العالمين .

كالبدر حيث التفتَّ يهدي إلى عينيك

كالشـمس فـي كبـد يغشـى البلادَ

وقد سبقني في التأليف في أسماء اللَّه الحسنى عددٌ من أكابر العلماء الأجلاء، وقد أبلوْا فيها بلاءً حسنًا ، « نسأل اللّه عز وجل أن يرحمهم رحمة واسعة ، وأن يجزيهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرًا » ، وقد اختلفت اتجاهاتُ هؤلاء العلماء في تناول الأسماء الحسنى ، فمنهم من اهتم ببيان الأسماء الحسنى وجمعها من آيات القرآن والأحاديث الصحيحة وبيان الطرق الضعيفة في الحديث والتحذير منها ، ومنهم من كان شغله الشاغل شرح وتوضيح القواعد التي لا تُعْلَم الأسماء الحسنى إلا من خلالها ، واتجه فريقٌ آخر إلى كشف عقائد الفِرَق التي ضلّت بسوء اعتقادهم في أسماء اللّه الحسنى وصفاته العُلى لجهلٍ منهم ، أو لهوى في نفوسهم ، فمن تلك الفرق من وقع في التأويل ، ومنهم من انزلق في التعطيل ، وآخرون ذهبوا إلى التكييف والتشبيه ، فتَصَدى لهم علماء الأمَّة المخلصون ، فَبَيَنُوا ضلالَهم ، وفنَّدوا أباطيلهم ، وأوضحوا أخطائهم ، وحذروا عامة الأمة منهم ، وجاهدوهم بالحجة الواضحة ، والأدلة الصريحة من الكتاب والسنة الصحيحة ، وأما البعض الآخر فقد رأى أن الطريقة المُثْلَى لتقريب الناس إلى ربهم هي تعريفهم بأسماءِ اللّهِ الحُسنى وصفاته العُلى ببيان معانيها وشرحها ، وما يترتب على ذلك من إيمانٍ صحيحٍ وعملٍ صالح .

وقد أحسن كلٌ من هؤلاءِ العلماء في مجاله ، شريطة اتباعه لكتاب اللّه وسنة رسوله وبفهم السلف الصالح من هذه الأمة من أصحاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ومن تبعهم بإحسان ممن شُهد لهم بالثقة والعدالة واجْتَنَبُوا البدعة والضلالة ، فقد قال النبي (عليه الصلاة والسلام) :

« **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تَمسَّكُوا بها ، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** »[1].

وقال ابن مسعود (رضي اللَّه عنه): (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم)[2].

وقال عمر بن عبد العزيز (رضي اللَّه عنه) : (قف حيث وقف القوم ، فإنهم عن علم وَقَفُوا ، وبِبصرٍ نافذٍ كَفُّوا ، وهم على كَشْفِها كانوا أقوى ، وبالفضلِ لو كان فيها كانوا أحْرَى ، فلأن قلتم : حَدَثَ بعدهم ، فما أحْدَثَه إلا من خالف هدْيَهم ، ورَغِبَ عن سنتهم ، ولقد وصَفُوا منه ما يَشْفِي ، وتكلَّموا منه بما يكْفِي ، فما فوقهم مُحسِّر ، وما دونَهُم مُقصِّر ، لقد قصَّر عنهم قومٌ فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم)[3].

وقد حاولت في هذا المؤلَّف المتواضع أن أجمع للقارئ المسلم أكبر فائدة ممكنة ، مستفيدًا ممن سبقني من العلماء[4] ، راجيًا عموم النفع للمسلمين ، مُقتصرًا على الصحيح من الأدلة من كتاب اللَّه وسنة رسوله (عليه الصلاة والسلام)

---

1 () أخرجه أحمد 4/126، 127، وأبو داود (4607) ، والترمذي (2676) من حديث العرباض بن سارية ، رضي اللَّه عنه ، وصححه البزار والترمذي والحاكم ، وابن عبد البر وغيرهم ، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ، الحديث (28) .

2 () أخرجه أحمد في الزهد ص 162، والدارمي 1/69، والطبراني في المعجم الكبير (8770) ، والبيهقي في الشعب (2216) .

3 () أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص 296، وأبو نعيم في الحلية 5/338، 339 .

4 () من هؤلاء العلماء (ابن قدامة المقدسي في كتابه لمعة الاعتقاد) ، ومن العلماء المعاصرين فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه اللَّه ، فقد استفدتُ من كتابه « القواعد المثلى » استفادة كبيرة ، فجزاه اللَّهُ وعلماء الأمة العارفين عنا وعن الإسلام خيرًا .

على قدر الاستطاعة[1] ؛ إذ عَهدتُ إلى بعض الثقات من أهل الحديث تحقيق أحاديث الكتاب ، ولكن لظروفهم وضيق الوقت فقد أُجِّل بعضها إلى طبعة قادمة إن شاء اللَّه .

وقد ذكرت سند الحديث وتخريجه كما جاء في المصدر الذي نقلته منه ، وربما لم أذكر المصدر نفسه كما حدث في كتاب صحيح الأحاديث القدسية فقد نقلت منه أكثر الأحاديث القدسية ، ونقلت سند المؤلف من غير عزوها إليه في مصدره .

وصدَّرت هذا الكتاب بدراسة بعض فضائل الأسماء الحُسنى وبعض القواعد الهامة في معرفتها ، ثم شرعت في تناول كل اسم من الأسماء الحسنى ببعض الشرح لمعانيه وآثار الإيمان به، ضارعًا إلى اللَّه تبارك وتعالى أن يرزقني وإياكم معرفته وحبه، وأن يجعلنا سببًا في ذلك للناس أجمعين .

كما أرجو من إخواني النصح في اللَّه عز وجل ، فمن وجد خيرًا في هذا المُؤَّلف المتواضع فليدعُ اللَّهَ لكل من ساهم فيه من تأليف وكتابة أو نصيحة وإرشاد بالمغفرة والسَّدَاد ، وأن يعطيه لغيره لتعمَّ به الفائدة إن شاء الله ، ومن وجد تقصيرًا وخللًا فليبادر بالنصح حتى نصلحه إن شاء اللَّه ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **الدين النصيحة** » . قالوا : لمن ؟ قال : « **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** »[2] . وقال عمر رضي الله عنه : « رحم اللَّه امرءًا أهدى إليَّ عيوبي » . والكمال لله وحده .

وقد قسَّمتُ الكتاب عدة أجزاء ، وهذا هو الجزءُ

---

[1] () فقد فُقِد منِّي هذا الكتاب عدة مرات بالضياع وغيره ، لذلك فقد استجبت لنصيحة إخواني بالتعجل في طبعه وإخراجه ، وما كان من قصور فسنحاول إصلاحه في الطبعات القادمة - إن شاء اللَّه .

[2] () رواه مسلم عن تميم بن أوس الدار رضي الله عنه .

الأول منه ، وقد قسَّمته كذلك إلى أربعة أبواب رئيسية ، وهي كالتالي :

« **الباب الأول** » : من فضائل الأسماء الحسنى .

« **الباب الثاني** » : قواعد في الأسماء الحسنى .

« **الباب الثالث** » : أربعة تنبيهات هامة : وهي :

1- الإحصاء للأسماء الحسنى (معناه وأنواعه) .

2- الدعاء بالأسماء الحسنى (معناه وأنواعه) .

3- الإلحاد في الأسماء الحسنى (معناه وأنواعه) .

4- النهي عن التسمي بأسماء الله الخاصة به وتغيير الاسم من أجل ذلك .

« **الباب الرابع** » : شرح الأسماء الحسنى : وذلك في خمس خطوات :

الأولى : المعنى اللغوى للاسم .

الثانية : الدليل الشرعى للاسم .

الثالثة : المعنى الشرعى للاسم .

الرابعة : آثار الإيمان بالاسم .

الخامسة : { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** } .

وإن كان من توفيق فمن الله وحده ، وإن كان من تقصيرٍ فمن نفسي ومن الشيطان ، ونسأل الله (عز وجل) أن يهدينا إلى سواء السبيل ، وأن يرزقنا حبه وحب من يحبه وحب عملٍ يقربنا إلى حبه ، وأن يلهمنا فعل الخيرات وترك المنكرات ، وحب المساكين ، فإنه ولي ذلك والقادر عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . والحمد لله رب العالمين .

وكتبه / الفقير إلى اللَّه

أمين بن الحسن الأنصاري
القاهرة : في شوال 1423هـ
ت : 4010543

* * *

الباب الأول
« من فضائل الأسماء الحسنى »

أيها الأحبة في اللَّـه : أسـماء اللـه الحسـنى كلها خير ، بل كـل الخيـر ليـس إلا ثمـرة لهـا ، وكـل الفضل ليس إلا زهرة من شجرتها .

يـــا مُنْبِـــتَ الأزهـــارِ هـذا الشـذا الفـواحُ
يـا مُجْـرِيَ الأنهـارِ مـا انفعْالة قَطْرةٍ لِنداكا

فتعالوا بنا أيها الأحبة ولتمشي أقدامُ المحبةِ على أرضِ الاشتياق إلى جنة أسماء ربنـا تبـارك وتعـالى ، ولندخل بسـاتينها النضـرة ، ولنقطـف مـن فضـائلها زهرة ، ولنرتشف من عسلها قطرة .

- أولاً : « الأسماء الحسـنى مـن أعظـم أسـباب دخول الجنة » :

لمـن عرفهـا وآمـن بهـا وأدَّى حقَّهـا . فعـن أبـي هريرة « رضي اللَّه عنه » قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: « **لله تسعةٌ وتسعون اسمًا مائـة إلاَّ واحـدة لا يحفظهـا أحـدٌ إلا دخـل الجنـة** » وفـي روايـة : « **مـن أحصـاها دخـل الجنة** »[1] .

ثانيًا : الأسماء الحسنى تعرِّفك باللَّه عزَّ وجلَّ :

عن أبي بن كعب رضي اللَّـه عنـه أن المشـركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، انسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى : { **قُلْ هُـوَ اللَّـهُ أَحَـدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَـهُ كُفُـوًا أَحَدٌ** }[2] .

ثالثًا : معرفة الأسماء الحسنى أصل عبادة اللـه تبارك وتعالى :

قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني في بيان أهمية معرفة الأسماء الحُسنى : قال بعـض العلمـاء : أول فرض فرضه اللهُ علـى خلقـه معرفتـه ، فـإذا عرَفـه الناس عبدوه ، وقال تعـالى : { **فَـاعْلَمْ أَنَّـهُ لاَ إِلَـهَ**

---

[1] () أخرجه البخاري (2736، 6410) ، ومسلم (2677) ، وانظر معنى الإحصاء في باب (ما هو معنى الإحصاء في الأبواب التالية ص) .

[2] () رواه أحمد .

إِلاَّ اللَّهُ } [محمد : 19] . فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها ، فيعظموا اللَّه حقَّ عظمته .

قال : ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يُزَوِّجه أو يُعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته ، واسم أبيه وجدِّه ، وسأل عن صغير أمره وكبيره ، فاللَّه الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطته أولى أن نعرف أسماءه ، ونعرف تفسيرها[1] . اهـ .

فمثلًا : فمن عرف أنه حييٌّ كريم قوي فيه رجاؤه وازداد فيه طمعه ، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « **إن ربكم تبارك وتعالى حَييٌّ كريم يستحي مِن عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صفرًا** »[2] .

رابعًا : الأسماء الحسنى أعظم الأسباب لإجابة الدعاء :

قال تعالى : { **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** } [الأعراف : 180] .

فدعاء الله بأسمائه الحسنى هو أعظم أسباب إجابة الدعوة وكشف البلوة ، فإنه يرحم ؛ لأنه الرحمن ، الرحيم ، ويغفر ؛ لأنه الغفور ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل اللَّه بأسمائه الحُسنى ويتوسل إليه بها ، فكان يقول : « **أسألك بكل اسم هو لك ، سمَّيت به نفسك ، أو علَّمته أحدًا من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ؛ أن تجعل القرآن ربيع قلبي ...** »[3] .

---

[1] () الحجة في المحجة (ق 13 أ) .

[2] () حديث صحيح . أخرجه أبو داود (2/1488) ، ومن طريقه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص90) ، والترمذي (5/3556)، وابن ماجه (3865) ، وصححه ابن حبان (3400) ، والحاكم (1/497) ، والخطيب في تاريخه (3/235- 236) من طريق جعفر بن ميمون عن أبي عثمان النهدي عن سلمان مرفوعًا به ، قال الذهبي في « العلو » (ص 52) : هذا حديث مشهور ، وحسنه الحافظ في « الفتح » (11/143) .

[3] () أخرجه أحمد 1/391، 452، وابن حبان (972) من حديث ابن

وقد دخل رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم المسجد ، فسمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت اللَّه لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد الذي لم يَلد ولم يُولد ولم يكن له كفوًا أحد . فقال : « **لقد سألت اللَّه بالاسم الذي إذا سُئِل به أعطى ، وإذا دُعي به أجاب** » . وفي رواية فقال : « **والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب ، وإذا سُئِل به أعطى** » . وفي رواية لأحمد : أنه سمع رجلاً يقول بعد التشهد : اللهم إني أسألك يا اللَّه الأحد الصمد ، الذي لم يَلد ولم يُولد ولم يكن له كفوًا أحد أن تغفر لي ذنوبي ، إنك أنت الغفور الرحيم . فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **قد غُفِرَ له ، قد غُفِرَ له** » ثلاثًا[1] .

خامسًا : إن اللَّه يحب من أحب أسماءَه الحسنى :

عن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سَريَّة ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم بـ { **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** } ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟** » فسألوه ، فقال : « لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **أخبروه أن الله يحبه** »[2] .

مسعود ، رضي اللَّه عنه .
وقال الدارقطني : إسناده ليس بالقوي . وقد صححه ابن حبان وابن القيم وغيرهما . وانظر فتح الباري 11/220، والسلسلة الصحيحة (199) .

[1] () أخرجه أحمد 4/338، 5/349، 350 ، وأبو داود (985، 1493) ، والترمذي (3475) ، وابن حبان (891، 892) ، والحاكم 1/267، 504 من حديث بريدة بن الحصيب ومحجن بن الأدرع ، رضي الله عنهما . وانظر الترغيب والترهيب 2/485، وصحيح سنن أبي داود (869، 1324) .

[2] () أخرجه البخاري (7375) ، ومسلم (813) .

وفـي حـديث آخـر ، قـال الرجـل : إنـي أحبهـا . فقال : « **حُبُّك إياها أدخلك الجنة** »[1] .

سادسًـا: دعـاء اللَّـه بأسـمائه الحسـنى أعظـم أسباب تفريج الكروب وزوال الهموم:

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه عـن رسـول اللَّـه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **ما أصاب أحدًا قـط هـمٌ ولا حـزنٌ ، فقـال : اللهـمَّ إنـي عبـدك ، ابـن عبـدك ، ابـن أمتـك ، ناصـيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكُمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤُك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميَّت به نفسـك ، أو علّمتـه أحـدًا مـن خلقِـك ، أو أنزلتـه فـي كتابـك ، أو اسـتأثرت بـه فـي علـم الغيـبِ عنـدك ، أن تجعـل القـرآن العظيـم ربيـع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهـاب همـي ، إلا أذهـب اللَّـه همَّـه وحزنـه وأبـدل مكـانه فرحًـا** » . فقيـل : يـا رسـول اللَّـه ، أفلا نتعلمها ؟ فقال : « **بلى ينبغي لكل مـن سـمعها أن يتعلمها** »[2] .

وعن ابن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا قـال : كـان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول : لا إلـه إلا اللَّـه العظيـمُ الحليـمُ ، لا إلـه إلا اللـه ربُّ السماواتِ والأرضِ ورب العَرشِ العظيم[3] .

وفي رواية للنسَائي وصححه الحـاكم عـن علـي: لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل كرب أو شدة أن أقولها .

سابعًا : الأسماء الحسنى أصل كل شيء :

قـال تعـالى : { **هُـوَ الأَوَّلُ وَالآخِـرُ وَالظَّـاهِرُ وَالْبَاطِنُ** } [الحديد : 3] .

---

[1] () أخرجه البخاري (774- تعليقًا) ، ووصله الترمذي (2901) ، من حديث أنس ، رضي الله عنه ، وانظر فتح الباري 2/257، 258، وصحيح جامع الترمذي (2323) .

[2] () تقدم في ص 6 .

[3] () رواه البخاري (11/145) مع الفتح .

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **اللهم أنت الأول ، فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ...** »[1] .

فإن اللَّه هو الأول فلم يسبقه شيءٌ ، وكل شيء دونه إنما هو من خلقه ومن ثمرة أفعاله ومن آثار أسمائه وصفاته .

قال ابن القيم رحمه اللَّه : وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده ، فوجود من سواه تابع لوجوده ، تبع المفعول المخلوق لخالقه ، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه ، فالعلم بأسمائه تبارك وتعالى وإحصاؤها أصل لسائر العلوم ، فمن أحصى أسماءَه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم ؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم ؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها[2] . ومن أمثلة ذلك :

الأصل في الخلق أن اللَّه هو[3] « **الخالق** » ، فلا يوجد خلقٌ غير خلقه ، ولا يوجد خالق سواه . قال تعالى : { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } [الرعد : 16] .

والأصل في الرزق أن اللَّه هو الرزَّاق . قال تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** } [الذاريات : 58] . فهو الرزَّاق ولا رازق سواه ، وكل رزق إنما هو رازقه ، وما من عطاءٍ إلا وهو الذي أعطاه ، قال تعالى على لسان نبيه موسى : { **رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** } [طه : 50] .

والأصل في الرحمة أن اللَّه تبارك وتعالى هو الرحمن والرحيم ، فكل رحمة مشتقة من رحمته ، فها هي الرحم قد اشْتق اسمها من اسمه الرحمن ، قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم

---

1 () أخرجه مسلم (2713) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .
2 () أخرجه مسلم (2713) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .
3 () انظر كتاب ابن القيم « بدائع الفوائد » (1/163) .

فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « **أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسمًا من اسمي ...** »[1] .

إخوتاه : كل ما نراه من رحمات بين الخلائق ليست إلا آثار رحمة واحدة لرب الأرض والسماوات ؛ اللَّه الرحمن الرحيم تبارك وتعالى . قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّه خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة** » - وفي حديث آخر : « **كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض - فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمةً واحدة** » . وفي رواية : « **إن للَّه مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحشُ على ولدها -** وفي رواية : **حتى ترفع الدابَّةُ حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ، وأخَّر اللَّهُ تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة** »[2] .

فكل رحمة مهما عظُمت إنما هي من اللَّه على الحقيقة ، فأعظم الناس رحمة بالناس هو رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ، قد وصفه اللَّه بقوله : { **بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** } [التوبة : 128] ، فما هذه الرحمة العظيمة والأخلاق الكريمة إلا نسيم من رحمة اللَّه عز وجل . قال تعالى : { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** } [الأنبياء : 107] . وقال تعالى :

---

[1] () أخرجه أحمد 1/191، 194، 2/491، وأبو داود (1694) من حديث أبي هريرة ، وعبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنهما . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (1486)، وانظر صحيح البخاري مع الفتح 10/418 (5988) .

[2] () أخرجه البخاري (6469) ، ومسلم (2752، 2753) من حديث أبي هريرة وسلمان ، رضي الله عنهما .

{ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ** } [آل عمران : 159] .

إخـوتـاه :

كـل الرحمـات مـن اللَّـه ، فلا يرسـلها غيـره ولا يمسكها سواه . قال تعالى : { **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ** } [فـاطر : 12] . فإذا لم يرحـم اللَّـه فمـن إذًا الذي يرحم !!

مددت يدي إليك ربـي فـإذا رددت فمـن ذا

والأصل في المغفرة أن اللَّه هو الغفـار ، والغفور ، قال تعالى : { **وَمَنْ يَغْفِـرُ الـذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ** } [آل عمران : 135] .

وكل عفوٍ ومغفـرة إنمـا يكـون مـن مغفـرة اللَّـه وعفــوه ، وهــو الــذي علَّــم عبــاده كيــف يعفــون ويغفرون .

قال تعالى: { **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّـونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** } [النور : 22].

ثامنًا: معرفة اللَّه بأسـمائه وصـفاته هـي أصـل خشيته تبارك وتعالى:

إن العلم بأسماء الله جل ثناؤه وصـفاته ومعرفـة معانيها يُحْدِثُ خشية ورهبة في قلـب العبـد ، **فمن كان بالله أعرف فهو منه أخوف ، ومـن كـان به أعلم كان على شريعته أقوم ،** قال تعـالى : { **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** } [فاطر : 28] .

قال ابن جرير الطـبري فـي تفسـير الآيـة : إنمـا يخاف اللَّهَ فيتقي عقابه بطاعته العلماءُ بقدرته على ما يشاء من شيء وأنه يفعل ما يريد[1] .

وقال ابن مسعود رضي اللَّـه عنـه : ليـس العلـم عن كثرة الرواية ، ولكن العلـم الخشـية[2] ، { **إِنَّمَـا**

---

1 () جامع البيان في تفسير القرآن (22/87) .

2 () أخرجه أحمد في الزهد ص 158، والطبراني في الكبير (8534) . وانظر الحلية 1/131، 6/370، ومجمع الزوائد 10/235 .

يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر : 28] .

ولذلك فقد كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم أشد الناس خشية للَّه تبارك وتعالى ؛ لأنه كان أعلم الناس بـه ، فقـد قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم : « **أنا أعلمكم باللَّه وأشدكم له خشية** »[1] . وفي حديث آخر قال صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **إن أتقاكم وأعلمكم باللَّه أنا** »[2] .

فمعرفة الله عز وجـل أسـاس تعظيمـه وخشـيته وأعظم أسباب البعد عمَّـا يغضـبه .فقـد قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **إن اللَّـه أذن لـي أن أحـدث عـن ديـك قـد مرقـت رجلاه الأرض وعنقـه مثنيـة تحـت العـرش وهـو يقـول : سبحانك مـا أعظمـك ربَّنـا ، فيُـرد عليـه : لا يعلم ذلك من حلف بي كاذبًا** »[3] . أي : لـو عَلِـمَ الحالفُ بـاللَّه كـذبًا عظمـة اللَّـه جـل جلالـه لخَشِـيَه واتقاه وما اجترأ على هذا الفعل وأمثاله .

تاسعًا : من عرف الأسماء الحسنى كمـا ينبغـي فقد عرف كلَّ شيءٍ :

أيها الأحبة في اللَّه ، إن أسماء اللَّه الحسنى كلها حُسن وبركة ، ومن حُسنها أنهـا تعرفـك بكـل شـيء علـى حقيقتـه مـن غيـر إفـراطٍ ولا تفريـط . فمـن **عرف أن اللَّه عزَّ وجلَّ هو الخـالق ،** عـرف أن كل ما دونه مخلوق ، قال تعالى : { **اللَّهُ خَالِقُ كُـلِّ شَيْءٍ** } [الرعد : 16] .

---

[1] () أخرجه البخاري (1601) ، ومسلم (2356) ، وابن عبد البر في التمهيد 5/119، 120 من حديث عائشة رضي الله عنها .

[2] () أخرجه البخاري (20) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وانظر الفتح 1/70 - 72 .

[3] () أخرجه الطبراني في الأوسط (7324) ، وأبو الشيخ في العظمة (526) ، والحاكم 4/297، من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، وصححه الحاكم . وانظر المنار المنيف ص 55 ، 56، والسلسلة الصحيحة (150) .

ومن عرف أن اللَّه عز وجل هـو الـرزاق علـم أن كل ما دونه مرزوق ، قال تعالى : { **وَمَـا مِـنْ دَابَّـةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** } [هود : 6] ، وكذلك يعلم أنه لا يملك الرزق سواه ، قال تعالى : { **وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّـمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَـهٌ مَـعَ اللَّـهِ** } [النمل : 64] .

ومـن عـرف أن اللَّـه تبـارك وتعـالى هـو الملك ، عرف أن كل ما دونه مملوك ، قال تعالى : { **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُـقُ مَا يَشَاءُ** } [المائدة : 17] .

ولذلك قيل : مَن عرف ربه فقد عرف نفسه .

فمـن عـرف ربـه بـالغِنى ، عـرف نفسـه بـالفقر . قـال تعـالى : { **يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ أَنْتُـمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** } [فـاطر : 15] .

ومـن عـرف ربـه بالبقـاء عـرف نفسـه بالفناء . قـال تعـالى : { **كُـلُّ مَـنْ عَلَيْهَـا فَـانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** } [الرحمن : 26، 27] .

ومـن عـرف اللَّـه بـالعلم ، عـرف نفسـه بالجهل ، قـال تعـالى : { **وَاللَّـهُ يَعْلَـمُ وَأَنْتُـمْ لاَ تَعْلَمُونَ** } [البقرة : 216] .

وحين ركب الخضـر مـع موسـى عليهمـا السـلام السفينة ، نظر إلى عصفور قد نقر فـي البحـر نقـرة أو نقرتيــن ، فقــال الخضــر لموســى « عليهمــا السلام » : « **ما علمي وعلمك من علم اللَّــه إلا مثل ما نقص هذا العصفور مـن هـذا البحـر** »[1] .

فمـن عـرف اللَّـه عـزَّ وجـلَّ بأسـمائه الحسـنى وصــفاته العُلــى ، علــم أنــه بالكمــال موصــوف ،

---

[1] () أخرجه البخاري (7425- 4727) ، ومسلم (2380) ، من حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما .

وبالإحسان والجمال والجلال معروف ، وعرف أيضًا نفسه بكل نقص وعيب ، إلا أن يرزقه الله عز وجل كمال الإيمان وصالح الأعمال فيورث له ذلك عبودية صادقة بالانكسار بين يدي الجبار تبارك وتعالى ، فيذل لعزته ويخضع لقوته .

وهذا هو دأب الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، فها هو رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يتعبد لربه بذلك فيقول : « **اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ...** »[1] .

فلما عرف أن اللَّه هو ربه وإلهه وخالقه ، عرف نفسه بعبوديته له ، فقال: « وأنا عبدك ... » . وقال أيضًا في دعاء الاستخارة : « **فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ...** » .

عاشرًا : حسن الظن[2] باللَّه عز وجل :

ويُعد حسن الظن باللَّه تعالى ثمرة للفضيلة السابقة . فمن عرف غِنى الله وفقر خلقه ، وقدرة اللَّه وعجز خلقه ، وقوة اللَّه وضعف خلقه ، عرف مقدار افتقار الخلق لغنى الله ، وضعفهم لقوته ، وتواضعهم لعظمته ، وذلتهم لعزته ، تبارك وتعالى .

فإذا تبين له ذلك على الحقيقة حال إذن يُعظِّم اللَّهَ وحده ويخافه ويصبح عبدًا له وحده ، فمن دخل قلبه اليقين على قدرة اللَّه ، خرج منه اليقين على قدرة الخلق ، ومن خشي اللَّه تبارك وتعالى خرجت من قلبه خشية مَنْ سواه ، فورث له ذلك حسنَ ظنه باللَّه عز وجل واعتصام به دون سواه وتوكل عليه دون غيره وسلم له في كل أمره ، وهذا بعينه

---

1 () أخرجه البخاري (6323) من حديث شداد بن أوس ، رضي الله عنه .

2 () حسن الظن بالله عز وجل ثمرة لمعرفته ؛ إذ كيف يحسن الظن بربه من لم يعرف أنه الكريم وأنه هو البر الرحيم ، وكيف يحسن الظن بوعده إن لم يعرف أنه صادق الوعد ونجز العهد .

ما حدث لرسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه في الغار حين أحاط بهم المشركون ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لو نظر أحدهم أسفل قدميه لرآنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **ما ظنك باثنين اللَّه ثالثهما** »[1] .

الحادية عشرة : لا يضر مع اسم اللَّه شيء :

ومن فضائل أسماء اللَّه الحُسنى أنها يُستجلب بها الخير ويستدفع بها الشر. فاسم اللَّه يدفع[2] الضرر ويرفعه[3].

فعن عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه (عليه الصلاة والسلام) يقول : « **ما من عبدٍ يقول في صباح كل يوم ، ومساء كل ليلة : بسم اللَّه الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات فيضره شيء** »[4] .

الثانية عشرة : الأسماء الحسنى وأثرها في الحلال والحرام :

ولم تقتصر فضائل الأسماء الحسنى وبركتها على حياة القلوب وتفريج الكروب ، بل وكذلك كان لها أعظم الأثر في الفقه ، فترى أن ذكر اسم اللَّه على شيء قد يفرق بين الحلال والحرام . فأحلّ اللَّهُ عز وجل الذبيحة التي ذُكِر اسمُه عليها ، بل وأمر بالأكل منها . قال تعالى : { **فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ** } [الأنعام : 118] . وعاتب من لا يأكل مما ذكر اسم اللَّه عليه ، قال تعالى : { **وَمَا لَكُمْ أَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ**

---

1 () أخرجه البخاري (3653) ، ومسلم (2381) .

2 () يدفع الضرر : أي يطرده ويمنعه .

3 () ويرفعه : أي يزيله بعد نزوله .

4 () أخرجه الطيالسي (79) ، وأحمد 1/63، 66، وأبو داود (5088) ، والترمذي (3388) ، وابن ماجه (3869) ، وغيرهم ، وقال الترمذي : سند صحيح غريب . وصححه الحاكم ، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (3120) .

اللَّهِ عَلَيْهِ } [الأنعام : 119] .

وعن عدي بن حاتم قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم قلت : أُرسِلُ كلابي المعلمة ؟ قال : « **إذا أرسلتَ كلابَك المعلمةَ وذكرتَ اسم اللَّه فأمسكن فكُل** »[1] .

وقد نهى عن أكل اللحم أو الصيد الذي لم يُذكر اسمُ اللَّه عليه ، قال تعالى : { **وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ** } [الأنعام : 121] .

الثالثة عشرة : العلم بأسماء اللَّه الحسنى أعظم العلوم وأشرفها :

إن أشرف العلوم هي العلوم الشرعية ، وأشرف العلوم الشرعية هو العلم بأسماء اللَّه الحسنى ، وصفاته العُلى ؛ لتعلقها بأشرف من يمكن التعلم عنه ؛ وهو اللَّه سبحانه وتعالى[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى : والقرآن فيه من ذكر أسماء اللَّه وصفاته وأفعاله ، أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة ، والآيات المتضمنة لذكر أسماء اللَّه وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد ، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك - أي لأسماء الله وصفاته - كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأُبي بن كعب : « **أتَدري أي آية من كتاب اللَّه معك أعظم** ؟ » . قال : قلت : { **اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** } [البقرة : 255] » . قال : فضرب في صدري وقال : « **واللَّه ليهنك العلم أبا المنذر** »[3] .

وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من غير وجه أن { **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** } تعدل ثلث

---

1 () أخرجه البخاري (7397) ، ومسلم (1929) .
2 () كتاب النهج الأسمى .
3 () صحيح مسلم (810) .

القرآن[1][2] .

الرابعة عشرة : بركة الأسماء الحسنى في المعيشة :

قال تعالى : { **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** } [الرحمن : 78] .

ومن بركة الأسماء الحسنى أن الشيطان لا يقرب ما ذُكر عليه اسمُ الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء** »[3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **قال إبليس : يا رب ، ليس أحدٌ من خلقك إلا جعلت له رزقًا ومعيشة ، فما رزقي ؟ قال : ما لم يُذكرعليه اسمي** »[4] .

الخامسة عشرة : بركة الأسماء الحسنى تلحق الذرية :

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابن عباس رضي اللَّه عنهما : « **لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال : بسم اللَّه ، اللهمَّ جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يُقَدَّر بينهما ولدُ في ذلك لم يضره شيطان أبدًا** »[5] .

السادسة عشرة : أسماء اللَّه أعظم أسباب شفاء :

فإن اللَّه تبارك وتعالى هو خالق البدن ويعلم دائَه ، وبيده وحده شفاؤه ، ودواؤه ، وخير دواء ، وأعظم شفاء هو أسماء اللَّه عز وجل ، ولذلك حين

---

1 () صحيح البخاري (6643، 7374) ، وصحيح مسلم (811، 812) .
2 () درء تعارض العقل والنقل (5/310- 312) بتصرف .
3 () أخرجه مسلم (2018) من حديث جابر ، رضي الله عنه .
4 () صحيح . أخرجه أبو نعيم في الحلية (ج 8 ص 126) ، وأبو الشيخ في كتاب « العظمة » .
5 () أخرجه البخاري (7396) ، ومسلم (1434) .

عاد جبريل عليه السلام رسولَ اللَّه صلى اللـه عليـه وسلم في مرضه لم يجد سببًا للشـفاء خيـرًا مـن أن يرقيه باسم اللَّه عز وجل .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أشتكيت ؟ قال : « **نعم** » . قال : « **بسـم اللَّه أرقيك ، من كل شيءٍ يؤذيك ، ومن شـر كل نفس أو عين حاسد ، اللَّه يَشْفِيك ، بسم اللَّه أرقيك** »[1] .

السابعة عشرة : النجاة من الوسوسة :

فمـن عـرف اللـه عـز وجـل بأسـمائه الحسـنى وصـفاته العُلـى ثبـت إيمـانه وصـدق يقينـه ، فكـان لمجاهـدة الشـيطان أشـد وعلـى دفـع الوسـاوس أقوى .

فعن أبي زميل قال : سألت ابن عباس ، فقلت : ما شيءٌ أجد فـي صـدري؟ قـال : مـا هـو ؟ قلـت : واللَّه ما أتكلم به ، قال : فقال لي أشيءٌ من شك ؟ قال : وضحك ، قال : مـا نجـا مـن ذلـك أحـد . قـال حتى أنزل الله عز وجـل : { **فَـإِنْ كُنْـتَ فِـي شَـكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْـكَ فَاسْـأَلِ الَّـذِينَ يَقْـرَءُونَ الْكِتَـابَ مِنْ قَبْلِكَ** } الآية [يونس : 94] ، قال : فقال لي : « إذا وجـدت فـي نفسـك شـيئًا ، فقُـل : { **هُـوَ الأَوَّلُ وَالآخِـرُ وَالظَّـاهِرُ وَالْبَـاطِنُ وَهُـوَ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عَلِيمٌ** } [الحديد : 3] »[2] .

* * *

---

[1] () رواه مسلم .

[2] () أخرجه أبو داود (5110) . وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود (4262) .

قواعد في أسماء اللَّه تعالى

القاعـدة الأولـى : أسـماء اللَّـه تعـالى كلهـا حسنى[1] :

أي بالغة في الحسن غايته ، وفي الجمال ذروته ، قال اللَّه تعالى : { **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** } .

وذلك لأنها متضمنة لصـفات كاملـة لا نقـص فيهـا بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديرًا .

قال ابن القيم رحمه اللَّه :

وهــو الجميــل علــى الإطلاق ... وجمـال سـائر هـذه الأسماء

من بعض آثار الجميـل أولى ... وأجدر عند ذي الألباب والآراء

فجمـــاله بالـــذات ... أوصـاف والأفعـال

وقال أيضًا :

أسماؤه أوصاف مـدح ... مشـتقة قـد حملـت

ولحسن أسماء اللَّه معنيان :

الأول : حُسْنَى في معناها وفي نفسها .

الثاني : حُسْنَى في أثرها لمن تعبد للَّه بها .

أما المعنى الأول : فإن أسـماء اللَّـه كلَّهـا حُسْـنٌ وجمالٌ ، وخيرٌ وكمالٌ ، وقوةٌ وجلالٌ .

مثال ذلـك : « الحـي » اسـم مـن أسـماء اللَّـه تعالى ، متضمن للحياة الكاملة التي لم تُسْبَق بعـدم ولا يلحقهـا زوال ولا يطـرأ عليهـا خلـل . الحيـاة المسـتلزمة لكمـال الصـفات مـن العلـم والقـدرة والسمع والبصـر وغيرهـا . قـال تعـالى : { **وَتَوَكَّـلْ عَلَى الْحَيِّ الَّـذِي لاَ يَمُـوتُ** } [الفرقـان : 58] ، وقـال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام** »[2] .

مثال آخـر : « العليـم » اسـم مـن أسـماء اللَّـه تعالى متضمن للعلم الكامل الـذي لـم يُسـبق بجهـل ولا يلحقه نسيان ، قال اللَّه تعـالى : { **عِلْمُهَـا عِنْـدَ**

---

[1] () انظر كتاب « القواعد المثلى » للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين .

(2) ، (3) النونية لابن القيم .

[2] () أخرجه مسلم (179) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

رَبِّي فِي كِتَـابٍ لاَ يَضِـلُّ رَبِّـي وَلاَ يَنْسَـى } [طـه : 52] .

وعلمه عز وجل هو العلـم الواسـع المحيـط بكـل شيء جملة وتفصيلاً ، قـال تعـالى : { **وَسِـعَ رَبِّـي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا** } .

الوجه الثاني : أن أسـماء اللَّـه الحسـنى كلهـا حُسن في آثارها وعواقبها[1]. فمن ذلك :

أولاً : أن من عرفها فقد عرف الله عـز وجـل ، فهي حُسنى في المقصد والثمرة الـتي هـي معرفـة اللّه عز وجل .

ثانيًا : أن اللَّه عز وجل وَعَد عليها بعظيم الثواب من دخول الجنة لمن أحصاها وحفظها ، فهي حُسنى في العاقبة والأجر لمن تعلّمها وآمن بها وأدَّى حقَّها ، فقد قال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **إن لله تسـعةً وتسـعين اسـمًا مائـة إلا واحـدًا مـن أحصاها دخل الجنة** »[2] .

ثالثًا : ومـن تمـام أنهـا حُسـنى أن اللَّـه تبـارك وتعالى لا يُدعى إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى ، قال تعـالى : { **وَلِلَّـهِ الأَسْـمَاءُ الْحُسْـنَى فَـادْعُوهُ بِهَا** } [الأعراف : 180] .

القاعدة الثانية : أسماء الله تعالى توقيفية :

أي لا مجـال للعقـل فيهـا ؛ أي لا بـد وأن تكـون معرفتُهـا مـن خلال الأدلـة الشـرعية مـن القـرآن وصحيح السنة المطهرة .

قال السفاريني

لكنها في الحق توقيفية لنـا بذا أدلة وفيـة

وهذا لأسباب منها :

الأول : أنهـا مـن أمـور الغيـب الـتي لا يَعلمها الخلقُ إلا أن يعلمهـم اللَّـهُ إياهـا مـن خلال الوحي إلى الأنبياء والرسل ، قـال تعـالى : { **عَـالِمُ**

---

[1] () انظر باب فضائل الأسماء الحسنى .

[2] () تقدم ص 5 .

الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا } [الجن : 26، 27] .

الثاني : أن عقل الإنسان قاصرٌ لا يمكنه إدراك ما يستحقه اللَّه تعالى من الأسماء ، قال تعالى : { **وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** } ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا أحصي ثناءً عليك »[1] . لذلك يجب الوقوف في معرفة أسماء اللَه على الشرع ، قال تعالى : { **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** } .

ثالثًا : لأن القول على اللَّه بغير علم من أشد المحرمات :

فتسمية اللَّه تعالى بما لم يُسمِّ به نفسه أو إنكار ما سمَّى به نفسه جناية في حقه تعالى وتَوَعَّدَ اللَّهُ من فعل ذلك بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : { **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** } . وقال تعالى : { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** } [الحج : 3، 4] .

وقال تعالى : { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ (8) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَمٍ لِلْعَبِيدِ** } [الحج : 8ـ 10] . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **من تعمَّد عليَّ كذبًا فليتبوأ مقعده من النار** » .

هذا عقاب الكاذب على النبي صلى الله عليه

---

[1] () رواه مسلم .

وسلم ، فكيف بمن يكذب على اللَّه عز وجل ؟!

القاعدة الثالثة : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } :

قال ابن القيم رحمه اللَّه[1] :

لا شـيء يشـبه ذاتـه سـبحانه عـن إفـك

فإن أسماء اللَّه الحسنى ، وصـفاته العُلـى ليـس كمثلها شـيءٌ مـن خلقـه ، فينبغـي الإيمـان بهـا كمـا جاءت في الشرع بلا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه ، قال تعالى : { **لَيْـسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْبَصِيرُ** } [الشورى : 11] .

فينبغي إجراء النصـوص علـى ظاهرهـا مـن غيـر إنكار ولا تأويل والإيمان بهـا كمـا أراد اللَّه عـز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الشافعي رحمه اللَّه : « آمنت باللَّه وبما جاء عن الله ، على مراد الله ، وآمنت برسول الله ، وبما جاء عن رسول اللَّه ، على مـراد رسـول اللَّـه »[2] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللَّـه فـي قـول النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّهَ ينزل إلـى سـماء الـدنيا ..** » ، و« **إن اللَّـه يُـرى فـي القيامة** » ومـا أشـبه هـذه الأحـاديث : « نـؤمن بهـا ونصدق بها ، لا كيف ، ولا معنى ، ولا نرد شيئًا منها ، ونعلـم أن مـا جـاء بـه الرسـول حـق ، ولا نـرد علـى رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ولا نصـف اللـهَ بأكثر مما وصف به نفسه بلا حـدٍ ولا غايـة : { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّـمِيعُ الْبَصِـيرُ** } ونقـول كمـا قال ، ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلـك ، ولا يبلغه وصف الواصفين ، نؤمن بالقرآن كلـه محكمـه

---

1 () القصيدة النونية ص 146 .

2 () من كتاب شرح لمعة الاعتقاد (ص 36) ، وراجع الرسالة المدنية لابن تيمية (ص 121) مع الفتوى الحموية . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « أما ما قال الشافعي فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده، ومن اعتقده ولم يأت بقولٍ يناقضه ، فإنه سلك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة ». اهـ.

ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة مـن صـفاته لشـناعة شُنِّعَت ، ولا نتعدَّى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيـف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليـه وسـلم وتثبيت القرآن [1] .

فسـبحان اللَّـه ، كيـف يشـبه المملـوكُ مـالكَه ، والمرزوقُ رازقَه ، والمخلوق خالقَه ؟!

قال تعالى : { **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَـنْ لاَ يَخْلُـقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ** } [النحل: 17] .

مثال ذلك : للَّه سمع ، ولكنه ليس كسمع خلقه ، فسَمْعُ الناس يكـون بجارحـة تطـرأ عليهـا الأمـراض ويصيبها الخلل ، ثم إذا سمعت فإنها تسـمع الصـوت العالي وقد لا تسمع المنخفـض وتسـمع القريـب ولا تسمع البعيد ، وتسمع الجهر ولا تسمع السر وتختلط عليها الأصوات فلا تميز بعضها عن بعض ، ثم يـذهب ما تبقى منها ويفنى بالموت ، أين هذا من سمع اللَّـه جـل جلالـه وتقدسـت أسـماؤه ، **فإنه يسـمع مـا تحـت الأرض كمـا يسـمع مـا فـوق السـماء ، ويسمع الجماعة كما يسمع الفرد ، والقريب والبعيـد عنـده سـواء ، والسـر عنـده مثـل العلن ، قال تعالى :** { **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَـإِنَّهُ يَعْلَـمُ السِّـرَّ وَأَخْفَـى** } [طـه : 7] ، وقـال تعـالى : { **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِـهِ إِنَّـهُ عَلِيـمٌ بِـذَاتِ الصُّدُورِ** } [الملك : 13] .

فلا تشغله الأصوات الكـثيرة عـن الصـوت المنفـرد ، ولا أصـوات صـاخبة عـن صـوت منخفض ، فإن اللَّه تبارك وتعالى يسمع دبـة النملة السـوداء علـى الصـخرة الصـماء فـي الليلة الظلماء . وانظـر إلـى عائشـة رضـي اللـه

---

[1] () راجع : الصواعق المنزلة لابن القيم (1/265) ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن الموصلي (2/251) ، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص 156) ، وترجمة الإمام أحمد في تاريخ الإسلام للذهبي (ص 27) .

عنها وهي تسبِّحُ ربها لِما علمت من إحاطة سمعه بالأصوات ، فتقول : « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل : { **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** }[1] [المجادلة : 1] » .

مثال آخر : للَّه وجه ، ولكنه ليس كوجوه الخلق ، فمن وجوه الخلق ما يكون دميمًا ، ولو كان جميلاً ، فهو جمالٌ بشريٌ ناقصٌ تأتي عليه الأغيار ، والحوادث ، فالمرض يُذْبلُ نضرَته ، والهِرَم يطفئ وضاءته ، ثم هو على كُلِّ الأحوال إلى فناء ، **أين هذا من وجه اللَّه تبارك وتعالى الذي يفيض بالجلال ويستحى من جماله الجمال ،** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّهَ جميلٌ يحب الجمال** »[2] . وقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصف جمال وجه اللَّه : « حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »[3] ، **وجماله ثابتٌ لا يتغير ، ودائمٌ لا يفنى ،** قال تعالى : { **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ** } [الرحمن : 26، 27] .

القاعدة الرابعة : الأسماء الحسنى ليست

---

[1] () أخرجه البخاري (13/372- تعليقًا) ، وأحمد 6/46، وابن ماجه (188)، والحاكم 2/481 . وصححه الحاكم ، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (155) ، وانظر الإرواء 7/175 .

[2] () أخرجه مسلم (91) من حديث ابن مسعود .

[3] () جزء من حديث : « إن اللَّه لا ينام » ، وقد تقدم ص 19 . والسبحات بضم السين والباء ورفع التاء في أخره ، وهي جمع سبحة . قال صاحب العين والهروي : وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه . انظر صحيح مسلم بشرح النووي (3/13، 14) باب ما جاء في رؤية اللَّه عز وجل .

أعلامًا فقط ، ولكنها تحمل صفات ومعاني :

قال ابن القيم رحمه اللَّه[1] :

أسماءه أوصاف مدح قد حملت لمعاني

والاسم العلم هو ما دل على صاحبه وعرَّفه وميَّزه عن غيره ، كأن يُسمى رجلٌ « صادق » أو « كريم » ، ولكنه ليس بالضرورة أن تكون صفتُه « الصدق » أو « الكرم » ، فقد يُسمى كريمًا ويكون بخيلاً في صفته ، أو يكون اسمه « صادقًا » ، والكذب من صفاته .

أما أسماء اللَّه الحسنى فهي أعلام وأوصاف معًا ، تحمل معاني وتعبر عن صفات اللَّه التامَّة الكمال والجمال . **فمثلاً : من أسماء اللَّه تعالى : الغفور ، والرحيم .** قال تعالى : { **وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** } .

« فهو الغفور » فإنه يغفر الذنوب جميعًا ، قال تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** } .

« وهو الرحيم » فرحمته وسعت كل خلقه ، قال تعالى : { **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** } .

مثال آخر : اسمه الخالق جل جلاله فإنه يحمل صفة الخلق ، قال تعالى : { **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** } ، وقال تعالى : { **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** } [الفرقان : 2] ، **وكذلك اسمه « الكريم » عز وجل ،** فإن الخلق جميعًا يحيون من نعمه ويُرزقون من كرمه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **يد الله ملأى لا تغيضها**[2] **نفقة سَحَّاء**[3] **الليل والنهار** » . وقال : « **أرأيتم ما أنفق منذ خلق**

---

1 () النونية .

2 () وقوله لا يغيضها : أي لا ينقصها .

3 () وقوله سحاء أي : دائمة السح والصب والهطل بالعطاء .

السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده »[1].

القاعدة الخامسة : باب الصفات أوسع من باب الأسماء :

أي أن الصفات أكثر من الأسماء ، وذلك لأن كل الأسماء تحمل صفات - كما تقدم شرحه - فكل اسم تشتق منه الصفة التي يحملها ، ولكن لا يصح اشتقاق اسم من أسماء اللّه تعالى من الصفات ، فكل اسمٍ يحمل صفة وليس كل صفة تحمل اسم .

مثال ذلك : اسم اللّه « الرحمن » يحمل صفة الرحمة ؛ لقوله تعالى : { **فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ** } ، وكذلك اسمه « العزيز » يحمل صفة العِزة ؛ لقوله تعالى : { **إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** } [يونس : 139] ، وهكذا .

ولكن في الصفات ليس كذلك .

مثال ذلك : أن للّه صفة الكلام ؛ لقوله تعالى لنبيه موسى : { **إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي** } [الأعراف : 144] ، فهل يصح الادعاء بأن من أسماء اللّه تعالى اسم « المتكلم » ؟ لا يصح بالطبع ، وكذلك صفة « المكر » و« الكيد » ، فقد ثبتت بالدليل من كتاب اللّه ، فقال تعالى : { **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** } [الأنفال : 30] ، وقال تعالى : { **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا** } [الطارق : 15، 16] ، فلا يصح أن يُقال أن من أسماء اللّه « الماكر » أو « الكائد » . وذلك لأن أسماء اللّه كلها حُسْنَى ، فكل ما تحمله من الصفات العُلَى ، أما الصفات في اللغة فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن تكون صفات كمالٍ مطلق كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، فهي تثبت للّه كلها

---

[1] () أخرجه البخاري (4684) ، ومسلم (993) ، من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

ويُنفى عنه ما يضادها من صفات النقص مثل إثبات صفة الحياة ونفي صفة الموت ، كقوله تعالى : { **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ** } [الفرقان : 58] .

الثاني : نقص مطلق كالعجز ، والموت ، والفقر ، فهي تُنْفَى عن اللَّه كلها ، ولكن يثبت لله تعالى ما يضادها .

« **مثال ذلك** » : صفة الظلم فإنها تُنفى كلها عن اللَّه تبارك وتعالى ويثبت له العدل بل الكرم ؛ لقوله تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** } [النساء : 40] ؛ لأن نفي النقص وحده لا يعني الكمال ، فلابد من نفي النقص وإثبات لضده .

الثالث : صفات تحتمل كمالاً من وجه ونقصًا من وجه آخر ، فيُثْبَتُ لله تعالى فيها وجوه الكمال ، ويُنْفَى عنه منها وجوه النقص .

مثال : « المكر » و« الخداع » فإنها لو كانت من ضعيف لا يقوى على أخذ حقه فهو نقص ، وإن كانت من منافق خبيث يمكر بالمؤمنين ويخادعهم لتحقيق غرض خبيث في نفسه فهو نقص وهو من مذموم الصفات وهذا وأمثاله يُنْفَى كلُّه عن اللَّه جل جلاله .

أما إن كان « المكر » عقوبة بالماكرين وانتقامًا من المخادعين فهو من الكمال ، وإن كان بغير ظلم ولا ضعف فهو من الكمال ، وإن كان بعد التحذير والانذار والإمهال فهو تمام العدل والرحمة ، فهذا وأمثاله يُثْبَتُ لله جل جلاله { **وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدً** } [الكهف : 49] ، { **وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ** } [فاطر : 43] .

القاعدة السادسة : الأسماء الحسنى لا تزيد ولا تنقص :

فإن أسماء اللَّه الحسنى بالغة في الحسن ذروته ، وفي الكمال غايته ، كمالاً لم يسبقه نقصان

ولا يأتي عليه الأغيار فـي الأزمـان ، فالزيـادة تكـون أحد أمرين :

الأول : إما أن تكـون الزيـادة مـن أسـماء اللـه حسنى أيضًا ، وهذا يستحيل في حق الله عز وجـل ؛ إذ أن الأسماء الحسنى قـد صُـرفت كلُّهـا للـه وحـده سواءً التي سمَّى بها نفسه أو التي أنزلها في شرعه أو استأثر بها في علم الغيب عنـده ، أو علَّمهـا لأحـدٍ من خلقه .

والثاني : أن تكون الزيادة ليست من الأسـماء الحسنى ، وهذا لا يليـق بـاللَّه جـل جلالـه وتقدَّسـت أسماؤه ، وأن الشر لا يصـح صـرفُه للـه ، فقـد قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **والشـر ليـس إليك** »[1] .

القاعدة السابعة : هل حُصرت الأسماء الحسنى بعددٍ معين ؟

أسـماء اللَّـه تعـالى غيـر محصـورة بعـدد معيـن ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشـهور : « **أسـألك بكـل اسـم هـو لـك ، سـميت بـه نفسك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به فـي علـم الغيـب عندك ...** »[2] .

وما استأثر اللَّه تعالى به في علم الغيب لا يمكـن لأحد حصره ولا الإحاطة بـه ، فأمـا قـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **إن للَّه تسـعة وتسـعين اسـمًا مائة إلا واحدًا، مَن أحصـاها دخـل الجنـة** »[3] . فلا يدل علـى حصـر الأسـماء بهـذا العـدد، ولـو كـان المراد الحصر لكانت العبارة : إن أسماء اللَّـه تسـعة وتسـعون اسـمًا مـن أحصـاها دخـل الجنـة ، أو نحـو

---

[1] () أخرجه مسلم (771) من حديث علي ، رضي الله عنه ، في حديث طويل .

[2] () تقدم في ص 6 .

[3] () تقدم في ص 5 .

ذلـك . ونظيـر ذلـك أن تقـول : عنـدي مائـة درهـم أعددتُها للصدقة ، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة.

ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسـلم تعييـن هذه الأسـماء ، والحـديث المـروي عنـه فـي تعيينهـا ضعيف[1] .

* * *

[1] () أخرجه الترمذي (3507) ، والحاكم 1/16، 17 من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، وانظر ضعيف جامع الترمذي (696) .

الباب الثالث
أربعة تنبيهات هامة

أولاً : من أحصاها دخل الجنة :

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة** »[1] .

فما هو معنى الإحصاء[2] ؟

قيل في معنى الإحصاء عدة أقوال ؛ منها :

الأول : أن يَعُدَّها حتى يستوفيها حفظًا ويدعو ربه بها ، ويثني عليه بجميعها ؛ كقوله تعالى : { **وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** } [الجن : 28] .

واستدل له الخطابي بقوله صلى الله عليه وسلم - كما في الرواية الأخرى: « **من حفظها دخل الجنة** »[3] .

وقال النووي : قال البخاري وغيره من المحققين : « معناه حفظها ، وهذا هو الأظهر لثبوته نصًا في الخبر » . وقال في « الأذكار » : وهو قول الأكثرين . وقال ابن الجوزي : « **من أحصاها** » أي : من عدها ليستوفيها حفظًا .

وقد ردَّ هذا القول الحافظ ابن حجر ، فقال : وفيه نظر ؛ لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ : « حفظها » تعيين السرد عن ظهر قلب ، بل يحتمل الحفظ المعنوي[4] . يقصد - واللَّه أعلم - أن يحترم أسماء اللَّه ويوقرها ويحافظ على ما تقتضيه من معاني الإيمان ويعمل به .

وقال الأصيلي : ليس المراد بالإحصاء عدَّها فقط ؛ لأنه قد يعدها الفاجر ، وإنما المراد العلم بها .

---

1 () تقدم في ص 5 .

2 () انظر كتاب « النهج الأسمى » للشيخ محمد الحمود النجدي (1/52: 56) .

3 () أخرجه البخاري (6410) .

4 () الفتح (11/226) .

الثـــاني : أن يكـــون المـــراد بالإحصـــاء « الإطاقـــة » ؛ كقـــوله تعـــالى : { **عَلِـــمَ أَنْ لَـــنْ تُحْصُوهُ** } [المزمل : 20] .

وكقـــول النـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم : « **استقيموا ولن تحصوا** »[1] . أي : لن تبلغوا كـل الاستقامة . وقال أهل اللغة : « **لن تحصوا** » أي: لا تحصوا ثوابه[2] .

فيكـــون المعنـــى : أن يطيـــق الأســـماء الحسـنى ويُحسِـن المراعـاة لهـا وأن يعمـل بمقتضاها ، وأن يعتبرهـا فيُلـزم نفسَـه بواجبهـا . فإذا قال : يا رحمن يا رحيم ، تـذكر صـفة الرحمـة ، واعتقد أنها من صفات اللّه سبحانه ، فيرجـو رحمتـه ولا ييأس من مغفرته ، وإذا قال : « السميع البصير » علمَ أنه يراه ويسمعه وأنه لا تخفى عليه خافية وأنــه يعلم السر كما يعلم العلن ، ويعلم الباطن كما يعلـم الظاهر ، فيحافظ علـى قدسـيتها ويرعـي حرمتهـا ، فيخافه في سره وعلنه ويراقبه فـي كافـة أحـواله ، فإذا حدثته نفسه بمعصيةٍ ذكَّرها بقدرة الله وعظمته وأسمائه وصفاته لعلها تنزجر كما قيل :

إذا مـا دعتـك النفـس والنفس داعية إلـى
فاسـتحي مـن نظـر لهـا إن الـذي خلـق

الثالث : أن يكون الإحصاء بمعنى العقل والمعرفة :

فيكون معنـاه أن مـن عرفهـا ، وعقـل معانيهـا ، وآمن بها دخل الجنة وهو مـأخوذ مـن الحصـاة وهـي العقل ، والعرب تقول : فلان ذو حصـاة أي ذو عقـل ومعرفة بالأمور[3] .

---

1 () أخرجه الطيالسي (1089) ، وأحمد 5/276، 277، وابن ماجه (277) من حديث ثوبان ، رضي الله عنه ، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (224) .

2 () معاني المفردات للأصفاني .

3 () « شأن الدعاء » (ص28، 29) ، والفتح (11/225) .

الرابع :

قال القرطبي : المرجو من كـرم اللَّـه تعـالى أن من حصل له إحصـاء هـذه الأسـماء علـى أحـد هـذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنـة . وهـذه المراتـب الثلاثـة للسـابقين والصـديقيين وأصـحاب اليمين .

ثانيًا : { وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } :

قـال تعـالى : { **وَذَرُوا الَّـذِينَ يُلْحِـدُونَ فِـي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } [الأعراف : 180].

قال ابن السكّيت : أن الملحد هـو : المائـل عـن الحـق ، المـدخل فيـه مـا ليـس منـه ، والإلحـاد فـي اللغــة : هــو الزيــغ والميــل والــذهاب عــن ســنن الصواب ، ومنه يمسي الملحدُ ملحدًا ؛ لأنه مال عـن طريق الحق .

والإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بهـا عمـا يجب فيها .

قال ابن القيم رحمه اللَّه :

أسماؤه أوصاف مـدح مشـتقة قـد حملـت
إيَاكَ والإلحاد فيها إنه كُفرٌ معـاذ اللَّـه مـن
وحقيقـة الإلحـاد فيهـا بَالإشْراك والتعطيل

والإلْحادُ في أسماء الله أنواع :

الأول : أن تسـمي الأصـنام بهـا ، فسـمى المشركون الأحجـار والأشـجار والأوثـان الـتي كـانوا يعبــدونها « آلهــة » ، وســمّوا اللات مــن « الإلــه » ، والعُزَّى من « العزيز » ، ومناة من « المنان » .

فهـذا إلحـاد ؛ لأنهـم عـدلوا ومـالوا بأسـمائه إلـى أوثانهم وآلهتهم الباطلة .

الثــاني : تســميته بمــا لا يليــق بجلالــه كتسمية النصارى له « أبًا » ، وتسـمية الفلاسـفة له « موجبًا بذاته » ، أو « علة فاعلة بـالطبع » ، وقـول الكرامية أنه « جسم » ، وقول بعضهم إنه « جوهر » ،

ونحو ذلك .

وهـذه الأسـماء باطلـة ؛ لأن أسـماء اللَّـه تعـالى توقيفية ، فتسميته بما لم يسـم بـه نفسـه ميـل بهـا عما يجب فيها ، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة يُنَزِه اللَّهُ تعالى عنها .

الثالث : وصفه بما يتعالى عنـه ويتقـدس من النقائص ؛ كقـول اليهـود - عليهـم لعـائن اللـه المتتابعة إلي يوم القيامة -: إنه فقير ، وقولهم : إنه استراح بعد أن خلـق الخلـق ، وقـولهم : { **يَدُ اللَّـهِ مَغْلُولَةٌ** } ، { **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَـا قَـالُوا بَـلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** } .

الرابـع : تعطيـل الأسـماء عـن معانيهـا وجحد حقائقهـا وأنهـا مجـرد أعلام فقـط لا تتضـمن صـفات ولا معـاني وهـو مـذهب الجهمية وأتبـاعهم ، فيطلقـون عليـه اسـم السميع والبصير والحي والرحيم .

ويقولون : لا حياة ولا سـمع ولا بصـر ولا كلام ولا إرادة تقوم به ، وهذا مـن أعظـم الإلحـاد فيهـا عقلاً وشرعًا ولغة وفطرة ، وهو يقابل إلحاد المشـركين ، فإن أولئك أعطوا أسـماءه وصـفاته لآلهتهـم وهـؤلاء المعطلة سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوهـا ، فكلاهمـا ملحـدُ فـي أسـمائه جـل جلالـه وتقدسـت أسماؤه.

الخامس : تشبيه صفاته بصـفات خلقـه ، تعالى اللّه عما يقـول المُشَـبِّهون علـوًا كـبيرًا ، قـال تعالى : { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** } ، وهذا الإلحاد يقابل إلحاد المعطلة ، الـذين سـبق ذكرهـم ، فـإن أولئـك نفـوا صـفات كمـاله وجحـدوها ، وهـؤلاء شـبَّهُوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقـه ، وقد صدق من قال : « من شبه فكأنما يعبـد صـنمًا ، ومن عطل فكأنما يعبد عدمًا » .

السادس : الميل عن الصواب فـي نطـق

أسماء الله وتغيير حروفها من اللغة العربية التي أنزل بها القرآن وجاءت به السنة المتضمنة لأسماء الله الحُسنى إلى لهجات أخرى مثل العامية ، كأن يقول الرجل : (اللاه) يقصد بها (اللَّه) ويقول : « الأُدُّوس » يقصد بها اسم الله تعالى « القُدُّوس » أو يقول : « الجوى » يقصد بها اسم الله « القوي » جل جلاله وتقدست أسماؤه ، وكذلك من يقول : « الرَّزاء » ، وهو يقصد بذلك اسم الله « الرزَّاق » ، تبارك وتعالى ، وهذا خطأ عظيم ، إذ أن معنى « الرزاء » أي : الذي يأتي بالمصائب والبلايا ، بخلاف الرزاق الذي يأتي بالرزق والخير ، وكذلك يقول الناس : « الستار » ، ولكن الصحيح هو « الستير » ، وهذه من الأخطاء التي يجب التنبيه عليها والتحذير منها واجتنابها بالذات لمن عرفها ويستطيع تغييرها إلى الصواب في النطق .

السابع : إدخال أسماء لم يرد بها دليل صحيح في الأسماء الحُسنى كأن يطلق بعض الناس على اللَّه اسم « الموجود » أو « المقصود » أو « المُهدي » ، وكذلك اسم « العال » ، ولكن الذي ورد « العلي » والأعلى ، والمتعال » ، كذلك « الونيس » ، و« المُتجلِّي » . أو كما يدعي الجهلاء من عباد القبور أن من أسمائه كلمة « هو » ، و« هو » معلوم أنه ضمير قد يضاف إلى أي غائب ، وهو ليس من أسماء الله تبارك وتعالى .

ثالثًا : فادعوه بها

وهذا من أعظم ثمرات معرفة الأسماء الحسنى ؛ إذ أنه لا يصح دعاءُ اللَّه تبارك وتعالى إلا بأسمائه الحُسنى وصفاته العلى .

قال ابن القيم رحمه اللَّه : « فلا يُثنى على الله إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى ، وكذلك لا يُسئل إلا بها »[1] .

---

[1] () انظر كتاب بدائع الفوائد لابن القيم (1/164) .

ودعـــاءُ اللَّـــه تبـــارك وتعـــالى بأســـمائه الحسنى وصفاته العُلى ثلاثة أنوع :

الأول : دعاء الإيمان والعبادة :

كمـا فـي قـوله تعـالى عـن نـبيه إبراهيـم عليـه السلام : { **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَـدْعُونَ مِـنْ دُونِ اللَّـهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِـدُعَاءِ رَبِّـي شَـقِيًّا** } [مريم : 48] .

قال ابن كثير رحمه اللَّه : أي اجتنبكم وأتبرأ منكـم ومن آلهتكم التي تعبدونها مـن دون اللـه : { **وَأَدْعُو رَبِّي** } أي : وأعبد ربي وحده لا شريك له[1].

وكما في قوله جل وعلا: { **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا** } [الجن: 20].

قال ابن كثير رحمه اللَّه : « إنما أدعو ربـي » أي : إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ولا أشرك به أحدًا[2].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « **الدعاء هـو العبادة** »[3] .

الثاني : دعاء الحمد والثناء :

وهو الدعاء الـذي يُظهـر العبـدُ فيـه محبَّتَـه لربـه بالثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلـى ، وهـذا هـو أفضـل الـدعاء ؛ لقـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **إن أفْضَـلَ الـذكر : لا إلـه إلا اللَّـه ، وأفضل الدعاء : الحمد لله** »[4] .

ولذلك فقد كان أفضل ما يقوله أهل الجنـة وهـم

---

1 () تفسير ابن كثير (3/119) .

2 () تفسير ابن كثير (4/417) .

3 () أخرجه الطيالسي (838) ، وأحمد 4/267، وأبو داود (1479) ، والترمذي (2969) من حديث النعمان بن بشير ، رضي الله عنهما ، وصححه الترمذي ، انظر صحيح سنن أبي داود (1312) .

4 () أخرجه الترمذي (3383) ، وابن ماجه (3800) ، وابن حبان (846) ، والحاكم 1/503) من حديث جابر رضي اللّه عنه ، وصححه الحاكم ، وانظر صحيح جامع الترمذي (2694) .

في أعظم نعمة وأكمل رحمة وقد امتلأت قلوبهم بحب ربهم هو « الحمد لله » ، قال تعالى : { **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** } [يونس : 10] .

الثالث : دعاء المسألة والطلب :

وهذا كقوله تعالى : { **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** } ، وكقوله جل وعلا : { **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** } [البقرة : 186] .

فيكون دعاءُ المؤمنين لربهم بما عرفوا من أسمائه الحسنى وصفاته العُلى مما زادهم في كرمه طمعًا ، وفيما عنده رجاءً ، وعليه توكلاً فيطلبون منه المغفرة لأنه الغفور ، ويسألونه العفو لأنه العفو .

وإليك أمثلة من هذا النوع من الدعاء :

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان يُعدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم : « **رب اغفر لي وتُب عليَّ إنك أنت التواب الغفور** »[1] .

ويسأل العفو لأنه العَفُو :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ، أرأيت إن علمتُ أيّ ليلةٍ ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : « **قولي : اللهم إنك عفوٌ تحبُ العفو فاعفُ عني** »[2] .

ويسأل الهبة ؛ لأنه الوهَّاب :

فكان من دعاء سليمان عليه السلام : { **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**

---

[1] () أخرجه الطيالسي (2050) ، وأحمد 2/21، وأبو داود (1516) ، والترمذي (3434) ، وابن ماجه (4814) . وانظر السلسلة الصحيحة (556) .

[2] () أخرجه أحمد 6/17، والترمذي (3513) ، وابن ماجه (3850)، وصححه الترمذي ، وانظر صحيح جامع الترمذي (2789) .

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } [ص : 35] .

ومن دعاء المؤمنين : { **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** } [آل عمران : 8] .

رابعًا : النهي عن التَسَمِّي بأسماء الله وتغيير الاسم من أجل ذلك :

قال ابن كثير : « والحاصل أن من أسماء اللَّه ما يُسَمَّى به غيره ، ومنها ما لا يُسمى به غيره ، كاسم « اللَّه » ، و« الخالق » و« الرازق » ونحو ذلك »[1] .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إن أخنع اسم عند اللَّه رجلٌ تَسَمَّى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله** »[2] .

قال سفيان : مثل شاهان شاه . أي : ملك الملوك باللغة الفارسية ، و« أخنع » يعني : أوضع وأحقر ، وفي رواية : « **أغيظ رجل على اللَّه يوم القيامة وأخبثه** » وأغيظ من الغيظ ، وهو مثل الغضب والبغض ، فيكون بغيضًا عند اللَّه مغضوبًا عليه . واللَّه أعلم .

قوله : « أخبثه » وهو يدل على أنه خبيث عند اللَّه فاجتمعت في حقه ثلاثة صفات ذميمة هي الخبث والذُّل وأنه بغيضًا إلى اللَّه ؛ لأنه نازع اللَّه بعض أسمائه وصفاته وأدَّعى لنفسه ما ليس له ؛ لأن الله هو خالق الخلق ، ومالك الملك كله على الحقيقة كما ورد في الحديث : « **اللهم رب كل شيء ، وملك كل شيء ، وإله كل شيء** »[3] .

ولذلك يجب تغيير هذه الأسماء ؛ لأنها لا تُطْلَق إلا على الله عز وجل .

---

1 () تفسير ابن كثير (1/21) .

2 () أخرجه البخاري (6206) ، ومسلم (2143) .

3 () أخرجه أحمد 2/117، وأبو داود (5058) ، من حديث ابن عمر ، رضي الله عنهما . وانظر صحيح سنن أبي داود (4229) .

عن هانئ بن يزيد والد شريح بن هانئ : أنه كـان يُكنى أبا الحكـم، فقـال لـه النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم : « **إن اللَّه هـو الحَكَـم ، وإليـه الحُكـم ، فلم تكنى أبا الحكـم ؟** » . فقـال : إن قـومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمـت بينهـم فرضـي كلا الفريقيـن . فقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **مـا أحسـن هـذا . فمـا لـك مـن الولـد ؟** » قلـت : شُــريح ، ومسـلم ، وعبـد اللّــه ، قــال : « **فمــن أكبرهم ؟** » قلـت : شُـريح . قـال : « **فـأنت أبـو شريح** »[4] .

* * *

---

4 () أخرجه البخاري في الأدب المفرد (811) ، وأبو داود (4955) ، والنسائي (5402) ، وابن حبان (504) ، وانظر صحيح سنن أبي داود (4145) .

« الرحمن - الرحيم »
جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه

أولاً : المعنى اللغوي :

الرحمــة : هــي الرقــة والتَّعَطُّــف ، والاســمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، و« رحمن » أشد مبالغة مـن « رحيـم » ؛ لأن بنـاء « فعلان » أشـد مبالغة من « فعيل » ونظيرهما نديم ونـدمان . وفـي كلام ابـن جريـر مـا يفهـم منـه حكايـة الاتفـاق علـى هذا[1] .

ثانيًا ورود الاسمين في القرآن الكريم :

ذُكر « الرحمن » في القرآن سبعًا وخمسين مــرة ؛ منها قوله تعالى : { **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَــهَ إِلاَّ هُــوَ الرَّحْمَــنُ الرَّحِيــمُ** } [البقــرة : 163] ، وقــوله : { **الرَّحْمَــنُ عَلَــى الْعَــرْشِ اسْــتَوَى** } [طــه : 5] ، وقـوله : { **الْمُلْـكُ يَوْمَئِـذٍ الْحَـقُّ لِلرَّحْمَـنِ وَكَـانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا** } [الفرقان : 26] .

وأما اسمه « **الرحيم** » ، فقد ذُكر أكثر مــن مائـة مــرة ؛ منهــا : قــوله تعــالى : { **إِنَّــهُ هُــوَ التَّــوَّابُ الرَّحِيمُ** } [البقــرة : 54] ، وقــوله تعــالى : { **إِنَّ اللَّــهَ بِالنَّــاسِ لَــرَءُوفٌ رَحِيــمٌ** } [البقــرة : 143] ، وقــوله سبحانه : { **إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** } ، وهو كثير فـي القــرآن ، انظــر ســورة « البقــرة » (173 ، 182 ، 189) .

معنى الاسمين في حق اللَّه تعالى :

الاسـمان مشـتقان مـن الرحمـة ، و« الرحمـن » أشد مبالغة من « الرحيم » ، ولكن ما الفرق بينهما ؟ هناك ثلاثـة أقـوال فـي الفـرق بيـن هـذين الاسـمين الكريمين:

الأول : أن اسـم « الرحمـن » : هـو ذو الرحمـة الشاملة لجميع الخلائـق فـي الـدنيا وللمـؤمنين فـي

---

[1] () جامع البيان (1/43) ، وتفسير ابن كثير (1/20) .

الآخرة. و« الرحيم » : هو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، واستدلوا بقوله تعالى : { **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ** } [الفرقان : 59] ، وقوله : { **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** } [طه : 5] ، فذكر الاستواء باسمه « الرحمن » ليعم جميع خلقه برحمته ، وقال : { **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** } [الأحزاب : 43] ، فخصَّ المؤمنين باسمه « الرحيم »[1] .

ولكن قد يُردُّ على هذا القول بقوله تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** } [البقرة : 143] .

القول الثاني : هو أن « الرحمن » دال على صفة ذاتية ، و« الرحيم » دال على صفة فعلية .

قال ابن القيم رحمه اللَّه: إن « الرحمن » دالٌ على الصفةِ القائمة به سبحانه، و« الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم « أي بمن يرحمهم اللَّه » ، فكان الأول للوصف والثاني للفعل .

فالأول دال على أن الرحمة صفته ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته .

وإذا أردت فهم هذا فتأمَّل قوله : { **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** } [الأحزاب : 43] ، وقوله تبارك وتعالى : { **إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** } [التوبة : 117] ، ولم يجئ قط « رحمن بهم » فعُلِمَ أن « رحمن » هو الموصوف بالرحمة و« رحيم » هو الراحم برحمته[2].

القول الثالث : أن « الرحمن » خاص الاسم عام المعنى ، و« الرحيم » عام الاسم خاص المعنى .

إذ أن « الرحمن » من الأسماء التي نُهِيَ عن التسمية بها لغير الله تبارك وتعالى ، كما قال عز وجل : { **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** } [الإسراء : 11] ، فعادل به الاسم الذي لا يشاركه فيه غيره ، وهو

---

1 () انظر : « جامع البيان » (1/43) .

2 () « بدائع الفوائد » (1/24) .

« اللَّه »[1] .

ولـذلك قـال ابـن القيـم رحمـه اللَّـه عـن اسـم « الرحمن » : ولما كان هذا الاسم مختصًـا بـه تعـالى حَسُـنَ مجيئـه مفـردًا غيـر تـابع كمجيـء اسـم اللـه كذلك . ولم يجيء قط تابعًا لغيره بـل متبوعًـا وهـذا بخلاف العليــم ، والقــدير ، والســميع والبصــير ، ونحوهـا ، ولهـذا لا تجيـء هـذه مفـردة بـل تابعـة ، فتأمل هذه النكتة البديعة[2] .

وعـن الحسـن أنـه قـال : « الرحمـن » اسـم لا يسـتطيع النـاسُ أن ينتحلـوه ، تسـمى بـه تبـارك وتعالى ، ولذا لا يجوز أن يُصْرَف للخلق[3] .

وأما « الرحيم » فإنه تعـالى وصـف بـه نـبيَّه عليـه الصـلاة والسـلام ، حيـث قـال: { **حَرِيـصٌ عَلَيْكُـمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيـمٌ** } [التوبـة : 128] ، فيُقـال : رجل رحيم ، ولا يقال : رحمن .

قال ابن كثير : والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يُسمى به غيره ، ومنها ما لا يُسمى به غيره ، كاسـم « اللّه » ، و« الرحمـن » ، و« الخـالق » ، و« الـرزاق » ، ونحو ذلك ، فلهذا بدأ باسم اللَّـه ووصـفه بـالرحمن ؛ لأنه أخـص وأعـرف مـن الرحيـم ؛ لأن التسـمية أولاً تكــون بأشــرف الأســماء ، فلهــذا ابتــدأ بــالأخص فالأخص[4] . اهـ .

من آثار الإيمان بهذين الإسمين الكريمين :

أولاً : التعرُّف على اللَّه برحمته والإيمـان بها .

وسنحاول فيما يلي التعرض إلى جانب من رحمة اللَّه عزَّ وجلَّ ، عسـى أن تـرق القلـوبُ إلـى خالقهـا وتشتاق النفوس إلى بارئها .

---

1 () النهج الأسمى (1/79) .
2 () بدائع الفوائد (1/24) .
3 () أورده ابن كثير في تفسيره (1/22) .
4 () نفسه (1/21) .

1- ربكم ذو رحمة واسعة :

قال تعالى : { **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** } [الأعراف : 156] ، وقال تعالى إخبارًا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: { **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** } [غافر : 7] .

2- رحمة اللَّه تغلب غضبه :

قال تعالى : { **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** } [الأنعام : 54] . قال ابن كثير في هذه الآية : أوجبها على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحسانًا وامتنانًا[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن اللَّه لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي** » . وفي رواية : « **لما خلق اللَّه الخلق كتب في كتابه هو يكتب على نفسه ، وهو وضع عنده على العرش : إن رحمتي تَغْلِبُ غضبي** »[2] .

3- إن للَّه مائة رحمة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إن للَّه مائة رحمة أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنسِ والبهائمِ والهوامِّ ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحشُ على ولدها** » . وفي رواية : « **حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه وأخَّر اللَّه تسعًا وتسعين رحمة يرحمُ بها عباده يوم القيامة** » . وفي رواية : « **إن اللَّه خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة** » . وفي رواية : « **كل رحمةٍ طباق ما بين السماء**

---

[1] () تفسير ابن كثير (2/130) .

[2] () رواه البخاري (7404، 7453، 7553، 7554) ، ومسلم (2751) .

والأرض ، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة »[1] .

هذه رحمة اللَّـه المخلوقـة ، فكيـف برحمـة اللَّـه التي هي من صفاته وليسـت مخلوقـة ولا تنفـد أبـدًا وليس لها حدّ ، ولا نهاية . قال تعالى : { **وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** } [الأعراف : 156] . ولذلك فقد قـال النبي صلى الله عليه وسلم : « **لو يعلم الكافر مـا عند اللَّه من الرحمة ما قنط من جنتـه أحـد** »[2] .

4- إن اللَّه تبارك وتعالى بيده الرحمة وحده :

ومن رحمته : أن أحـدًا مـن خلقـه لا يسـتطيع أن يحجب رحمتـه أو منعهـا عـن أحبـابه ، قـال تعـالى : { **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ** } [فاطر : 2] .

فرحمة اللَّه لا تعزُّ علـى طـالب فـي أي زمـان أو مكان : وجدها إبراهيم وسط ألسنة النـار ، ووجـدها يوسف في غيابت الجُبِّ وغياهب السـجن ، ووجـدها إسماعيل وأمُّه هاجر في صحراء جـرداء لا زرع فيهـا ولا ماء ، ووجدها يونس في بطن الحـوت ، ووجـدها موسى في اليمِّ وهو طفل وفي قصـر فرعـون وهـو متربص به ، ووجدها أصحاب الكهف حيـن افتقـدوها في القصور بين أقوامهم ، ووجدها رسول اللَّه صلى اللـه عليـه وسـلم وصـاحبه فـي الغـار وهمـا مطاردان[3] .

5- اللَّه سـبحانه وتعـالى أرحـم بعبـاده مـن الأم بولدها :

وذلك لأن رحمة والديك بك مهما بلغت فهي جزءٌ من جـزءٍ مـن المائـة جـزءٍ الـتي خلقهـا اللَّـه فكيـف برحمته هو الواسعة جل جلالـه وتقدسـت أسـماؤه ،

---

1 () رواه البخاري (9469) ، ومسلم (2752/18- 19، 2753/21) .

2 () تقدم تخريجه .

3 () من كتاب « لهذا أحب ربي » للدكتور خالد أبو شادي .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : قدم على رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بسبي ، فإذا امرأة من السبي تبتغي - وفي رواية البخاري -: تسعى إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أترون هذه المرأة طارحة وَلَدَها في النار ؟** » قلنا: لا واللَّهِ ! وهي تقدر على أن لا تطرحه . فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **اللَّه أرحم بعباده من هذه بولدها** »[1] .

وقال حماد بن سلمة : « ما يسرني أن امري يوم القيامة صار إلى والديَّ إن ربي أرحم بي من والديَّ » .

* * *

ثانيًا : فانظر إلى آثار رحمة اللَّه :

إن آثار وعلامات رحمة اللَّه أظهر من أن تُبين وأكثر من أن تُحْصَى ، قال تعالى : { **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا** } [إبراهيم : 34] . ففي كل نعمة رحمة يستدل عليها كل ذي عقل صحيح ، ويعرفها كل ذي قلب سليم ، ولا ينكرها إلا كل ظلوم كفارٍ ، وهذا أمرٌ لا يحتاج إلى دليل . كما قال الشاعر :

وكيف يَصِحُّ في إذا احتاجَ النهارُ إلى

وقد اخترنا بعض هذه الآثار على سبيل المثال ، فمن ذلك :

1- خلق الإنسان :

فمن رحمة اللَّه تعالى أنه خلق الإنسان من عدم وأنشأه وجعل له السمع والبصر والفؤاد والعقل ، كل هذا من تراب فأيُّ فضل وأيُّ نعمة بعد اصطفاء اللَّهِ لبعض التراب والطين ليجعله إنسانًا يعقل

---

[1] () أخرجه البخاري (5999) ، ومسلم (2754) .

ويشعر ويؤمن ثم يدخله الجنة ، فسبحان اللَّه ويحمده . قال تعالى : { **الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** } [الرحمن : 1 - 4] .

2- النبوة والرسالة رحمة :

فقد سُمَّيت النبوة والوحي رحمة كما في قوله تعالى مخبرًا عن نوح عليه السلام : { **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ** } [هود : 28] . قال ابن كثير : في هذه الآية : أي على يقين وأمرٍ جليّ ، ونبوةٍ صادقة وهي الرحمة العظيمة من اللّه به[1] .

3- إرسال النبيِّ صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** } [الأنبياء : 107] . وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : « **إني لم أُبعث لعانًا وإنما بُعثت رحمة** »[2] . وفي الحديث الآخر : « **إنما أنا رحمة مهداة** »[3] .

4- نزول القرآن :

قال تعالى : { **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** } [النحل : 89] .

5- أن جعلك مسلمًا :

قال تعالى : { **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** } [يونس : 58]. قال ابن كثير : أي بهذا الذي جائهم من الهدى

---

1 () تفسير ابن كثير (2/427) .

2 () رواه مسلم .

3 () أخرجه البزار (2369- كشف) ، والطبراني في الأوسط (2981) ، والحاكم 1/35، من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين .

ودين الحق فليفرحوا فإنه أولى ما يفرحون به[1] .

وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي أمر فيه بالفرح .

6- نـدائه فـي الثلـث الأخيـر مـن الليـل ليرحـم عباده :

عن أبي هريرة رضـي اللـه عنـه أن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم ، قال : « **يتنزل ربنا تبـارك وتعـالى كـلَّ ليلـة إلـى السـماء الـدنيا حيـن يبقى ثلثُ الليل الآخرُ يقولُ : مـن يـدعوني فأستجيب له ، مـن يسـألني فـأعطيه ؟ مـن يستغفرني فأغفر له ؟** »[2] .

وفي حديث آخر : « **من ذا الـذي يَسْـتَرْزِقُني أرْزُقْـه ؟ مـن ذا الـذي يستكشـفُ الضَـرَّ أكْشِفْه** » . حتى ينفجر الصبح[3] .

وفي حديث آخـر : « **ينزل اللـه إلـى السـماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول ، فيقول : أنا الملكُ ، أنا الملك ، مـن ذا الـذي يدعوني ..** »[4] .

بالله عليك لـو أن أميـر بلـدك ، أو رئيـس دولتـك بعث إليك أنه سوف يأتي إليك ليحقق لك مـا تتمنـى منه ، ألا يجعلك هذا له مُحبًّـا وإلـى لقـائه متشـوقًا ؟ هـل كنـت تنـام وتـتركه ؟ أو تنسـى موعـده ؟ وهـل ستكون موقنًا على تنفيذ ما تتمنى أم لا ؟

هذا من بشر ضعيف لا يملك لك ولا لنفسـه نفعًـا ولا ضرًا فكيف برب العالمين جل جلاله .

7- تقرُّبُه إلى خَلْقِهِ :

سبحان اللَّه يتقرب من خلقـه وهـو غنـي عنهـم ،

---

1 () تفسير ابن كثير (2/406) .

2 () صحيح . أخرجه البخاري (ج 11 / 6321) .

3 () حسن . أخرجه أحمد (ج 2 ص 521) .

4 () صحيح . أخرجه مسلم (ج 1 - صلاة المسافرين - 169) ، والترمذي (ج 2 /446) ، وأحمد (ج 14/7779) ، وغيرهم .

ويتودَّدَ إليهم وهم لا يملكون له نفعًا ولا ضرًا ، ولكـن نعمة منه وفضلاً ورحمة وإحسانًا .

وانظـر أخـي الكريـم وتأمَّـل هـذا الحـديث الـذي تنفطر له القلوبُ وتدمعُ له العيونُ . فعن أبي هريرة قال : رُبَّما ذكر النبي صلى اللـه عليـه وسـلم قـال : « **قال اللَّه عـز وجـل : إذا تَقَـرَّبَ العبـدُ منِّـي شِبْرًا تقرَّبـتُ منـه ذراعًـا ، وإذا تقـرَّب منـي ذراعًا تقربت منه باعًا أو بوعًا** »[1] .

يا اللَّـه ، يـا اللَّـه ، مَـنْ يتقـرب إلـى مَـن ؟ ومَـنْ يُهـرول إلـى مَـنْ ؟ يتقـرب الخـالق إلـى المخلـوق ويهـرول ملـك الملـوك إلـى عبـد فقيـر صـعلوك . سبحان اللَّه ما أرحمه وما أكرمه .

8- ذكره لعباده الصالحين :

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « **قال اللَّه : يـا ابـن آدم ، إن ذكرتنـي في نفسك ذكرتك في نفسي ، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة ، أو فـي ملأ خير منهم ، وإن دنوتَ مني شـبرًا ، دوتُ منك ذراعًا ، وإن دنوتَ مني ذراعًا دنوتُ منك باعًا ، وإن أتيتني تمشـي ، أتيتـك أهـرول** » .

قال قتادة : فاللَّه عز وجل أسرع بالمغفرة .

أخي الكريم ، هل تصـورت كيـف يـذكرك ربـك ؟ هل تَخَيَّلْتَ أن يذكرك اللَّهُ باسمك ؟ نعم يذكرك أنت باسمك بيـن ملائكتـه فـي الملأ الأعلـى . مـن الـذي يذكرك ؟ اللَّه . اللَّه . اللَّه الذي يذكرك .

فيا له من عظيم شـرفٍ وكـبير قـدرٍ لا يعرفـه إلا من عرف ربَّه وأحبَّه ، فـانظر إلـى واحـد مـن هـؤلاء وهو أبي بن كعب رضي الله عنه حيـن عَلِـمَ أن اللَّـه تبارك وتعالى قد ذكره باسمه ، وكيف هطلت عينـاه دمع الفرح والحنين إلى أرحم الراحمين .

---

[1] () أخرجه البخاري (13/7537) ، باعًا : مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينًا وشمالاً.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُبي بن كعب : « **إن اللَّه أمرني أن أقرأ عليك : { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ }** » . قال : وسمَّاني لك ؟ قال : « **نعم** » . فبكى[1].

قال يحيى بن معاذ الرازي : يا غفول يا جهول لو سمعت صرير الأقلام وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك لمتَّ شوقًا إلى مولاك .

فليس العجب من قوله : « فاذكرونى » ، ولكن العجب كل العجب من قوله : « أذكركم » ، فليس العجب أن يذكر الضعيفُ القويَّ ، أو يذكر الفقيرُ الغنيَّ ، أو يذكر الذليلُ العزيزَ ، إنما العجب أن يذكر القويُّ الضعيف ، والغنيُّ الفقير ، والعزيزُ الذليلَ .

9- صبر اللَّه جلال جلاله على الأذى من خلقه :

فسبحان اللَّه ما أحلمه ، وما أكرمه وما أرحمه ، يخلق ويُعْبَدُ غيرُه ، ويرزق ويُشكرُ سواه ، خيره إل ى العباد نازل وشرهم إليه صاعد من الذين يدَّعون له الولد يصبر على أذاهم ويبعث إليهم بأرزاقهم ، عسى أن يصادف هذا الكرم عقلاً ذاكيًا أو قلبًا واعيًا أو نفسًا طيبة أو فطرة سليمة تفيق من غفوتها وترجع عن ضلالتها تعرف ربَّها فتعبده وحده وتحبه وحده سبحانه وتعالى .

وعن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما أحدٌ أصبر على أذى سمعه من اللَّه يدَّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم** »[2] .

هذه رحمته سبحانه بمن أشرك به ، فكيف رحمته بمن وحَّده وعبده وأطاعه وأحبه وأحب رسوله وجاهد في سبيله .

---

[1] () رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به .

[2] () رواه البخاري (6099، 7378) ، ومسلم (2804) .

10- رحمته بالتائبين[1] :

فإن التائبين قد انكسرت قلوبهم لعظمته ، وذلَّت جباهم لعزته ، وأتوه راجين رحمته ويخافون عذابه ، فما عسى أن تكون رحمة اللَّه بهم ؟

فإليك شيء منها :

أولاً : يغفر الذنوب مهما عَظُمَت :

عن أنس رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **قال اللَّه تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة** »[2] .

ثانيًا : ويبسط يده للتائبين ليلاً ونهارًا :

عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن اللَّه تعالى يبسط يده بالليل لتيوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها** »[3] .

ثالثًا : ويفرح بتوبة عبده :

ومع هذا فقد فرح بها فرحًا هو أشد من فرحة رجلٍ وجد حياته بعدما عدَّ نفسه من الأموات ، وهي فرحة إحسانٍ وبِرٍّ ولطف ، لا فرحة محتاجٍ إلى توبة عبده منتفعٍ بها .

---

1 () انظر شرح الاسمين الكريمين « الغفار ، والغفور » . كما سيأتي إن شاء الله .

2 () رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن ، عنان السماء : قيل هو السحاب ، وقيل : هو ما عنَّ لك منها أي ظهر ، وقراب الأرض : هو ما يقارب مِلئها .

3 () رواه مسلم .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **للَّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة** »[1] .

وفي رواية : « **للَّهُ أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك ؛ إذ هو بها قائمة عنده بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح** »[2] . ففي هذا الحديث دليل على فرح اللَّه عز وجل بالتوبة من عبده إذا تاب إليه ، وأنه يحب ذلك سبحانه وتعالى محبة عظيمة ، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا ، فالله غني عنا ، ولكن لمحبته سبحانه للكرم فإنه يحب أن يغفر وأن يغفر أحب إليه من أن ينتقم ويؤاخذ ، ولهذا يفرح بتوبة الإنسان[3] .

رابعًا : ويبدل السيئات حسنات :

قال تعالى : { **إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** } [الفرقان : 70] .

وقال الحسن البصري : أبدلهم اللَّه العمل السيء العمل الصالح ، وأبدلهم بالشرك إخلاصًا ، وأبدلهم بالفجور إحصانًا ، وبأدلهم بالكفر إسلامًا[4] .

11- صَلاتُه جل جلاله على المؤمنين :

---

1 () متفق عليه .

2 () رواه مسلم ؛ الخِطام بكسر الخاء « الحبل » الذي تُقاد به الدابة .

3 () شرح كتاب « رياض الصالحين » (1/89، 90) ، باب التوبة ، شرح العلاّمة محمد بن صالح بن عثيمين .

4 () تفسير ابن كثير (3/311) .

قال تعالى : { **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** } [الأحزاب : 43] . قال ابن كثير : والصلاة من اللّه ثناؤه على العبد عند الملائكة . حكاه البخاري عن أبي العالية ... وقال غيره : الصلاة من اللّه عز وجل الرحمة ، وقد يقال : لا منافاة بين القولين . واللّه أعلم[1] .

12- مضاعفة الحسنات والأجور :

فمن رحمته سبحانه مضاعفة الحسنات إلى ضعاف كثيرة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف** »[2] . ومن الأعمال ما ينميها اللّه حتى يجعلها كالجبل . فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول الله صلى اللّه عليه وسلم : « **من تصدق بعدل تمرة من كسب طيبٍ ولا يقبل اللّه إلا الطيب ، فإن اللّه يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل** »[3] .

13- رحمة اللّه تبارك وتعالى بقلوب عباده :

فقد قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « **القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء** »[4] .

1- فإذا شاء اللّهُ لعبد الهدى شرح قلبه للإسلام .

---

[1] () المصدر السابق (3/465) .

[2] () صحيح : أخرجه مسلم (ج 2 - صيام / 159) ، وبنحوه النسائي (ج 4 - ص 162) ، وأحمد (ج 19/10178) ، وابن ماجه (ج 1 / 1638) .

[3] () رواه البخاري ومسلم ، وأحمد ، والفَلُوُّ : هو المُهْرُ ، ويقال بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو .

[4] () أخرجه أحمد 3/112، والترمذي (2140) ، وابن ماجه (3834) ، من حديث أنس رضي الله عنه . وانظر صحيح ابن ماجه (3092) .

قال تعالى : { **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ** } [الأنعام : 125] .

2- وإذا أراد بعبد رشادًا حبَّبَ إليه الإيمان وزينه في قلبه فعاش بالإيمان سعيدًا وعن الكفر والعصيان بعيدًا . قال تعالى : { **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً** } [الحجرات : 7، 8] .

3- ويُسعد المؤمنين بحبهم له ولرسوله وحب المؤمنين في اللّه فيشعر بحلاوة الإيمان ولذة القرب من الرحمن جل جلاله . عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون اللّهُ ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** »[1] .

وقال تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** } [مريم : 96]. وذلك بعكس الطغاة والعصاة أمثال المشركين من أهل الكتاب ، فقد قال تعالى في النصارى : { **فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** } [المائدة : 114] .

14- الجنة من رحمة اللَّه عز وجل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تحاجَّت الجنة والنار ، فقالت النار : أُوثِرْتُ بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاءُ الناس وسقطُهم ، قال**

[1] () متفق عليه .

اللَّه تبارك وتعالى للجنة : أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : إنما أنتِ عذابٌ أعذِّبُ بك من أشاء من عبادي »[1] .

15- دخول الجنة برحمة اللَّه عز وجل :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا يدخل أحدًا الجنة عمله** » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني اللَّه بمغفرة منه ورحمة** »[2] .

16- شفاعة أرحم الراحمين في أهل النار :

فما من أحدٍ يملك لغيره شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد أن يأذن اللَّه لمن يشاء ويرضى . قال تعالى : { **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** } . وسيجعل اللَّه درجاتٍ للشفاعة والشافعين ، فهناك شفاعة للأنبياء والمرسلين ، وشفاعة للصديقين ، وشفاعة الشهداء فيُشَفِّعُهم اللَّه عز وجل ، ثم بعد ذلك يشفع هو سبحانه وبحمده شفاعة فيخرج أضعاف ما أخرجه كل هؤلاء حتى يعجب أهلُ الجنة من ذلك ، وإليك صورًا من شفاعة أرحم الراحمين :

شفاعته عز وجل في الموحدين :

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة الطويل : « **ثم يقال : ادعوا الصديقين فيشفعون ، ثم يقال : ادعوا الأنبياء ، قال : فيجيء النبيُّ ومعه العِصابة ، والنبي ومعه الخمسةُ والستة ، والنبي وليس معه أحد ، ثم يقال : ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا ، وقال : فإذا فعلت الشهداء ذلك . قال : يقول اللَّه عز وجل : أنا أرحم الراحمين ، أَدْخِلُوا جَنَّتِي من كان لا يُشْرِك**

---

[1] () رواه البخاري (8/595) رقم الحديث 4850 .

[2] () أخرجه البخاري (6463، 6467) ، ومسلم (2816، 2818) ، من حديث أبي هريرة وعائشة ، رضي اللَّه عنهما .

بي شيئًا » . قال : « **فيدخلون الجنة ...** »[1] .

وفي حديث آخر : « **فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأُخْرِجَنَّ منها من قال : لا إله إلا اللَّه** »[2] .

وفي رواية : أن اللَّه تبارك وتعالى يقول للرسل : « **اذهبوا ، أو انطلقوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجوه** » . ثم يقول اللَّه عز وجل : « **أنا الآن أُخْرِج بعلمي ورحمتي** » . فيُخرج أضعافَ ما أخرجوا وأضعافه فيكتب في رقابهم عتقاء اللَّه عز وجل ، ثم يدخلون الجنة[3] .

17- رحمته بالنمل ، سبحان اللَّه وبحمده :

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قَرَصَتْ نملةُ نبيًا من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأُحْرقت ، فأوحى اللَّه إليه : « **أنْ قَرَصَتْك نملة أحرقت أمةً من الأمم تُسبح اللَّه** »[4] . وفي رواية : « **فأوحى اللَّه إليه : فهلا نملةً واحدةً** »[5] .

فسبحان من لم تمنعه عظمته وكبريائه من رحمة الضعيف الصغير من خلقه حتى يعاتب نبيًا له من أجل نملٍ ، لا حول له ولا قوة إلا بربه .

ثالثًا : ليس كمثله شيء في رحمته :

وذلك من عدة أوجه :

أولاً : رحمة الخلق مخلوقة فتوجد بوجودهم

---

[1] () صحيح : أخرجه أحمد (ج 1/15) ، وابن حبان (589- موارد) ، وأبو عوانة (ج 1 ص 175) .

[2] () أخرجه البخاي (13/7510) ، ومسلم (ج 1 - إيمان 326) .

[3] () صحيح أخرجه أحمد (ج 3/ص325) .

[4] () رواه البخاري (6/154) (رقم الحديث 3019) ، ومسلم (ج 4 - السلام - 148) ، وغيرهما .

[5] () صحيح . أخرجه البخاري (ج 6/3319) ، ومسلم (ج 4 - السلام - 150) .

وتفنى بفنائهم ، أما رحمة اللَّه عز وجل فإنها صفة ذاتية له لا تفنى ولا تبيد ، قال تعالى : { **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** } [الرحمن : 26، 27] .

ثانيًا : رحمة الخلق قليلة محدودة ، أما رحمة اللَّه فقد وسعت كل شيء ، فكلٌ يرحم بقدر قدرته ، فالناس يرحمون في حالٍ دون آخر ، فيرحمون القريب دون الغريب ، ويرحمون الحبيب دون العدو ، أما رحمة اللَّه عز وجل فقد عمَّت الخلق جميعًا ، قال تعالى : { **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** } [الأعراف : 156].

ثالثًا : رحمة الناس تختلط باللهفة والضعف لمن يرحم ، فالأم إذا مرض ولدُها تحزن ، وإذا غاب عنها تقلق وإذا مات هلعت ، وذلك من حبها له ورحمتها عليه ، وقد بكى النبي صلى الله عليه وسلم عند موت ابنه إبراهيم ، وحزن عليه ، وذلك من رحمته به صلى الله عليه وسلم .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : « **يا ابن عوف ، إنها رحمة** » . ثم أتبعها بأخرى ، فقال : « **إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون** »[1] .

ولكن اللَّه جل جلاله لا يحزن ولا يتألم ولا يبكي ولا يقلق ، ولا يتلهف، وهكذا ما لهذه الصفات من نقص وضعف لا يخفى على كل عاقل أن هذا لا يليق باللَّه سبحانه وبحمده . إنما يرحم من قوة ، ويعفو من قدرة ، ويغفر في عزَّة ولا يُسأل عما يفعل وهم

[1] () رواه البخاري ، وروى بعضه مسلم .

يسألون .

رابعًا : لا تقنطوا من رحمة اللَّه :

قال تعالى : { **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** } [الزمر : 53] . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **لو يعلم المؤمن ما عند اللَّه من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند اللَّه من الرحمة ما قنط من جنته أحد** »[1] .

ولذا فإن القنوط من رحمة اللَّه من علامات الكفر والضلال ، وما يقنط من رحمة اللَّه عز وجل إلا رجلٌ من اثنين : ضال ، أو كافر ، قال تعالى : { **وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ** } [الحجرات : 56] .

وقد نصح يعقوب عليه السلام بنيه بألا ييأسوا من روح اللَّه أبدًا ، وذلك في قوله تعالى : { **وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** } [يوسف : 87] .

عن جندب أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : « **أن رجلاً قال : واللَّه لا يغفر اللَّهُ لفلان ، وإن اللَّه تعالى قال : من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرتُ لفلان وأحبطتُ عملك** »[2] .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه وقد قال لضمضم بن جوس اليمامي : يا يمامي لا تقولنَّ لرجل : واللَّه لا يغفر اللَّه لك ، أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا . فقال له : يا أبا هريرة ، إن هذه الكلمة ، يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه ، إذا غضب ، قال أبو هريرة : فلا تقلها ، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **كان في بني إسرائيل رجلان ؛ كان**

---

[1] () رواه مسلم (4/2755) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة .

[2] () صحيح أخرجه مسلم (4/137) ، البر والصلة .

أحدهما مجتهـدًا فـي العبـادة ، وكـان الآخـر مسرفًا على نفسه ، فكانـا متـآخين ، فكـان المجتهـد لا يـزال يـرى الآخـر علـى ذنـب ، فيقـول : يـا هـذا أقصـر ، فيقـول : خلِّنـي وربي ، أبعثت علـيَّ رقيبًـا ؟ قـال : إلـى أن رآه يومًا على ذنـب استعظمه ، فقـال لـه : ويحك أقصر ، قال : خلِّني وربِّي ابعثت عليَّ رقيبًـا ؟ قـال : فقـال : واللَّـه لا يغفـر اللَّـهُ لـك ، أو لا يـدخلك اللَّـه الجنـة أبـدًا ، قـال أحـدهما : قـال : فبعـث اللَّـه إليهمـا مَلَكًـا فقبـض أرواحهمـا واجتمعـا عنـده ، فقـال للمـذنب : اذهـب فادخـل الجنـة برحمـتي ، وقال للآخر : أكنت بي عالمًا ؟ أكنت على ما في يدي خازنًا ؟ اذهبوا به إلى النار . قـال : فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته »[1] .

خامسًا : مـن أسـباب الحرمـان مـن رحمـة اللَّـه تبارك وتعالى :

فبالرغم من سعة رحمـة اللَّـه وعظمتهـا ، إلاَّ أن هناك من الناس من حرموا أنفسهم منهـا بـذنوبهم ، وسنذكر فيما يلي جانبًا منهم :

أولاً : من لا يَرحم لا يُرحم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبَّلَ رسـولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم الحسـن بـن علـيٍّ وعنـده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا . فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « **مـن لا يَرْحَمُ ، لا يُرْحَم** »[2] ، ولِمَ يرحم اللَّه من لم يرحـم عباده الذين خلقهم بيده ونفخ فيهم من روحه ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسـلم : « **لا يرحم اللَّـه**

---

[1] () حسن . أخرجه أحمد (ج16/8275) .

[2] () أخرجه البخاي (5997) .

من لا يرحم الناس »[1] .

ثانيًا : تعذيب الناس :

فعن ابن مسعود البدري رضي الله عنه قال : كنت أضرب غلامًا لي بالسوط ، فسمعت صوتًا من خلفِي : « **اعْلَمْ أبا مسعود أن اللَّهَ أقدرُ عليك منك على هذا الغلام** » . فقلت : لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا . وفي رواية : فقلت : يا رسول اللَّه ، هو حرٌ لوجه اللَّه ، فقال : « **أما لو لَمْ تَفْعَل لَلَفَحَتْكَ النارُ أو لَمَسَّتْكَ النارُ** »[2] .

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما قال : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إن اللَّه يُعذِّب الذين يُعذّبون الناس في الدنيا** »[3].

ثالثًا : تعذيب الحيوانات :

فقد حرَّم اللَّه تعذيب الحيوان والحشرات ، ويعاقب من فعل ذلك ؛ فعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **عُذِّبت امرأةٌ في هِرَّة : حبستها حتى ماتَتْ فدخَلَتْ فيها النار ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاشِ الأرض** »[4] .

رابعًا : الاختلاف والفرقة :

وكفى بنزع الرحمة عن المختلفين ثلاثة أمور كل منها أشد من الأخرى .

الأولى : حرمان المغفرة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **تُفْتَح أبوابُ الجنةِ يوم الاثنين ويوم الخميس فيُغفَرُ لكلِ عبدٍ لا**

---

1 () أخرجه البخاري (13/358) الحديث رقم (7376) .

2 () رواه مسلم .

3 () رواه مسلم .

4 () متفق عليه ، وخشاش الأرض : هوامها ، وحشراتها .

يُشرك باللَّه شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : أنظِرُوا هَذَيْنِ حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا »[1] .

الثانية : ضياع الهُدى :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما حُضِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمرُ بن الخطاب ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **هَلمَّ أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده** » . فقال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسْبُنَا كتابُ اللَّه . فاختلف أهل البيت فاختصموا . منهم من يقول : قرِّبُوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتابًا لن تضلوا بعده . ومنهم من يقول ما قال عمر . فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قوموا عنِّى** » . وكان ابن عباس يقول : **إن الرَّزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم**[2] .

الثالثة : إخفاء ليلة القدر عن المسلمين :

عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين ، فقال : « **خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان ، فَرُفعِت ...** »[3] .

سادسًا : من أسباب رحمة اللَّه لخلقه :

1- طاعة اللَّه ورسوله :

فكلما كان العبدُ أكثر طاعة لله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كلما كان أكثر

---

1 () رواه مسلم ، والشحناء : هي العداوة ، وانْظِروا ، أي : أخِّرُوا .

2 () رواه البخاري (5669) - كتاب المرض ، وكتاب العلم .

3 () رواه البخاري .

استحقاقًا لرحمة اللَّه عز وجل . قال تعالى : { **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** } [آل عمران : 132] . وقال عز وجل : { **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** } [الأنعام : 155] .

2- الإحسان :

قال اللَّه تبارك وتعالى : { **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** } [الأعراف : 56] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّه كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ...** »[1] .

3- تقوى اللَّه تبارك وتعالى :

فإن كانت رحمة اللَّه قد وسعتْ كل شيء وشملت البر والفاجر ، والمسلم والكافر ، فما من أحد إلا وهو يتقلب في رحمة اللَّه آناء الليل وأطراف النهار وهذا في الدنيا وتلك هي الرحمة العامة ، أما الرحمة الخاصة بدخول الجنة في الآخرة فهي للمؤمنين والمتقين وحدهم . قال تعالى : { **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ** } [الأعراف : 156] .

4- صلة الرحم :

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « **قال اللَّه : أنا اللَّه ، وأنا الرحمن ، خلقتُ الرَّحِمَ وشققتُ لها اسمًا من اسمي ، فَمَنْ وصلها وَصلتُه ، ومن قطعها بتَتُّه** »[2] . وبَتَتُّه : أي قطعتُه .

فانظر أخي الكريم إلى هذه الشكوى المرة من

---

[1] () رواه مسلم .

[2] () صحيح . أخرجه الترمذي (ج 4 /1907) ، وأحمد (ج 3/1686) ، وأبو داود (ج 2/1694) ، والحميدي (ج 1 /65) .

الرحم المقطوعة إلى اللَّه ، وانظر أتحب أن تكون من الواصلين للرحم أم من القاطعين .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الرحم مشْجَنَةٌ من الرحمن ، تقول : يا ربِّ ، إني قُطِعْتُ ، يا ربِّ إني ظُلمتُ ، يا ربِّ إني أُسئَ إليَّ ، يا ربِّ ، يا ربِّ ، فيُجيبُها ربُّها عز وجل ، فيقولُ : « **أما تَرْضَيْنَ أن أصِل من وصلك وأقطع من قطعك ؟** »[1] . وفي رواية : « **ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يا رب ، قال : فذاك** ».

قال أبو هريرة : اقرؤا إن شئتم : { **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** } [محمد : 22][2] .

5- التماس مرضاة اللَّه :

عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن العبد ليلتمسُ مرضاةَ اللَّه ، ولا يزالُ بذلك ، فيقول اللَّهُ عزَّ وجلَّ لجبريل : إن فلانًا عبدي يلتمس أن يرضيني ، ألا وإن رحمتي عليه ، فيقول جبريل : رحمة اللَّه على فلان ، ويقولها حملة العرش ، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماواتِ السبع ، ثم تَهبِطُ له إلى الأرض** »[3] .

6- الصبر على الابتلاء :

قال تعالى : { **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** } [البقرة : 155- 157] .

---

[1] () صحيح . أخرجه أحمد (ج19/9871) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص 36/35) ، والحاكم (ج4 ص162) ، وابن حبان .

[2] () صحيح . أخرجه البخاري (ج 8 / 4830) ، ومسلم (ج 4- البر والصلة - 16) وغيرهما .

[3] () صحيح . أخرجه أحمد (5/279) .

قال ابن كثير : { **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** } أي : ثناءً عليهم ، وقال سعيد بن جبير : أي أمَنَة من العذاب[1] .

ومن رحمة اللَّه بمن استرجع عند المصيبة أنه يخلف له خيرًا منها . عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتني واخلف لي خيرًا منها ، إلا أجره اللَّه في مصيبته وأخلف له خيرًا منها** » . قالت : فلما تُوفِّيَ أبو سلمة قلتُ كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخلف اللَّهُ لي خيرًا منه ، رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم[2] . فيا لسعادة أم سلمة ، فقد تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بصبرها .

7- رحمة الناس :

فعن عبد اللَّه بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وهو على المنبر : « **ارحموا تُرْحَمُوا ، واغفروا يَغْفِر اللَّهُ لكم** »[3] .

من أسامة بن زيد رضي الله عنها أن صبيًا قد رُفع في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ونفسه تقعقع ففاضت عينا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له سعد : ما هذا يا رسول اللَّه ؟ قال : « **هذه رحمةٌ وضعها اللَّهُ في قلوب من شاء من عباده ولا يرحم اللَّه من عباده إلا الرحماء** » .

وفي رواية : « **إنما يرحمُ اللَّه من عباده**

---

1 () تفسير ابن كثير (1/188) .

2 () أخرجه مسلم (918) .

3 () أخرجه أحمد (2/165، 219) ، والبخاري في الأدب المفرد (380) ، وانظر الصحيحة (480).

الرحماء »[1] .

« **من رحم رُحم ومن تجاوز تجاوز اللَّهُ عنه** » والجزاء من جنس العمل .

فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **حُوسِب رجلٌ ممن كان قبلكم ، فلم يوجد له من الخير شيءٌ إلا أنه كان يخالطُ الناس ، وكان موسرًا ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر ، قال : قال اللَّه عز وجل : نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه** »[2] .

قد يعجب المرءُ من رحمة اللَّه بعبدٍ تجاوز عن فقير فيكافؤه بالنجاة من النار والخلود في الجنة ، ولكنه يكون أكثر عجبًا حين يرحم اللَّهُ امرأة من البغايا ويغفر لها من أجل شربة ماء سقتها لكلب ، **فما أرحم اللَّه ، وما أكرمه ، وما أعظمه .**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **بينما كلب يُطَيِّفُ بَركِيَّةٍ قد كاد يقتله العطشُ إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل ، فنزعت موقها فاستقت له به فسقته ، فَغُفِر لها به** »[3] .

8- من جوائز الرحمن لمن رحم إخوانَه :

فمن رحم الناس رحمه الله ، ومن قضى حاجة إخوانه ، قضى اللَّه حاجته، ومن أحسن إلى الناس ، أحسن اللَّه إليه ، والجزاء من جنس العمل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أحب الناس إلى اللَّه تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى اللَّه عزَّ وجلَّ سرور**

---

[1] () أخرجه البخاري (1284، 5655، 6602) (6655، 7377، 7448) ، ومسلم (923) ، وتقعقع : أي في سكرات الموت .

[2] () صحيح . أخرجه مسلم (ج 3 - المساقاة - 30) ، والبخاري في الأدب المفرد (293) ، والترمذي (ج 3/1307) ، وأحمد (ج 4 /118) .

[3] () متفق عليه ، يطيف : يدور حول « رَكِيَّه » وهي البئر .

يدخله على المسلم أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه دينًا أو يطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليَّ من أن اعتكف في هذا المسجد شهرًا ، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تُهيأ له أثبت اللَّه قدمه يوم تزول الأقدام ، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل »[1] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان اللَّه في حاجته ، ومن فَرَّج عن مسلم كربة ، فرَّجَ اللَّه عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره اللَّه يوم القيامة** »[2] .

9- الجماعة رحمة :

قال تعالى : { **وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ** } . قيل في هذه الآية المرحومون لا يختلفون .

وقد جاء في بعض الحديث : « **الجماعة رحمة والفرقة عذاب** » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **يد الله مع الجماعة** » . ويقصد بالجماعة : أي جماعة المسلمين والرفقة الصالحة فإن لزومهم كله خير ، فإنهم يذكرونك إن غفلت ، ويعلمونك إن جَهلْتَ ، ويُواسُونَكَ إن أُصِبْتَ . فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء ، وعُدَّةٌ في البلاء ، ولا تصاحب إلا الأمين ولا أمين إلا

---

[1] () صحيح . السلسلة الصحيحة رقم (906) .
[2] () متفق عليه .

من خشي الله عز وجل ، ولا تصاحب الفاجر فتتعلم من فجوره .

سابعًا : دعاء اللَّه باسميه « الرحمن ، الرحيم » :

1- دعاء الثناء والحمد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال اللَّه تعالى : « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال اللَّه تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم . قال اللَّه : أثنى عليَّ عبدى ...** »[1] .

2- ومن ذلك أيضًا دعاء المسألة والطلب :

قال ابن كثير : قال ابن المبارك : الرحمن إذا سُئِل أعطى ، والرحيم إذا لم يُسأل يغضب ، وهذا كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من لم يسأل اللَّهَ يغضب عليه** »[2] . وقال بعض الشعراء :

لا تسألنَّ بنيَّ آدم وسل الذي أبوابه لا

اللَّه يغضب إن تركت وبنيَّ آدم حين يسأل

فمن عرف رحمة اللَّه تبارك وتعالى وسَعَتَها ازداد فيها طمعًا واشتد فيما عند اللَّه طلبًا وعزم في سؤال حاجته .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم في المسألة ، فإنه لا مُسْتَكْرِهِ**

---

[1] () صحيح أخرجه مسلم (ج 1 - الصلاة - 38) ، وأحمد (ج 13/7289) .

[2] () رواه الترمذي ، وابن ماجه من حديث أبي صالح الخوزي .

له » . وفي رواية : « **وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مُكْرِه له** »[1] .

وعن أنس بن مالك قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لفاطمة : « **ما يمنعك أن تَسمعي ما أُوصيك به ! أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كلَّه ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين** »[2] .

ومن دعاء المؤمنين ما جاء في قوله تعالى : { **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** } [آل عمران : 8] .

وكان من دعاء أصحاب الكهف لمَّا هجروا قومهم خوفًا منهم وهربًا من طغيانهم وظلمهم فلم يجدوا ملاذًا إلا رحمة اللَّه تعالى ، قال اللَّه عز وجل : { **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** } [الكهف : 10] .

{ **وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ** } .

* * •

« الملك ، المالك ، المليك » جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه

---

[1] () أخرجه البخاري (6339، 7447) .

[2] () إسناده حسن ، أخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (570) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (48) ، والبزار (3107) « زوائد » ، والحاكم (1/545) ، والبيهقي في « الأسماء » (ص 112) من طرق عن زيد بن الحباب حدثني عثمان بن موهب الهاشمي قال : سمعت أنس بن مالك يقول فذكره . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

المُلْــكُ : هــو التصــرف بــالأمر والنهــي فــي الجمهور ، وذلك يختـص بسياسـة النـاطقين ، ولهـذا يقال : مَلِكُ الناس ، ولا يقال : مَلِكُ الأشياء .

و« المَلْـــــك » ، و« المَلِـــــك » ، و« المَليـــــك » ، و« المالك » : ذو الملك .

والمُلْكُ الحقُّ الدائم للـه .. والملكـوت : مختـص بمِلْكِ الله تعالى وهو مصدر مَلَكَ أدخلت فيـه التـاء ، نحو : رحموت ، ورهبوت ، قـال تعـالى : { **وَكَـذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** } [الأنعــام : 75]، والمملكــة : ســلطان المَلِــكِ وبقــاعه الــتي يتملَّكها .

وملاك الأمــر : مــا يُعْتَمــد عليــه منــه ، وقيــل : **القلـــب ملاك الجســـد .** والمِلاكُ : التزويـــج ، وأمْلَكُـوه : زَوَّجُـوه ، شُـبِّه الـزوج بملـكٍ عليهـا فـي سياستها ، وبهـذا النظـر قيـل : **كـاد العـروس أن يكون مَلِكًا[1] .**

قـال ابـن سـيده : المَلْـك ، والمُلـك ، والمِلْـك : احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به .

وتملكه : أي ملكه قهرًا أو أملكه الشـيء وملَّكـه إياه تمليكًا جعله ملكًا له .

الدليل على ورود هذه الأسماء الكريمة :

أما اسم الله الملك ، فقد جـاء فـي القرآن عـدة مرات ؛ منها قوله تعـالى : { **فَتَعَـالَى اللَّـهُ الْمَلِـكُ الْحَقُّ** } [طه : 114] ، وقوله تعالى : { **هُوَ اللَّهُ الَّـذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ** } [الحشر : 23] .

وأما اسم المليـك فلـم يـرد إلا مـرة واحـدة فـي قوله تعالى : { **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** } [القمر : 54- 55] .

وقد جاء اسم « المالك » في الحـديث الشـريف . عن أبي هريرة رضي الله عنـه أن النـبيَّ صـلى اللـه

---

[1] () المفردات للراغب (ص 472) .

عليه وسلم قال : « **لا مالك إلا اللَّه** »[1] .

المعنى في حق اللَّه عز وجل :

قال الزجاج : وقال أصحاب المعاني : الملك ، النافذ الأمر في ملكه إذ ليس كل مالك ينفذ أمره أو تصرفه فيما يملكه ، فالملك أعمُّ من المالك ، واللَّه تعالى مالك المالِكين كلِّهم ، وإنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى[2] .

قال الخطابي : الملك : هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات ، فأما المالك : فهو خاص الملك[3] .

وقال الليث : الملك هو اللَّه - تعالى وتقدس - ملك الملوك له الملك وهو مالك يوم الدين[4] .

وقال ابن جرير : الملك الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا تحت سلطانه[5].

وقال ابن كثير : { هُوَ اللَّـهُ الَّـذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ } [الحشر : 23] أي : المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة[6] .

قال ابن القيم رحمه اللَّه : الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي فيتصرَّف في خلقه بقوله وأمره ، وهذا هو الفرق بين الملك والمالك ؛ إذ المالك هو المتصرِّف بفعله ، والملك هو المتصرِّف بفعله وأمره ، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرِّف بفعله وأمره[7] .

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

1- لا ملك إلا الله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى

---

1 () رواه مسلم .
2 () تفسير أسماء الله الحنى (ص 30) .
3 () شأن الدعاء (ص 40) .
4 () اللسان (6/4266) .
5 () جامع البيان (28/36) بتصرف .
6 () تفسير ابن كثير (4/343) .
7 () بدائع الفوائد (4/165) .

الله عليه وسلم أنه قال : « **لا ملك إلا الله** »[1] .

وقال تعالى : { **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [آل عمران : 26] . ولا يمتلك أحدٌ شيئًا إلا من بعد إذنه .

قال تعالى : { **وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** } [البقرة : 247] .

2- فعَّال لما يريد :

1- **قال ابن القيم :** الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي فيتصَّرف في خلقه بقوله وأمره[2] .

قال تعالى : { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } [يس : 82].

فالملك الحق هو اللَّه جل جلاله ، فكل شيءٍ تحت قهره ويحدث بقَدَرِه ويتحرك بأمره كما جاء في الحديث القدسي أن أبا ذر رضي اللّه عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « **أفعل ما أريد ، عطائي كلام ، وعذابي كلام ، إنما أمري بشيءٍ إذا أردته أن أقول له كن فيكون** »[3] . فقد ملك اللّه كل شيءٍ بأمره ونهيه وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك :

1- في خلق السماوات والأرض :

عن ابن ..... رضي الله عنهما في قوله تعالى : { **فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** } [فصلت : 11] . قال للسماء : « **أخرجي شمسك وقمرك ونجومك** » ، وقال للأرض : « شقِّقي أنهارَك وأخرجي ثمارك » .

---

1 () رواه مسلم (2143) .

2 () بدائع الفوائد (4/165) .

3 () أخرجه الترمذي (4/2495) ، وأحمد (5/77، 154) ، وابن ماجه نحوهما (2/4257) .

فقالتا : أتينا طائعين[1] .

2- في خلق آدم وذريته :

قال تعالى : { **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } [آل عمران] .

3- في نجاة إبراهيم عليه السلام من النار :

فعندما كسَّر الأصنام التي تُعبد من دون الله أراد قومه أن يحرقوه ، فلما ألقوه في النار ما بعث الله ريحًا لتطفئها ولا ماءً ليخمدها ولا ملكًا ليُخرج إبراهيم ، إنما تكلم بكلمة إلى النار فخضعت لأمر الملك الجبار ، قال تعالى : { **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** } [الأنبياء : 69] .

4- في عقوبة أصحاب السبت :

لما اعتدى أصحاب السبت واحتالوا على أمر الله فاصطادوا يوم السبت عاقبهم الله ولكن بِمَ عاقبهم ؟ عاقبهم بكلمة منه ، كلمة غيرت حياتهم وصورتهم وآخرتهم إلى أبشع حال ، فأما صورتهم فتحولت إلى صورة القرود ونهايتهم في جنهم وبئس الورد المورود ، وذلك جزاء ناقض العهود ، إنهم اليهود ، قال تعالى : { **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ** } [البقرة : 65، 66] .

وقال تعالى : { **فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** } [الأعراف : 166] .

سبحان الملك ، بكلمة منه أصبحوا قردة ، فإن الأجساد ملك لله فهو خالقها ومدبرها ورازقها وملكها وهي تدين له بالولاء والطاعة كبقية مخلوقات الله ، فعندما قال لهم : كونوا قردة استقبلت أجسامهم الأمر فأصبحت أجسام قردة

---

[1] () أخرجه الحاكم (ج1 ص 27) وقال : « تفسير الصحابي عند الشيخين مسند » .

واستقبلت أيديهم وأرجلهم الأمر فأصبحت أيدي وأرجل قردة ، بل وقلوبهم أصبحت قلوب قردة ، كما قال مجاهد .

سبحان الله ، أجسامهم بين أيديهم وقلوبهم في أجوافهم ولا يملكون منها مثقال ذرة ويملكها الله عز وجل من فوق سبع سموات بكلمة واحدة ، { فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } .

3- ذُلَّ الملوك بين يدي ملك الملوك جل جلاله وتقدست أسماؤه :

فإن ملوك الأرض قد أختصوا في الدنيا بالعزة والمنعة والسلطان والقوة وهذه نعمة من الله عليهم فمن شكرها فقد فاز ومن كفر تلك النعمة ولم يؤد شكر هذه الخصوصية اختصه الله بعذابٍ من عنده ، والجزاء من الجنس العمل ، فمن ذلك .

1- غَلْقُ أبواب السماء دون حاجتهم :

فإن اللّه عز وجل قد جمع لهم أسباب الحكم والعطاء وجعل بيدهم خزائن الأرض فمن حجبها عن الضعفاء والمساكين حجب الله عنه ما ينفعه وعطل عليه حاجته .

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما من إمام أو والٍ يغلقُ بابه دون ذوي الحاجة والخلة ، والمسكنة ، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته ، وحاجته ومسكنته** »[1] .

2- احتجاب الله عنهم يوم القيامة :

فمن ملك من أمر الناس شيئًا تَطَلَّعوا إليه ورجوا ما عنده فإن حجب نفسه عنهم وحرمهم مما يرجون احتجب اللهُ عنه يوم القيامة وحرمه مما يرجو من النجاة .

فقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « **من**

---

[1] () صحيح : رواه أحمد في « مسنده » ، والترمذي عن عمر بن مرة ، وصححه الألباني في « صحيح » رقم (5561) ، و« الصحيحة » رقم (630) .

ولي من أمور المسلمين شيئًا فاحتجب دون خلتهم ، وحاجتهم ، وفقرهم ، وفاقتهم ، احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته ، وفاقته ، وفقره »[1] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زانٍ ، وملك كذّاب ، وعائل مستكبر** »[2] .

3- يأتي الملوك إلى الله مغلولة أيديهم إلى أعناقهم :

فكما كانوا أحرارًا طلقاءً في الأرض لا يسئلهم أحدٌ من الخلق ولا يتقيدون في حركتهم كبقية الرعية فإنهم يأتون يوم القيامة مغلولين إلى الله عز وجل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى اللَّهَ مغلولة يده إلى عنقه ، فكَّه بره أو أوثقه إثمه ، أولها ملامة ، وأوسطها ندامة ، وآخرها خزيٌ يوم القيامة** »[3] .

4- ويُحْرمون من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم :

فكما أن الظلمة من ملوك الأرض ظلموا الناس حقوقهم ، ولم يعدلوا فيهم بشرع الله ولم يَشفع عندهم ضعف الرعية ومسكنتهم فإنهم يُحْرَمُون من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم .

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي : إمام ظلوم**

---

1 () صحيح : لأبي داود ، وابن ماجه ، والحاكم في « المستدرك » عن أبي مريم الأزدي وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (6471) ، و« الصحيحة » رقم (629) .

2 () صحيح : رواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة .

3 () حسن : أحمد في « مسنده » عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (5594)، و« الصحيحة » رقم (348) .

غشوم ، وكل غالٍ مارق » [1] .

5- لا يدخلون الجنة :

فكمـا أن الأمـن والعـدل يكـون نعيمًـا للضـعفاء والمساكين ، بـل ولكـل الرعيـة وقـد حرمهـم منهـم الملك الظالم وغشهم وضيع مصـالحهم فـإنه يُحـرم من دخول الجنة .

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما مـن عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يمـوت ، وهو غاش لرعيته ، إلا حرَّم الله عليه الجنة** » [2] .

6- وهم أشد الناس عذابًا :

فإن أشد الظلم ما كان مـن ولـي الأمـر وأعظـم الألم من الجور هو ألم تعذيبه لمـا لـه مـن قـوة ومـا عنده من سلطان ، فإن عذَّب الناس لا يجـدون مـن بطشه مفرًا إلا إلى اللـه ، ولـذلك فـإن الظـالم مـن الملوك لن يجد مفرًّا من النار . فقد قال النبي صلى اللـه عليـه وسـلم : « **أيمـا راعٍ اسـترعى رَعِيَّـة فَغَشَّها فهو في النار** »[3] .

وقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **أشـد الناس يوم القيامة عذابًا إمام جائر** » [4] .

وعن حذيفة رضي اللّـه عنـه : « **يؤتى بـالولاة يوم القيامة عادِلِهمْ وجائِرِهِمْ ، حتى يقفـوا على جسر جهنم ، فيقـولَ اللّـه عـز وجـل : فيكم طلبتي ، فلا يبقـى جـائرٌ فـي حكمـه ،**

---

1 () حسن : الطبراني في « الكبير » عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (3692) ، و« الصحيحة » رقم (470) .

2 () صحيح : رواه البخاري ومسلم عن معقل بن يسار .

3 () صحيح : رواه ابن عساكر عن معقل بن يسار ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (2710) ، و« الصحيحة » رقم (1754) .

4 () حسن : رواه أبو يعلى في « مسنده » ، والطبراني في « الأوسط » ، وأبو نعيم في « الحلية » عن أبي سعيد وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (1012) .

مُرتــشٍ فــي قضــائه ، مميــلٌ سَــمْعَه أحــدَ الخصمين إلا هوى في النار سبعين خريفًــا ، ويؤتى بالرجل الذي ضرب فوق الحد فيقول اللّه : لم ضربت فوق مـا أمرتـك ؟ فيقـول : يا رب ، غضبت لك . فيقول : أكـان لغضـبك أن يكون أشد مـن غضـبي ؟! ويُـؤْتى بالـذي قصَّرَ فيقول : عبدي لِمَ قصرت ؟ فيقــول : رحمته ، فيقـول : أكـان لرحمتـك أن تكـون أشدَّ من رحمتي ؟! »[1] .

4- لمن الملك اليوم ؟

قال تعالى : { **يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَـى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَـنِ الْمُلْـكُ الْيَـوْمَ لِلَّـهِ الْوَاحِـدِ الْقَهَّارِ** } [غـافر : 16] ، وهو يوم القيامـة الـذي يـزول فيه كل مالك ومملوك إلا ملك الملـوك جـلَّ جلالـه . قـال تعـالى : { **الْمُلْـكُ يَوْمَئِـذٍ الْحَـقُّ لِلرَّحْمَـنِ** } [الفرقان : 26] .

وعن سهل بن سعد قـال : سـمعت النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول : « **يُحْشَـرُ النـاس يـوم القيامـة علـى أرض بيضـاء عفـراء كقرصـة النقيِّ ، ليس فيها عَلَمٌ لأحـد** »[2] ، ليـس عليهـا مملكة لملـك ، ولا سـلطنة لـذي سـلطان ، ولا قـوة لحاكم ، ولا حكم لقاضـي ، ولا قـدرة لـوالي ، ليـس على الأرض معلم لذي عرش ولا تـاجٍ ولا صـولجان ، و{ **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ** } .

وعـن أبـي هريـرة رضـي اللّـه عنـه قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « **يقبـض اللـه تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ، ويطــوي السماء بيمينه ثـم يقـول : أنـا الملـك ، أيـن**

---

[1] () حسن لغيره . أخرجه أبو يعلى كما في كنز العمال (ج 6/14769) .

[2] () رواه البخاري (13/372) الرقاق ، ومسلم (17/134) صفة القيامة واللفظ له ، والعَلَمُ : أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر .

ملوك الأرض »[1] .

فقد ذهب الملوك وما ملكوا ، وقد فني الحُكَّام ، وما حكموا ، فقد هلك كسرى وقيصر ، وذي يزنٍ ، وساسان ، و{ **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ** } .

ولله درُّ القائل :

لكل شيءٍ إذا ما تم فلا يُغرَّ بطيب العيش
هي الأمور كما أمن سرَّه زمن ساءته
وعالم الكون لا تبقى ولا يدوم على حالٍ
أين الملوك ذوُو وأين منهم أكاليل
وأين ما شاده شدَّاد وأين ما ساسه في
وأين ما حازه قارون وأين عادٌ وشدادٌ
أتى على الكل أمرٌ لا قَضَوْا فكأن الكل ما
وصَّار ما كان من مُلكٍ كَما حكى عن خيال
دار الزمان على وأَمَّ كسرى فما آواه
كأن الصعب لم يسهل سليمان[2]

{ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ }

5- النهي عن التسمية بملك الملوك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أخنع اسم عند اللّه** » . وقال سفيان غير مرة : أخنع الأسماء عند الله « **رجل تسمى بملك الأملاك** » . وفي رواية : « **أخنى الأسماء يوم القيامة عند اللّه**

---

[1] () أخرجه البخاري (4812ـ 6519) ، ومسلم (17/131) صفة القيامة .

[2] () شعر لأبي البقاء الرندي الأندلسي من قصيدته في « رثاء الأندلس » ، وقد حذفت البيت الرابع والخامس حتى لا أطيل على القارئ وهما :

4- يمزق الدهر حتما كل سابغة إذا نبت مشرفيات وخرصان
5- وتنتفي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزنٍ والغمد غمدان

رجل تسمى بملك الأملاك »[1] .

قال سفيان : مثل شاهان شاه : أي ملك الملوك باللغة الفارسية .

فنبه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بـذمه لا ينحصر في ملك الأملاك بل كل ما أدَّى معنـاه بـأي لسان كان فهو مراد بالذم[2] .

ومعنـى أخنـع : أي أوضـع اسـم وأذلـه قـال أبـو عبيد : الخانع الذليل وخنع الرجل ذلَّ .

قال ابـن بطـال : وإذا كـان الاسـم أذل الأسـماء كان من تسمى به أشد ذُلاً حتى أخنـى : أي أفحـش اسم من الخنا وهو الفحش في القول .

وجاء في روايـة مسـلم : « **أغيظ رجـل علـى الله يوم القيامة وأخبثه** » .

قال ابن حجر : واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشـديد ، ويلتحـق به ما في معناه مثل خالق الخلـق وأحكـم الحـاكمين وسلطان السلاطين وأمير الأمراء[3] .

وأخرج الإمام أحمد في مسـنده مـن حـديث أبـي هريرة أيضًا قال : قال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم : « اشتد غضب الله على مـن زعـم أنـه ملـك الأملاك لا ملك إلا الله »[4] .

6- التواضع :

فإن من عرف أن اللَّه هو الملك الحق ، فلا بد له من أن يتواضـع ولا يرفـع نفسـه فـوق منزلـة العبيـد حتى لو كان من الملوك فإنه لا يعدو كونه عبدًا فقيرًا يقع تحت قهر الله وسلطانه .

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « يطوي اللـه عـز وجـل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثـم

---

1 () رواه البخاري (10/6205، 6206) ، ومسلم (1243/21) .
2 () فتح الباري (10/590) باختصار ، بأي لسان : أي بأي لغة .
3 () المصدر السابق .
4 () أخرجه أحمد (2/492) .

يقــول : أنــا الملــك ، أيــن الجبــارون ، أيــن المتكــبرون ... »[1] . فبمــاذا يجيــب الجبــارون والمتكبرون بعد هذا النداء ؟ وقـد كـان رسـول اللـه صلى الله عليـه وسـلم أشـد النـاس تواضـعًا لربـه ، ومن أجل ذلك اختار أن يكون عبدًا رسـولاً وأبـى أن يكون ملكًا نبيًا .

عن أبي هريرة قـال : جلـس جبريـل إلـى النـبي صلى الله عليـه وسـلم ، فنظـر إلـى السـماء ، فـإذا مَلَك ينـزل ، فقـال جبريـل : « **إن هذا الملـك مـا نزل منذُ يوم خُلِقَ قبل الساعة ، فلما نـزل ، قال : يا محمد ، أرسلني إليك ربـك ، قـال : أفَمَلِكًـا نبيًـا يجعلُـك أو عبـدًا رسـولاً ؟ قـال جبريل : تواضع لربك يـا محمـد ، قـال : بـل عبدًا رسولاً** »[2] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئًا يقــول : « **آكل كما يأكل العبـدُ ، وأجلـس كمـا يجلـس العبدُ** »[3] .

7- لكل ملك حِمَى :

فإياك ومعصية اللّه عزَّ وجلَّ فإنها منطقة خَطيرة ، وبقعة وَعِرة ، فمن ارتكـب شـيئًا مـن محـارم اللّـه فقد تعدى حدَّه وعرَّض نفسه لعقوبـة الملـك ، فمـن أراد لنفسـه النجـاة فليتقـى عقوبـة الملـك باجتنـاب محارمه .

فعن النعمان بن بشـير رضـي اللـه عنهمـا قـال : معت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إن الحلال بَيِّــنٌ وإن الحــرامَ بَيِّــنٌ ، وبينهمــا مشتبهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس ، فمـن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لـدينه وعرضـه ،**

---

1 () رواه مسلم .
2 () صحيح : أخرجه أحمد (ج 2 ص 231) .
3 () صحيح لغيره : أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي (610) ، والبغوي (ج 13/3683) .

ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحِمَى يُوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملكٍ حِمَى ، ألا وإن حِمَى اللّه محارمه ... »[1] .

وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتركون ثلاثة أرباع الحلال خشية الحرام ، وكان ابن عمر يقول : « أحب أن أجعل بيني وبين الحرام حائلاً من الحلال » ، وجاء في بعض الحديث : « **لن يبلغ العبد أن يكون تقيًا حتى يدع ما لا بأس به خشية مما به بأس** » .

8- ليس كمثله شيء في ملكه :

أولاً : ملك الخلق سببي وملك الله ذاتي :

فإن الخلق لا يكونوا ملوكًا إلا بأسباب الملك ، فلا بد له من مملكة يملكها أو ناس يحكمهم ، ولا بد له كذلك من أعوانٍ على ملكه ، فلا بد له من بطانة تحميه ، ووزراء يُشاورهم ، وجنود ينفِّذون أمره على الرعية ، فملوك الخلق يحتاجون إلى ملكهم .

أمَّا اللّه عزَّ وجل ، فإن ملكه ذاتي لا يحتاج سماوات ولا أرض ولا عرض ولا شيءٍ أبدًا ، فهو الملك قبل الخلق ، وهو الملك بعد الخلق ، وهو الملك بدون الخلق ، وكذلك ليس لله وزير ولا نظير ولا بطانة ، حتى جنود الله فإنهم لا يحمونه ولا يملكون له نفعًا ولا ضرًا ، إنما هو الذي بيده النفع والضر وحده وبيده الملك وحده ، والخلق كلهم لله وبالله ويحتاجون إلى الله ولا يحتاج هو إلى أحدٍ منهم .

ملك الخلق فانٍ ، وملك الله باق :

فإن الفناء قد كُتب على المخلوقات ، فإما أن يفنى المُلك بضياعه من يد صاحبه فتُسلب المملكة

---

[1] () متفق عليه ، وبقيته : « **... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلَحَت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » .

من صاحبها أو يزول الملوك أنفسهم عن ممالكهم بالمرض ، أو يجور عليهم من هو أشد قوة من الملوك ، أو يموت ويترك ذلك .

أما الله عزَّ وجلَّ فإنه الحي القيوم ، ملكه ثابت ، لا يتغير ، باقٍ لا يفنى ، دائم لا يزول ، فلا يفارقه ملكه ، ولا يزول عنه بجور جائر ولا بظلم ظالم ، قال تعالى : { **وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ** } ، { **وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ** } ، فهو صاحب القوة والعظمة والكبرياء ، قال تعالى : { **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** } [البقرة : 165] .

وكذلك لا يفارق هو ملكه بالغياب أو الموت ؛ لذلك انظر إلى الحسرة والألم الذي يحدث للملوك عند تركهم المُلك بل والدنيا وما فيها .

فقد حُكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت ، وكان ينظر إليها ويقول : { **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** } [الحاقة : 28، 29] .

ورُوي عن المأمون أنه افترش رمادًا واضجع عليه وقال : « يا من لا يزول ملكه ، ارحم من زال ملكه ، ويا من لا يموت ارحم من يموت » .

هذا ما يساويه الملك في الدنيا :

سأل هارون الرشيد بعض العلماء أن ينصحه فقال له : يا أمير المؤمنين ، إذا عطشت وحُبِس عنك الماءُ فكم تساوي شربة الماء عندك ؟ فقال هارون الرشيد : نصف ملكي ، فقال له : وإذا شربتها وحُبِسَت في جسدك فكم يساوي إخراجها ؟ قال : النصف الآخر من ملكي . قال : يا أمير المؤمنين ، اتقي اللّه في ملك نصفه شربة ماء والنصف الآخر إخراجها . فبكى هارون الرشيد .

9- دعاء اللّه بهذه الأسماء الكريمة :

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : « **من قال : لا إله إلا اللّـه وحـده لا شـريك لـه ، لـه الملـك ولـه الحمد ، وهو على شيء كل شيءٍ قدير فـي يوم مائة مرة كانت لـه عِـدلُ عشـرِ رقـاب**[1] **وكُتِبَتْ لـه مائـة حسـنة ، ومُحيـت عنـه مائـة سيئة وكانت لـه حـرزًا مـن الشـيطان يـومه ذلك حتى يمسي ولم يـأت أحـدٌ بأفضـل ممـا جاء به إلا رَجُلٌ عمل أكثر منه** »[2] .

2- وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنـه عـن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : « **من قـال : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملـك ولـه الحمـد وهـو علـى كـل شـيء قـدير عشـر مرات ، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولـد إسماعيل** »[3] .

3- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سـمعت رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول : « **قال اللّـه تعـالى : قسـمت الصـلاة بينـي وبيـن عبدي نصفين ولعبدي مـا سـأل ، فـإذا قـال العبد : الحمد للـه ربِّ العـالمين . قـال اللّـه تعالى : حمدني عبدي . وإذا قال : الرحمـن الرحيم ، قال اللّه تعالى : أثنى عليَّ عبـدي. وإذا قال : مالك يوم الدين ، قـال : مجـدني عبدي** » . وقال مرة : « **فوض إليَّ عبدي** »[4] .

* * *

---

1 () أي في ثواب عتقها .

2 () متفق عليه .

3 () متفق عليه .

4 () صحيح . أخرجه مسلم (ج1 - الصلاة 38) ، وأحمد (ج13/7289) ، والحميدي (ج2/973) ، والبيهقي (ج 2 ص 38) ، والترمذي (ج 5 / 2953) ، وابن ماجه (ج2/3784) .

« القُدُّوس » تبارك وتعالى

المعنى اللغوي :

وله معنيان في اللغة :

الأول : أن « القدوس » فعول من القدس وهو الطهارة ، و« القَدَس » بالتحريك السطل بلغة أهل الحجاز ؛ لأنه يُتقدس منه : أي يُتطهر منه .

وقال تعالى : { **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** } [البقرة : 30].

قال الزجاج : معنى « نقدس لك » أي : نطهر أنفسنا لك .

ولهذا قال : « بيت المقدس » أي : البيت المطهر ، أو المكان الذي يُتَطهَّر به من الذنوب .

وقال الفراء : الأرض المقدسة الطاهرة ، وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، و« روح القدس » هو جبريل عليه السلام معناه روح الطهارة ، أي : خُلِقَ من الطهارة .

وقيل : لأنه ينزل بالقُدْس من الله ، أي : بما يُطَهِّر به نفوسنا وهو القرآن ، والحكمة ، والفيض الإلهي .

المعنى الثاني : أنَّ القدس : هي البركة ، والأرض المقدسة أي : المباركة ، وهو قول قتادة ، وإليه ذهب ابن الأعرابي ، ويقويه أن اللَّه تعالى قد بيَّن أن الأرض المقدسة مباركة ، وذلك في قوله تعالى : { **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** } [الإسراء : 1] ، وهي الأرض المقدسة.

« والقُدُّوس » على وزن : « فعول » بالضم من أبنية المبالغة[1].

الدليل الشرعي :

---

[1] () من كتاب « النهج الأسمى » ، وقد عزاه إلى النهاية لابن الأثير (5/23) ، واللسان (5/3549) ، « أسماء الله الحسنى » (ص30) ، « شأن الدعاء » (ص 40) .

وقد ورد في القرآن والسُّنة ، أما في القرآن فقد جاء في موضعين :

الأول : في سورة الحشر في قوله تعالى : { **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ** } [الحشر : 23] .

الثاني : في مطلع سورة الجمعة وهو قوله تعالى : { **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** } [الجمعة : 1] .

معنى الاسم في حق الله تعالى :

قال ابن القيم : « القدوس » : المُنَزَّه من كل شر ونقص وعيب ، كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كلِّ عيب ، المُنَزَّه عمَّا لا يليق به[1] .

وقال ابن جرير في قوله تعالى : { **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** } [البقرة : 30]، { **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ** } : ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك ، { **وَنُقَدِّسُ لَكَ** } : ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك »[2] . اهـ .

وقال البيهقي : « **القدوس** » هو الطاهر من العيوب المنزه عن الأولاد والأنداد ، وهذه صفة يستحقها بذاته[3] .

وقال الغزالي : هو المنزه عن كل وصف يدركه حسٌّ ، أو يتصوره خيال ، أو يسبق إليه وهم ، أو يختلج به ضمير ، أو يقضى به تفكير[4] .

وقال ابن كثير في معنى القدوس : أي المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال[5] .

---

1 () كتاب الأسماء الحسنى من مؤلفات ابن القيم (ص 103) .

2 () « جامع البيان » (1/167) من كتاب النهج الأسمى ص 110 .

3 () الاعتقاد للبيهقي (ص 54) ، وانظر كذلك : « النهاية » لابن الأثير (4/23) ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي (ص 186) .

4 () المقصد الأسنى (ص 38) .

5 () تفسير ابن كثير (4/363) .

وقـال الألوسـي : « **القـدوس** » البليـغ فـي النزاهة عما يوجب نقصانًا أو الذي له الكمال في كل وصف اختص به ، أو الذي لا يحد ولا يتصور[6] .

وقال ابن القيم في النونية :

هــذا ومــن أوصــافه تنزيـــــه بـــــالتعظيم

* * *

---

6 () روح المعاني (28/62) .

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

1- القدسية التامة لله من جميع الوجوه :

فهو القدوس في أسماء وصفاته وأفعاله ، فأسماؤه كلها حُسنى لا شرّ فيها وصفاته كلها عليا لا نقص فيها وأفعاله كلها حكمة وعزة لا خلل فيها . فإن الله تبارك وتعالى هو القدوس من كل النقائص والعيوب منزه عن كل الآفات ، فمن ذلك على سبيل المثال :

أولاً : تقدَّس أن يكون له شريك :

قال تعالى : { **اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** } [البقرة : 255] ، وقال تعالى : { **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** }.

ثانيًا : تقدَّس أن يكون له زوجة أو ولد :

أخبر تعالى عن الجن أنهم قالوا : { **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا** } [الجن : 3] .

وقال تعالى : { **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** } .

ثالثًا : تقدَّس عن الموت ، والنوم :

قال تعالى : { **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ** } . وقال تعالى : { **اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** } .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام** »[1].

* * *

رابعًا : تقدَّس عن الظلم :

قال تعالى في الحديث القدسي : « **يا عبادي ، إني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلتُه بينكم محرمًا فلا تظالموا** »[2] .

---

[1] () رواه أحمد (4/405) ، ومسلم (1/179) .

[2] () صحيح : أخرجه مسلم (ج 4 - البر والصلة /55) ، (ج 4 - ص 1994) ، والبخاري في الأدب المفرد (490) ، والحاكم (ج 4 ص 241) ، والبيهقي (ج 6 ص 93) .

وقال تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** } . وذلك مع قدرته على خلقه فهو خالقهم ومالكهم ، ولذلك فقد ورد اسم « القدوس » مرتين في القرآن اقترن فيهما باسمه الملك جل جلاله .

خامسًا : تقدَّس عن الكذب :

فقوله الصدق وخبره الحق ، قال سبحانه : { **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** } [النساء : 87] ، وقال تعالى : { **وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِ نَ اللَّهِ قِيلًا** } [النساء : 122] .

سادسًا : تقدَّس عن الضلال والنسيان :

أخبر تعالى عن نبيه موسى أنه قال : { **لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى** } [طه : 52].

سابعًا : تقدَّس عن الفقر والبخل - جل جلاله وتقدست أسماؤه :

قال تعالى : { **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** } .

وقال تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** } ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سَحَّاء الليل والنهار ، وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق الله السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده** »[1] .

ثامنًا : تقدَّس عن الفناء :

قال تعالى : { **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** } [الرحمن : 26، 27] .

تاسعًا : تقدَّس عن الشبيه والمثيل :

قال تعالى : { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } [الشورى : 11] ، فلم يُقدِّس اللهَ من شبهه

---

[1] () رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : « لما خلقت بيدي » (رقم الحديث 7411) (13/393) مع الفتح .

بخلقه أو نفي عنه أسماءه وصفاته فكلاهما على ضلال مبين.

ولو استقصينا أوجه التقديس لله عز وجل ما استطعنا أبدًا ولا أحصيناها؛ لأنها لا نهاية لها وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **لا أُحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك** »[1].

2- ليس كمثله شيء في قدسيته :

فسبحان الله الملك القدوس عن كل نقص وعيب ، ومن قدسيته أنه ليس كمثله شيءٌ فيها ، وذلك لأسباب كثيرة منها .

أولاً : قدسية الله تامة وكاملة ، وقدسية الخلق ناقصة :

فإن قدسية الخلق وطهارتهم إنما تكون في حالٍ دون حال ، وفي جهة دون أخرى ، وعلى كل حالٍ ومهما بلغت درجة كمال المخلوق ، فهي قدسية تناسب المخلوق الضعيف الناقص .

فقد يتطهر العبد وقت العبادة في الصلاة أو غيرها ولكنه لا يملك هذا في جماعه لزوجته أو حال قضائه لحاجته .

وقد يطهر نفسه بالطاعة والعبادة ولكنه يتدنس مرة أخرى بالمعصية والذنوب ، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **كل ابن آدم خطائين وخير الخطائين التوابون** »[2] .

وقد يقدس العبد نفسه بألا يذلها للناس ويتعفف عما في أيديهم ، ولكنه سيظل دائمًا أبدًا محتاجًا إلى الله فقيرًا لغناه ذليلاً لعزته .

أما الله جل جلاله فهو القدوس من جميع الوجوه منزه عن كل نقص من جميع الجهات مُبرأ من كل عيب .

ثانيًا : قدسية الله دائمة ، وقدسية الخلق

---

[1] () رواه مسلم - كتاب الصلاة - باب يقال في الركوع والسجود .

[2] () حسنه الألباني في مشكاة المصابيح (2341) .

مؤقتة :

فقدسية الخلـق لهـا بدايـة ولهـا نهايـة فوجـودهم يسبقه العدم ، ويلحقه الفنـاء ، قـال تعـالى : { **هَـلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَـمْ يَكُـنْ شَـيْئًا مَذْكُورًا** } [الإنسـان : 1] ، وقال تعـالى لنـبيه زكريـاء : { **وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** } [مريم : 9] .

فقد سَبق قدسيةَ الخلق عدمُهم ، وقد كـان قبـل كمالهم نقصُهم ويلحـق بكـل ذلـك فنـاؤهم فقدسـية الخلق محدودة بالوقت والحال .

فعن ميسر بن جحاش القرشـي أن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم بزق يومًا في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال : « **قال الله تعالى : يا ابن آدم ، أنَّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حـتى إذا سـويتك وعَـدَلْتك مشـيت بيـن برديـن وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغـت التَّراقـي قلـت : أتصـدق وأنَّـى أوان الصدقة** »[1] .

ويُروَى أن أحـد الملـوك كـان ماشـيًا فـي مـوكبه فرأى رجلاً جالسًا تحت شجرة ، فلمـا مـرَّ عليـه لـم يقم الرجل ولـم يعظمـه ، فقـال لـه أو لا تعرفنـي ؟ قال : بل أعرفك : « **أوَّلُك نطفة قذرة ، وآخرك جيفة مزرة ، وأنت بين ذلك تحمل في بطنك العذرة**[2] » .

أمَّا قدسية الله جل جلاله فهي قدسية دائمة فلم يسبق وجودها عدم ، ولا دنـس ولا يلحقهـا نقـص ولا خلل وليس لها نهاية ولا فناء .

2- التقـديس الحـق للـه تبـارك وتعـالى يكـون

---

[1] () حسن ، المسند (4/210) ، وأخرجه من أربعة طرق عن حريز عن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بسر بن جحاش القرشي به ، وأخرجه ابن ماجه (2/2707) ، وقال البوصيري في « الزوائد » : إسناده صحيح .
والوئيد : صوت شدة الوطء على الأرض ، والتراقي : عظام بين ثغرة النحر والعاتق .

[2] () العذرة : أي البراز .

بشرعه :

كمـا قـال تعـالى عـن الملائكـة فـي قـولهم : { **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَـكَ** } [البقـرة : 30] ، فالتقديس لله وتقديس الله بمعنـى واحـد ، وأفضـل ما يمكن تقـديس اللـه بـه هـو عبـادته بمـا جـاء فـي شرعه من كتـابه وسـنة رسـوله بالعقائـد الصـحيحة والأقوال الطيبة والأعمال الصالحة ، وهذا ما ارتضاه الله لنفسه من خلقه ، ومن ذلك :

1- تقديس الله بالتوحيد والإيمان الصحيح :

فأعظم مـا يُقَـدِّس العبـادُ بـه ربهـم هـو الإيمـان والتوحيد ونفي الشركاء عنه والأنداد وتنزيهه عن كل نقـص وعيـبٍ نسـبه إليـه الكـافرون والمشـركون ، لذلك حين سُئل رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم عن أعظم الذنوب قال : « **أن تجعل للَّه ندًا وهـو خلقك** »[1] ، ولأن الشرك هو أعظم السبِّ للـه جـل جلاله وتقدست أسماؤه فقد قال تعالى في الحـديث القدسي : « **كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلـك ، وشـتمني ولـم يكـن لـه ذلـك ، فأمـا تكـذيبه إيـاي ، فقـوله : لـن يعيـدني كمـا بـدأني ، وليس أولُ الخلـق بـأهون علـيَّ مـن إعـادته وأما شتمه إياي ، فقوله : اتخـذ اللـه ولـدًا ، وأنا الأحدُ الصمد ، لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفوًا أحد** »[2].

ومن أجل ذلك كان أعظم الأعمـال وأفضـلها هـو الإيمان بالله .

عن أبي هريرة رضـي اللـه عنـه أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم سُـئل أيُّ العمـل أفضـل ؟ فقال : « **إيمانٌ بالله ورسوله ...** »[3] .

2- تقديس الله بالقلوب :

---

[1] () رواه البخاري ، وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه .

[2] () صحيح ، أخرجه البخاري في صحيحه (8/4974) .

[3] () رواه البخاري في صحيحه (1/77) مع الفتح كتاب الإيمان - باب من قال إن الإيمان هو العمل - رقم الحديث (26) .

فإن اللَّه ينظر إلى القلوب فلا بد من تطهيرها لتليق بنظر اللَّه إليها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّه لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم** »[1] .

وفي رواية لمسلم أيضًا زاد فيها : « **... وأعمالكم** » .

فمن ذلك حسنُ الظن بالله تعالى وحبُّه وخشيتُه والتوكل عليه وحب النبي صلى الله عليه وسلم وحب المؤمنين في الله تبارك وتعالى وتطهير القلوب من النفاق والرياء والشهوات المحرمة ليسلم القلب لتقديس الله عز وجل ، فقد قال الله تعالى : { **يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (88) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** } .

3- تقديس الله بالأعمال :

كالطهارة : وهي تقديس البدن ليليق بعبادة الله وتلاوة كلامه المقدَّس والوقوف بين يديه في الصلاة .

والصلاة : فإن العبد يقدس الله فيها بالتسبيح والتكبير والتعظيم ، وكذلك بالركوع والسجود . ولذلك فإن الصلاة تطهر العبد من دنس المعاصي والذنوب من جهتين :

الأولى : أنها سبب لطهارته من ذنوبه السابقة . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء** » . قالوا : لا يبقى من درنه . قال : « **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** »[2] .

الثانية : النهي عن الخبائث فيما يعرض له .

---

1 () رواه مسلم .

2 () متفق عليه . والدرن : الوَسَخ .

قال تعالى : { **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** } [العنكبوت : 45] .

والزكاة : بأن يطيب ما ينفق في سبيل الله ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا** »[1] .

وهي كذلك تطهير للنفس من الخبائث ، قال تعالى : { **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** } [التوبة : 103] .

وقد كانت عائشة رضي الله عنها تطيب الصدقة وتعطرها قبل أن تعطيها السائل وتقول : « **إنها لتقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل** » .

دعاء الله باسمه القدوس :

1- فقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم الاسم في ركوعه وسجوده ، وهو دعاء ثناء وحمد .

فعن عائشة رضي اللّه عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده : « **سُبُّوح قدوسٌ رب الملائكة والروح** »[2] .

2- ذكر الله وتسبيحه به بعد الوتر :

فقد كان النبيُّ يسبح اللهَ به بعد فراغه من صلاة الوتر كما جاء في حديث أُبي بن كعب قال : « كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى ، وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، فإذا سلم قال : سبحان الملك القدوس ثلاث مرات »[3] .

---

1 () رواه مسلم .

2 () أخرجه مسلم (487) كتاب الصلاة - باب ما يقول في الركوع والسجود .

3 () إسناده صحيح . أخرجه الإمام أحمد (5/123) ، وأبو داود (1430) ، والنسائي في الوتر (3/244) ، وابن أبي شيبة في المصنف (9762) عن طلحة الأيامي عن زر عن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب مرفوعًا به .

« الغَنِيُّ » جل جلاله وتقدست أسماؤه

المعنى اللغوي :

الغنيُّ في كلام العرب الذي ليس بمحتاج إلى غيره ، وكذلك اللَّه ليس بمحتاج إلى أحدٍ جلَّ وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ، كما قال تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** }[1] [العنكبوت : 6] .

وقال الراغب الأصفهاني : الغِنَى يقال على ضُروب :

أحدها : عدم الحاجات ، وليس ذلك إلا لله تعالى وهو المذكور في قوله : { **إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** } [الحج : 64] .

الثاني : قلة الحاجات ؛ وهو المشار إليه بقوله : { **وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى** } [الضحى : 8] .

الثالث : كثرة القنيات ؛ كما جاء في قوله : { **مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ** } [النساء : 6] .

الرابع : وقد يعني عدم الاحتياج إلى ما عند الناس فلا يفتقر إليهم فيتعفف عما عندهم ، كما قال تعالى : { **يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ** } [البقرة : 273] .

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس** »[2] .

وكما قال الشاعر :

العيش لا عيش إلا ما قد يَكْثُرُ المالُ

الخامس : قد يعني « الكفاية » يقال : أغناني كذا ، وأغنى عنه كذا إذا كفاه ، كما في قوله تعالى : { **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ** } [الحاقة : 28] ، وكما قال تعالى : { **لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا** } [آل عمران : 10] .

---

[1] () اشتقاق الأسماء (ص 117) .

[2] () أخرجه البخاري (6446) ، ومسلم (1051) ، من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

وقيل : « تَغَنَّى » بمعنى استغنى ، وحُمِل قوله صلى الله عليه وسلم : « **ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن** »[1] على ذلك[2] .

الدليل الشرعي :

ورد الاسم في ثمان عشرة آية من كتاب الله ؛ منها قوله تعالى : { **وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ** } [الأنعام : 133] . وقوله : { **إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ** } [إبراهيم : 8] . وقوله تعالى : { **وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** } [النمل : 40] . وقوله : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** } [فاطر : 15] .

معنى الاسم في حق الله تعالى :

قال ابن كثير : **{ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ }** [الأنعام : 133] . « وربك يا محمد » الغنيُّ : أي عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم[3] .

وقال أيضًا : « غَنِيٌ عمَّا سواه وكلُ شيءٍ فقير إليه »[4] .

وقال ابن جرير في قوله : { **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** } [البقرة : 267] ، واعلموا أيها الناس أن اللَّه عز وجل غنيٌّ عن صدقاتكم وعن غيرها ، وإنما أمركم بها وفَرَضَها في أموالكم رحمةً منه لكم ليُغْنِي بها عَائِلكم ويقوي بها ضعيفكم ويجزل لكم عليها في الآخرة مثوبتكم لا من حاجة به فيها إليكم[5] .

---

1 () أخرجه البخاري (7527) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه . وانظر صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني ص 106 ، 107 .

2 () مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (515- 516) بتصرف (مختصرًا) .

3 () تفسير ابن كثير (2/171) .

4 () تفسير ابن كثير (3/223) .

5 () جامع البيان (3/58) .

وقال الزجاج : وهو « الغَنِيُ » المُسْتَغْنِي عن الخلق بقدرته وعز سلطانه والخلق فقراء إلى تَطَوُّلِهِ وإحسانه ، كما قال تعالى : { **وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ** } [محمد : 38][1] .

وقال الزجاجي : الغنى في كلام العرب : الذي ليس بمحتاج إلى غيره ، وكذلك الله ليس بمحتاج إلى أحد ، جلَّ وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ، كما قال : { **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** } [العنكبوت : 6] .

فالله عز وجل ليس بمحتاج إلى أحد فيما خلق ويخلق ودبَّر ويُدبِّر ويُعْطِي ويَرْزُق ويَقْضِي ويُمْضِى ، لا رادَّ لأمْره وهو على ما يَشاءُ قدير[2] .

وقال الخطابيُّ : « الغَنِيُ » هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه ، فليست به حاجة إليهم ، وهم إليه فقراء محتاجون ، كما وصف نفسه تعالى فقال عزَّ من قائل : { **وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ** } [محمد : 38] .

قال ابن القيم رحمه الله :

وهو الغني بذاته فغناه تــيُّ لــه كــالجود

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

أولاً : لا يوصف بالغنى المطلق إلا الله :

فإن اللَّه غني بذاته عن كل ما سواه . **قال البيهقي :** الغَني هو الذي لا تَعَلَّقَ له بغيره لا في ذاته ولا في صفات ذاته ، بل يكون مُنزَّهًا عن العلاقة مع الأغيار[3] ، ومن علامات ذلك الغنى :

1- **أن اللَّه عز وجل « غني عن الطعام والشراب »** - كما قال تعالى : { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ**

---

1 () تفسير الأسماء (ص 63) .
2 () اشتقاق الأسماء (ص 117) .
3 ()

الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات : 56- 58] .

2- « **وهو غني عن الزوجة والولد** » ، وهـذا يعنـي الوحدانيـة المطلقـة ليـس كمـا يَسُـبُّه الكفـارُ أصـحاب عقيـدة التثليـث فـإن الحاجـة إلـى الزوجـة والولد ضعف وافتقـار ، تعـالى اللَّـهُ عـن ذلـك علـوًا كبيرًا .

قال تعالى : { **قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَـهُ مَـا فِـي السَّـمَوَاتِ وَمَـا فِـي الأَرْضِ** } [يونس : 68].

3- « **غني عن خلقه** » ، فما خلق اللـهُ الخلـقَ ليستأنس بهـم مـن وحشـة ، ولا ليسـتكثر بهـم مـن قلة ، ولا لينصروه على عَدُوٍ ، ولكن خلقهم ليـذكروه كثيرًا ويعبدوه طويلاً ويسبحوه بكـرة وأصـيلاً . قـال تعـالى : { **وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالإِنْـسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** } .

فإن اللّه جل جلالـه غنـيٌّ عـن العلائـق والروابـط والصـلات ، فصِـلاَتُه بخلقـه صِـلاَتُ ربٍ رزَّاق لعبـاد محتاجين وصلته بهم صلة عطـاء وتفضـل بعـد خلـق وإيجاد ، أما صلة الخلـق بـه سـبحانه صـلة أخـذٍ مـن رزقه وانتفاع بما عنده ، فالعبد يـدعو واللـه يجيـب ، والخلق يحتاجون والزراق يعطيهم ، والعباد يفتقرون والغنيُّ يغنيهم ، وإذا قدَّموا شيئًا مـن أمـوالهم فإنمـا هم الذين ينتفعون به ويجـازيهم بأضـعاف مـا عملـوا ويزيدهم من فضله ، وانظر إلى أجمـل حـديث يعبِّـر عـن هـذا المعنـى ، قـال اللّـه تعـالى فـي الحـديث القدسي : « **... يا عبادي ، كلكـم ضـالٌّ إلا مـن هديتُه فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ، كلكم جـائعٌ إلا مـن أطعمتـه فاسـتطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسـوته فاستكسـوني أكسـكم ، يـا عبـادي إنكـم تخطئون بالليل والنهـار وأنـا أغفـر الـذنوب جميعًا ، فاستغفروني أغفر لكم ، يـا عبـادي**

إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نَقُصَ ذلك من ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »[1] .

4- « **وغني عن عبادة خلقِه** » .

فهو غني عن إيمانهم ؛ قال تعالى : { **إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ** } [إبراهيم : 8] .

وغنيٌّ عن شكرهم ؛ قال تعالى : { **وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** } [النمل : 40] .

« **وغني عن جهادهم** » ؛ قال تعالى : { **وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** } [العنكبوت : 6] .

ثانيًا : أنتم الفقراء إلى الله :

فالرب سبحانه غنيٌّ بذاته ، والعبد فقير بذاته ، محتاج إلى ربه ، لا غنى له عنه ، ولو طرفة عين .

قال ابن القيم رحمه اللَّه : « إن اللَّه هو الغني المطلق ، والخلق فقراء محتاجون إليه ، قال سبحانه : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ**

---

[1] () أخرجه مسلم (2577) من حديث أبي ذر ، رضي الله عنه ، وانظر جامع العلوم والحكم ، الحديث (24) .

وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } [فاطر : 15] ، بَيَّن سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمرٌ ذاتيٌ لهم لا ينفك عنهم ، كما أن كونه غنيًا حميدًا ذاتي له ، فغناه وحمده ثابتٌ له لذاته ، لا لأمرٍ أوجبه ، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه ، فلا يُعلَّل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان ، بل هو ذاتي للفقير ، فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة ، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه .

فالخلق فقير محتاج إلى ربه بالذات لا بعلة ، وكل ما يُذكر ، ويُقدر من أسباب الفقر والحاجة فهي أدلة على الفقر والحاجة لا عِلَلٌ لذلك ، إذ ما بالذات لا يُعلل ، فالفقير بذاته محتاج إلى الغني بذاته .

وفقر العالم إلى اللَّه سبحانه أمر ذاتي لا يُعلَّلَ فهو فقير بذاته إلى ربه الغني بذاته .

فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرًا ، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيًا ، كما أنه يستحيل أن يكون العبدُ إلا عبدًا ، والربُّ إلا ربًا .

ثالثًا : فقر العباد إلى ربهم فقران :

مما سبق عُرف أن فقر العباد إلى ربهم فقران :

الأول : فقرٌ اضطراري ، وهو فقرٌ عام لا خروج لبرٍ ولا فاجرٍ عنه ، وهذا الفقر لا يقتضي مدحًا ولا ذمًّا ، ولا ثوابًا ولا عقابًا ، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقًا ، ومصنوعًا .

الفقر الثاني : فقر اختياري ، وهو فقر الخشية والطاعة وذلة العبودية . وهو نتيجة علمين شريفين ؛ أحدهما : معرفة العبد لربه ، والثاني : معرفته بنفسه ، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقرًا هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته ، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين ، فمن عرف ربه بالغنى المطلق ،

عـرف نفسـه بـالفقر المطلـق ، ومـن عـرف ربـه بالقدرة التامـة ، عـرف نفسـه بـالعجز التـام ، ومـن عـرف ربـه بـالعِزِّ التـام ، عـرف نفسـه بالمسـكنة التامـة ، ومـن عـرف ربـه بـالعلم التـام والحكمـة التامة ، عرف نفسه بالجهل .

فإن اللَّه تعالى قـد أخرج العبد مـن بطـن أمـه ضعيفًا مسكينًا ، جاهلاً ، كما قـال تعـالى : { **وَاللَّـهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَـيْئًا** } . وسخر اللَّه له ما في البر والبحر مما يصـلحه ويعينـه على أمر دينه ودنياه ، فلما شعر بأن لـه قـدرة علـى السعي ، واستطاعة على التدبير ظـن المسـكين أن له نصيبًا من الملـك، وادَّعـى لنفسـه مُلكًـا مـع اللـه سبحانه ، ورأى نفسه بغير هـذا الضـعف الأول الـذي كان عليه ، ونسـي مـا كـان فيـه مـن حالـة الإعـدام والفقر والحاجة ؛ حتى كأنه لم يكن هـو ذلـك الفقيـر المحتاج ، بل كأن ذلك شخصًا غيره .

كما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بسر بن جحاش القرشي أن النبي صلى الله عليه وسـلم بزق يومًا في كفه ، فوضع عليها إصـبعه ، ثـم قـال : « **قـال اللَّـه : ابـن آدمَ ، أنَّـى تُعجزنـي وقـد خلقتـك مـن مثـل هـذه حـتى إذا سَـوَّيْتُك وعـدَلْتُك مشـيْتَ بيـن برديـن وللأرض منـك وئيـد ، فجمعـت ومنعـت حـتى إذا بلغـت الـتراقي قُلـت : أتصـدَّق ، وأنـى أوان التصدق** »[1] .

ومـن هنـا خَـذَل مـن خـذل ، ووفَّـق مـن وفـق ، فحجب المخذولَ عن حقيقته ونسي نفسه ، فنسـي فقـره وحـاجته وضـرورته إلـى ربـه ، فطغـى وعتـا فحقَّـتْ عليـه الشِـقْوَةُ ، قـال تعـالى : { **كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَـى (6) أَنْ رَآهُ اسْـتَغْنَى** } [العلـق : 6،

---

[1] () أخرجه أحمد 4/210، والحاكم 2/502) ، وصححه الحاكم .

7] ، وقال تعالى : { **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** } [الليل 5 - 10] .

فأكمل الخلق أكملهم عبودية ، وأعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس افتقارًا إلى ربه ، وكان من دعائه : « **اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت** »[1] .

وقد كان يعلم أن قلبه الذي بين جنبيه بيد الرحمن عز وجل لا يملك منه شيئًا ، وأن اللَّه سبحانه يصرفه كما يشاء ، وكان يدعو : « **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** »[2] . ولما عُرض عليه المُلْكُ والعبودية اختار أن يكون فقيرًا لربه ، وعبدًا لمولاه .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يا عائشة ، لو شئت لسارت معي جبال الذهب ، جائني ملك إن حُجْزته لتُساوي الكعبة ، فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول : إن شِئتَ نبيًّا عبدًا ، وإن شئت نبيًّا ملِكًا ؟ فنظرت إلى جبريل عليه السلام ، فأشار إليَّ أن ضع نفسك ، قال : فقلت : نبيًّا عبدًا** » . قالت : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا

---

1 () أخرجه أحمد 5/42، والبخاري في الأدب المفرد (701) ، وأبو داود (5090) ، وابن حبان (970) ، من حديث أبي بكرة ، رضي الله عنه .

2 () أخرجه الطيالسي (1713) ، وأحمد 3/112، 6/315، والترمذي (2140، 3522) ، من حديث أنس وأم سلمة ، رضي الله عنهما .

يأكل متكئًا يقول : « **آكل كما يأكلُ العبدُ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ** »[1] .

فأصبح بهذا النوع من الافتقار سيد ولد آدم ، وصاحب لواء الحمد ، وأول من تفتح له الجنة ، وصاحب المقام المحمود ، وأسري به في السماوات السبع ؛ لأنه كان كامل العبودية ، وكامل الافتقار لربه ، قال تعالى : { **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى** } [الإسراء : 1] . واستحق أن يُغْفَر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ففي حديث الشفاعة : « **إن المسيح يقول لهم : ائتوا محمدًا عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر** »[2] .

* * *

رابعًا : ليس كمثله شيءٌ في غناه :

وهذا من وجوه :

الأول : كثرة ما عند اللَّه :

قال تعالى : { **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [المائدة : 120] .

قال ابن كثير في هذه الآية : « أي هو الخالق للأشياء المالك لها المُتَصرِّف فيها القادر عليها ، فالجميع ملكه وتحت قهره ، وقدرته وفي مشيئته ، فلا نظير له ولا وزير ، ولا عديل ولا والد ، ولا ولد ، ولا صاحبة ، ولا إله غيره ولا رب سواه »[3] .

الثاني : غناه دائم :

---

[1] () أخرجه أبو يعلى (4920) ، ومن طريقه البغوي في شرح السنة 13/247، 248، وقال الهيثمي في المجمع 9/19: إسناده حسن ، وأخرجه أحمد 2/231، وأبو يعلى (6105) ، وابن حبان (6365) ، والبغوي 13/248، 249، من حديث ابن عباس ، وأبي هريرة ، رضي اللَّه عنهم .

[2] () أخرجه البخاري (ج 13/7440) ، وأحمد (3 ص 116، 242) ، والطيالسي (2010) .

[3] () تفسير ابن كثير (2/117) .

فما من مخلوق أصبح غنيًّا إلا بعد فقر أو تكون عاقبتُه إلى فقر أو يفني المال وصاحبه ، أما اللَّه جل جلاله فغناه دائم لا يفنى أبدًا ، قال تعالى : { **مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ** } [النحل : 96] ، وقال تعالى : { **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ** } [الرحمن : 26، 27] .

الثالث غناه ذاتيٌّ :

أي أن غنى اللَّه في ذاته وليس فيما يراه الناس من الملك في السماوات والأرض ، فإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له : كن فيكون ، ولكن غنى الخلق إنما يكون بما يمتلكون من ثروات وأموال ، فكل من وُصِف بالغنى من الخلق فإنما يحتاج إلى ما يملك ، أما اللَّه جل جلاله فإنما يحتاج كل ملكه وكل خلقه إليه ، فلا يحتاج اللَّه إلى العرش ولا حملته ولا الكرسي وعظمته ، ولا يحتاج إلى ميكائيل ليرزق الخلق ، ولا إلى جبريل لتبليغ رسالته ، بل كل هؤلاء وغيرهم من خلق الله يحتاجون إليه من كل الوجوه وهو غني عنهم من كل الوجوه .

الرابع : غناه مطلق :

فإن الخلق يحتاجون إلى ما تقوم به أبدانهم وأرواحهم ، وهذا يجعلهم فقراء إلى رزق اللَّه من كل الوجوه ، فإنهم فقراء إلى الطعام وإلى الشراب ، والنفس والروح والسعادة والزوجة والولد ، والسمع والبصر .. هذا فقرٌ مطلق إلى اللَّه الذي بيده هذه النعم وغيرها مما لا غنى عنه للخلق ، أما اللَّه جلَّ جلاله فإنه غنيّ عن ذلك كله ، بل وعن كل ما سواه ، تبارك وتعالى ، لذلك فإن غنى اللَّه غنى مطلق ، وكل العباد فقرهم إلى اللَّه فقر مطلق .

* * *

خامسًا : وأنه هو أغنى وأقنى من أسباب الغنى

قال تعالى : { **قُـلِ اللَّهُـمَّ مَالِـكَ الْمُلْـكِ تُـؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْـكَ مِمَّـنْ تَشَـاءُ وَتُعِـزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَـدِكَ الْخَيْـرُ إِنَّـكَ عَلَـى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [آل عمران : 26] . فإن الغنى والعطاء بيد من له ملك الأرض والسـماء ، فلا يَغْتَنـي أحـدٌ إلا بإذنه ، ولا يُرزق أحدٌ إلا من عطائِه ، وقد جعـل اللَّـه لرزقه أسبابًا يُغنى بها من أراد من عباده ، فمن هذه الأسباب :

1- المتفرغ للعبادة :

قـال تعـالى فـي الحـديث القدسـي : « **يـا ابـن آدم ، تفـرغ لعبـادتي أملـء صـدرك غنـىً ، وأسد فقرك، وإلاَّ تفعل ملأتُ صـدرك شـغلاً ولم أسد فقرك** »[1] . وفي رواية قـال : « **يـا ابـن آدم ، تفـرغ لعبـادتي أملأ قلبـك غنًـى وأملأ يديك رزقًا ، يا ابن آدم ، لا تباعد منِّـي فـاملأ قلبك فقرًا وأملأ يديك شغلاً** »[2] .

2- من نزلت به فاقة فأنزلها باللَّه :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **من أصـابته فاقـة[3] فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقتُه ، ومن أنزلهـا باللَّه فيوشك[4] اللَّهُ له برزق عاجل أو آجـل** »[5] .

ولله درُّ القائل :

لا تسـألن بنـيَّ آدم وسل الـذي أبـوابه لا
اللَّهُ يغضبُ إن تركـتَ وبنيَّ آدم حين يُسـأل

---

1 () صحيح لغيره . أخرجه أحمد (ج16/8681) ، والترمذي (ج4/2466) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ...

2 () صحيح لغيره . أخرجه الحاكم (ج 4 ص 326) ، والطبراني (ج 20/500) عن معقل بن يسار رضي الله عنه .

3 () الفاقة : الحاجة والفقر .

4 () يوشك : أي يُسْرِعُ .

5 () رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حديث حسن .

3- **المتابعة بين الحج والعمرة :**

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكيرُ خبث الحديد** »[1] .

4- **تقوى اللَّه عز وجل :**

قال تعالى : { **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ** } [الطلاق : 2، 3] ، وقال اللَّه تعالى : { **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** } [الأعراف : 96] .

5- **الاستغفار :**

قال تعالى : { **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** } [الحج : 10- 12] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ، ومن كل هم فرجًا ، ورزقه من حيث لا يحتسب** »[2] .

6- **إرادة الزواج تعفُّفًا :**

قال تعالى : { **وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** } [النور : 32] . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « أطيعوا اللَّه فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى »[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

---

[1] () أخرجه أحمد 1/387، والترمذي (810) ، من حديث ابن مسعود ، رضي اللَّه عنه . وانظر صحيح جامع الترمذي (650) .

[2] () رواه أبو داود ، وقال الشيخ الألباني : لكن فيه مجهول كما بينته في « الضعيفة » (706) .

[3] () تفسير ابن كثير (3/273) .

« التمسموا الغنى في النكاح »[1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ثلاثة حق على اللّه عونهم : الناكح يُريد العفاف ، والمكاتب يريد الأداء ، والغازي في سبيل اللّه** »[2].

7- الاستغناء باللَّه عن الخلق :

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **... من يَسْتعفف يعفّه اللّهُ ، ومن يَسْتَغني يُغْنِهِ اللّه** »[3] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ليس الغِنَى عن كثرة العرض ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النفس** »[4] .

وقد أحسن مَن قال : « **ما أجمل إحسان الأغنياء إلى الفقراء رجاءً لثواب اللّه وأحسن منه تيهُ الفقراءِ على الأغنياء ثقة فيما عند اللّه** » .

8- **صلة الرحم :**

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من أحب أن يُبْسَط له في رزقه ، ويُنسأ له في أثره ، فليصل رحمه** »[5] .

9- **الزكاة والصدقة :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قال اللَّه عز وجل :**

---

1 () المصدر السابق .

2 () رواه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

3 () متفق عليه .

4 () متفق عليه .

5 () متفق عليه ، ومعنى « ينسأ له في أثره » أي :يُؤَخَّر له في أجله وعمره .

أَنْفِق أُنْفِق عليك »[1] .

وعـن أبـي هريـرة رضـي اللـه عنـه قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **ما فتح رجـل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده اللّه تعالى بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده اللّه تعالى بها قله** »[2] .

10- **من كان همُّه الآخرة :**

قال النبي صلى الله عليه وسـلم : « **من كـانت الآخرةُ نيتَه ، جمع اللَّه له أمره ، وجعل غنـاه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة ...** »[3] .

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينصـح بعضهم بعضًا بثلاثة أمور، فيقولون : « **من أصلح ما بينه وبين اللّـه أصـلح اللّـه الـذي بينـه وبيـن النـاس ، ومـن أصـلح سـريرته أصـلح اللّـهُ علانيته ، ومن اهتـم بـآخرته كفـاه اللّـه أمـر دنياه** » .

11- **الدعاء :** عن أبـي هريـرة أن النـبي صـلى الله عليه وسلم كان يقول : « **إذا بقي ثلث الليل ينـزل اللّـه عـز وجـل إلـى سـماء الـدنيا ، فيقول : من ذا الذي يدعوني استجيب لـه ؟ مـن ذا الـذي يسـتغفرني أغفـر لـه ؟ مـن ذا الــذي يســترزقني أرزقــه ؟ مــن ذا الــذي يستكشف الضرَّ أكشفه** »[4] .

وعن سلمان رضي الله عنه قال : لمَّا خلـق اللَّـهُ آدم عليه السـلام قـال : « **واحـدةٌ لـي ، وواحـدة لك ، وواحدة بيني وبينك ، فأمـا الـتي لـي : تعبدني ولا تشرك بي شيئًا ، وأمَّا التي لـك :**

---

[1] () رواه أحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم .

[2] () صحيح : رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (5522) .

[3] () أخرجه ابن ماجه (3/524- 225) ، وابن حبان (72) عن زيد بن ثابت ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (950) .

[4] () سبق تخريجه .

فما عملت من شيءٍ جزيتك بـه ، وأنـا أغفـر وأنا غفورٌ رحيمٌ ، وأمـا الـتي بينـي وبينـك : منــك المســألة والــدعاء ، وعلــيَّ الإجابــة والعطاء »[1] .

* * *

من أسباب الفقر ... « وهؤلاء يُفْقِرهم اللَّه »

1- المعصية :

جاء في الأثر : « إن الرجل ليُحرم الرزق بالــذنب يصيبه » .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لـن تمـوت حــتى تســتكمل أجلهــا وتســتوعب رزقهــا ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلــب ولا يحملــنَّ أحدكم اســتبطاءُ الــرزق أن يطلبــه بمعصــية اللَّــه ، فــإن اللَّــه تعــالى لا يُنــال مــا عنــده إلا بطاعته** »[2] .

2- سؤال الناس :

قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « **ثلاثــةٌ أُقْسِم عليهِا وأحدثكم حديثًا فاحفظوه : مــا نقــص مــالُ عبــد مــن صــدقةٍ ولا ظُلِــم عبــدٌ مظلمة صبر عليها إلا زاده اللَّه عزًا، ولا فَتَــحَ عَبْــدٌ بــابَ مَسْــأَلةٍ إلا فَتَــحَ اللَّــهُ عليــه بَــابَ فقر ...** »[3] .

وقــال صــلى اللــه عليــه وســلم : « **من أصابته فَاقةٌ فأنزلها بالناس لم تُسـدَّ فـاقته ، ومـن أنزلها باللَّه فيوشكُ اللَّهُ لـه بـرزق عاجـل أو**

---

[1] () صحيح . أخرجه أحمد في الزهد (ص 47) .

[2] () رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة . صحيح الجامع (2085) .

[3] () رواه الترمذي، وقال : حديث حسن صحيح ، عن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري ، رضي الله عنه .

آجل »[1] .

3- الربا :

قــال تعــالى : { **يَمْحَــقُ اللَّــهُ الرِّبَــا وَيُرْبِــي الصَّدَقَاتِ** } [البقرة : 276] .

قال ابن كثير : « يخبر اللَّه تعالى أنه يمحـق الربـا يُذهبه إما بأن يُذْهِبه بالكلية من يد صاحبه ، أو يحرمه بركة مـاله فلا ينتفـع بـه ، بـل يعـدمه بـه فـي الـدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة . وعن ابن مسـعود رضـي الله عنه عـن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **إن الربا وإن كثرُ فإن عاقبته تصيرُ إلى قُـل** »[2] »[3] .

5- الكذب :

عن حكيم بن حزام رضـي اللـه عنـه قـال : قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **البَيِّعَـان بالخيار ما لم يَتَفَرَّقَا فإن صَدَقَا وبَيَّنَـا بُـورِك لهما فـي بيعهمـا ، وإن كـذبا وكتمـا مُحِقَـت بركةُ بيعهما** »[4] .

6- الحلف في البيع :

عن أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه قـال : سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقــول : « **الحَلِفُ منفقةٌ للسلعة ، ممحقةٌ للكسب** »[5] .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أنـه سـمع رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقــول : « **إياكم وكـثرة الحلف في البيع : فإنه يُنَفِّقُ ثم يمْحَقُ** »[6] .

7- مانع الزكاة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسـول

---

1 () سبق تخريجه .

2 () أخرجه أحمد (1/395) ، وابن ماجه (2279) ، والحاكم (2/37) ، وصححه الحاكم ، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (1848) .

3 () انظر تفسير ابن كثير (1/310) .

4 () متفق عليه . « **مُحقت** » أي : ذهبت ولم يحصلا إلا على التعب .

5 () متفق عليه .

6 () رواه مسلم .

الله صلى الله عليه وسلم: « **لم يمنع قـومٌ زكـاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر من السماء ، ولـولا البهائم لم يمطروا** »[1] .

8- تـرك الحكـم بمـا أنـزل اللَّـه : « **وخمـس بخمس** » .

فإن من فعل ذلك فقد خـالف الغَنـيَّ فـي حكمـه فأفقرهم . عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **خمـس بخمسٍ : ما نقض قوم العهـد إلا سلط عليهـم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل اللّـهُ إلا فشـا فيهم الفقـرُ ، ولا ظهـرت فيهـم الفاحشـة إلا فشـا فيهـم المـوت ، ولا طفَّفُـوا المكيـال إلا مُنِعـوا النبـات ، وأُخـذوا بالسـنين ، ولا منعـوا الزكاة إلا حُبس عنهم القطر** »[2] .

9- السخط والقنوط :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « **إن مـن ضعف اليقيـن إرضـاء النـاس بسـخط اللـه ، وحمدهم على رزق الله ، وذمِّهم علـى قـدر الله وجلب الـرزق بمعصـية اللّـه ، فـإن رزق اللـه لا يجـره حـرص حريـص ، ولا تـدفعه كراهية كاره ، وإن الله برحمته جعـل الـرَّوْح فـي الرضـى واليقيـن ، وجعـل الفقـر فـي السخط والقنوط** » .

10- من كانت الدنيا همَّه :

قال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم : « **من كانت الدنيا همَّه فرَّق اللّه عليه أمـره وجعـل فقره بين عينيه ولـم يـأته مـن الـدنيا إلا مـا كتب له** »[3] .

---

[1] () رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ، وابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، والحاكم في المستدرك ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (5080) ، والصحيحة رقم (106) .

[2] () حسن . رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (3235) .

[3] () تقدم تخريجه .

« الوهاب » تبارك وتعالى

قال ابن القيم رحمه اللَّه :

وكـذلك الوهَّـابُ مـن ... فانظر مـواهبه مـدى

أهلِ السماواتِ العُلَـى ... عـن تلـكِ المـواهب

المعنى اللغوي :

الواهب : الكثير الهبة والعطية ، والوهَّاب علـى وزن الفعَّال للمبالغة ، فـالله عـز وجـل هـو الوهَّـابُ يَهَبُ لعباده واحدٍ بعد واحدٍ ويعطيهم فجاءت الصـفة على وزن فعَّال لكثرة ذلك وتردَّده .

والهبـة : الإعطـاء تفضـلاً وابتـداءً مـن غيـر استحقاق ولا مكافأة ، وقيل : الهبة أن تجعل ملكـك لغيـرك بغيـر عِـوضٍ ولا غَـرَضٍ وبغيـر قـدرة مـن الموهـوب علـى كسـبها ولا تكـون هبـة إلا بهـذين الركنين :

1- التملك .

2- بلا عوض[1] .

الدليل الشرعي :

ورد اسم « الوهاب » تبارك وتعالى في كتاب اللَّه سبحانه وتعالى ثلاث مرات وهي :

الأولى : قـال تعـالى : **{ رَبَّنَا لاَ تُـزِغْ قُلُوبَنَـا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَـةً إِنَّـكَ أَنْـتَ الْوَهَّابُ }** [آل عمران : 8] .

الثانية : قال جل جلاله : { **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّـكَ أَنْـتَ الْوَهَّابُ** } [ص : 35] .

معنى الاسم في حق الله جل جلاله :

قيل : « **الوهَّاب** » هو الذي يهـب العطـاء دون عِوَض ويمنحُ الفضلَ بغير غرض .

قـال الخطـابي : « الوهَّـاب » هـو الـذي يجـود بالعطاء عن ظهر يدٍ من غيـر اسـتثابة ؛ أي مـن غيـر طلب للثواب من أحد .

---

[1] () الأسنى للقرطبي .

قال تعالى : { **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ** } [البقرة : 22] .

وقال جل جلاله : { **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** } [إبراهيم : 34] .

فانظر إلى هباته - سبحانه وبحمده - تتابعت نعمه وفاض كرمه وزاد بره وكثر خيره .

« يغفِرُ ذنبًا ، ويُفرِّج كربًا ، ويَجْبُر كسيرًا ، ويُغني فقيرًا ، ويشفي سقيمًا ويُخْصِبُ عقيمًا ، ويعلِّم جاهلاً ، ويهدي ضالاً ، ويرشد حيرانًا ، ويغيث لهفانًا ، ويفك عانيًا ، ويكسو عاريًا ، ويُسلِّي صابرًا ، ويزيد شاكرًا ، ويقبل تائبًا ، ويجزي محسنًا ، ويعطي محرومًا ، وينصر مظلومًا ، ويقصم ظالمًا ، ويُقِيلُ عثرةً ، ويسترُ عورةً ، ويؤمِّن روعة ، ويزيل لوعة » .

وكل ذلك في غير استحقاقٍ من عباده ولا حقَّ لهم عليه .

ولله درُّ القائل :

ما للعباد عليه حق كلا ولا سعى لديه

إنْ نُعِّموا فبفضله أو فبعدله وهو الكريم

لذلك قيل : « الوهاب » هو المتفضل بالعطايا الذي ينعم بها لا عن استحقاق عليه ، بل هي محض تفضل منه ، وما دفع أحدٌ من خلقه ثمنًا لها ولا كافأه عليها تبارك وتعالى ، وقيل أيضًا : « الوهاب » هو الذي يجود بجزيل العطاء والنوال كثير المنِّ والإفضال واللطف والإقبال ، يعطي من غير

سؤال ، ولا يقطع فيما يحبه الآمال ، وصدق من قال :

وهَّابٍ ما ترجو سبحانه من رازق
والشاكرون من العباد نعمًا ويعطيهم بغير

فانظر إلى هباته جل جلاله تحدثك عن خالقها ، وواهبها بأفصح لغة ، فتنطق بلسان حالها « قائلةً » : أن اللّه عز وجل هو الذي وهبها في حالها ومآلها ولا وهَّاب لها غيره ولا رازق لها سواه .

قال تعالى : { **أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمْ مَنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (61) أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** } [النحل : 60 - 64] .

ولو استقصينا الأدلة التي تتحدث عن هبات اللّه جل جلاله في القرآن والسنة لا نكاد نحصيها كثرة وتعددًا وتنوعًا واختلافًا من كثرتها وتعددها واختلافها ، فما من مخلوق أُعطي رزقًا إلا والله هو الذي أعطاه ، وما من عبدٍ وُهِبَ نعمة إلا والله هو الذي وهبه .

كما في قوله تعالى حين سُئل موسى عليه السلام عن اللّه : { **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** } [طه : 50] .

فالولد الصالح أيضًا هبة :

قال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام : { **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً** } [الأنبياء : 76] .

وقال عز وجل عن نبيه داود عليه السلام : { **وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** } [ص : 30] .

وقال جل وعلا عن نبيه زكريا : { **وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى** }[الأنبياء : 90] . وقد يجمع اللّه عز وجل لعبد من عباده كلا الهبتين من الذكور والإناث ، كما في قوله تعالى : { **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** } [الشورى : 49، 50] .

والزوجة الصالحة هبة :

قال تعالى : { **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** } [الفرقان : 74] .

وقال تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام : { **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ** } [الأنبياء : 90] .

الأهل هبة :

قال تعالى في نبيه أيوب عليه السلام : { **وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا** } [ص 32] ، **الأخ الصالح هبة ،** قال تعالى عن نبيه موسى حين أرسل معه أخاه هارون : { **وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا** } [مريم : 53] .

النبوة هبة :

قال جل وعلا عن نبيه موسى عليه السلام : { **فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ** } [الشعراء : 21] .

وأخبر عن نبيه إسحاق ويعقوب عليهما السلام فقال : { **وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا** } [مريم : 49] .

الأخلاق الطيبة هبة :

فقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « **اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت** »[1].

وقال عز وجل عن هباته لبعض الأنبياء والرسل : { **وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** } [مريم : 50] .

من آثار الإيمان باسم اللَّه « الوهاب » تبارك وتعالى :

أولاً : أن « الوهاب » على الحقيقة هو اللَّه وحده .

فإن كل من يهب شيئًا من الخلق إنما يهب من هبات اللَّه له ، فلا بد أن يهبه اللَّه ليَهَب ، وأن يُعطيَه اللَّه ليُعطي ، وأن يَرْزُقه اللَّه ليَرْزُق ، أما اللَّه فإنه يُطعِم ولا يُطعم وهو يجير ولا يُجار عليه . وقال تعالى : { **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** } [النحل : 53] .

ثانيًا : دعاء اللَّه باسمه الوهاب :

وهذه ثمرة معرفة اللَّه بهذا الاسم الطيب رجاؤه وسؤاله من هباته وواسع فضله سبحانه وبحمده ، فمن نظر إلى واسع كرمه وجليل نعمه طمع في رحمته ، وخير من عرف اللَّهَ هم الأنبياءُ الكرام عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

فانظر إلى نبي اللَّه إبراهيم عليه السلام وهو يسأل اللَّه عز وجل الحكم والصلاح ، فيقول : { **رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** } [الشعراء : 83] .

وتأمل نبي الله سليمان عليه السلام وهو يسأل المُلك فيقول : { **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي**

---

[1] () أخرجه مسلم (771) من حديث علي ، رضي الله عنه ، في حديث طويل .

مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي } [ص : 35] .

وانتبه إلى دعاء نبي الله زكريا عليه السلام وهو يسأل الولد فيقول : { **رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً** } [آل عمران : 38] .

وقد سار الصالحون على درب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فتراهم يقولون : { **وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** } [آل عمران : 8] .

ثالثًا : العلم بأن الهبة ليست مجرد عطاء :

فإن العطاء لا يكون هبة حتى يكون مقرونًا بطاعة وخير وبركة في الدنيا والآخرة . قال القاضي أبو بكر العربي : « ولا تكون الهبة منه سبحانه والعطاء إلا أن يتعلق بنوع ما يكون به منعمًا محسنًا وذلك بما لا ألَم فيه ولا ضرر فإذا كان ما يخلق ضررًا وألمًا لم تكن هبة » .

وهذا معنى قوله تعالى : { **وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** } [آل عمران : 8].

فقد علَّم اللَّه أولياءه كيف يسألونه الإنعام والإحسان على وجه لا يكون فيه مكر ولا استدراج ، كما فعل بالكفار حين خلق لهم ومكَّنهم مما فيه ضررهم وهلكتهم « كالذي يُرْزَق فَيَطْغَى » فالمرجو منه سبحانه هبة يكون مآلها كحالها ، لا تنفصل ولا تتغير ولا يقترن بها ضررٌ ولا ألم .

وقد كان الأنبياء عليهم السلام يسألون ربهم تبارك وتعالى الهبات المقرونة بالمغفرة ، كما قال تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام : { **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا** } [ص : 35] .

ونبي اللَّه زكريا عليه السلام لم يسأل مجرد الولد والذرية ولكنه سأل وليًا للَّه صالحًا ؛ إذ قال : { **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا** } [مريم : 5] ، وسمعنا أن نبي اللَّه يحيى كان كثير البكاء ، فقال أبوه (نبيُ اللَّه زكريا) : يا رب ، إن ابني كثير البكاء ، فأوحى

إليه أن هذا ما سألتَهَ . قال : سألتُ وليًّا ، فقيل له : كذلك الأولياء لا يجف دمعهم .

وقد وصف اللَّه عباد الرحمن فكان من دعـائهم : { **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِـنْ أَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّاتِنَـا قُـرَّةَ أَعْيُـنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** } [الفرقان : 74] .

قال ابن عباس رضي اللـه عنهما : يَعْنُونَ من يعمـل بطاعـة اللَّـه فتقـرَّ بـه أعينهـم فـي الـدنيا والآخرة[1] .

فهـم لا يسـألون مجـرد زوجـة ، بـل يسـألون الصالحة منهن وهـذا مـا يسـعدهم، كمـا قـال النـبي صلى اللـه عليـه وسـلم : « **فاظفر بـذات الـدين تربت يداك** »[2] .

ولا يسـألون مجـرد الولـد والذريـة ، ولكنهـم يسألون أولادًا عُبَّـادًا زُهَّـادًا ، صـالحين قـانتين ، مـن الأبرار ليسوا من الفجار ، علماء ليسوا من الجهلاء .

رابعًا : شكر اللَّه على هباته :

من رأى هبات اللَّه لا يسـعه إلا أن يسـبح بحمـده تبارك وتعالى ، كما قال خليل الرحمن عليـه السـلام حين وهبه اللَّه ولديه إسماعيل وإسحاق : { **الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** } [إبراهيم : 39] .

وقال النبي صلى اللـه عليـه وسـلم : « **من لـم يشكر الناس ، لم يشكر الله** »[3] .

خامسًا الزهد :

أيها الأحبة في اللَّـه ، هـل رأيتـم هبـة مـن هبـات الدنيا قد بقيت لصاحبها ؟ فليعلم كل من وهبـه اللَّـه شيئًا من الدنيا أنه زائل عنه ولا بد ، فكما أخـذه لابـد أن يذهب عنه ، فلا ينشغل بـالخلق عـن خـالقه ، ولا

---

1 () تفسير ابن كثير (3/313) .

2 () متفق عليه .

3 () أخرجه أحمد (2/258) ، والبخاري في الأدب المفرد (218) ، وأبو داود (4811) ، والترمذي (1954) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر صحيح سنن أبي داود (4026) .

بالرزق عـن رازقـه ، ولا ينشـغل بالهبـة عـن واهبهـا تبارك وتعالى ، ولا يشغله الفاني عـن البـاقي . قـال تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لاَ تُلْهِكُـمْ أَمْـوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** } . وقال تعالى : { **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَـا فَـــانٍ (26) وَيَبْقَـــى وَجْـــهُ رَبِّـــكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** } [الرحمن : 26، 27] .

سادسًا : الرضا :

الرضا إذا أُعطِي والرضا إذا مُنع . إن أُعِطيَ علم أن اللَّه عزَّ وجلَّ قد أعطاه برحمتـه ، وإن مُنِـع علـم أنّ الله تبارك وتع الى ق د منعـه بحكمة ه ، ولا يكـون كعبد الـدينار والـدرهم ، فـإنه لا يرضـى إلا للـدنيا ولا يسـخط إلا لهـا ، فقـد قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وســـلم : « **تعـــس عبـــد الـــدينار والـــدرهم والقطيفة والخميصة إن أُعطي رَضِيَ ، وإن لم يُعْطَ لم يَرْضَ** »[1] .

سابعًا : الصبر :

الصبر عند المصيبة بضياع النعم والهبات :

فقد يكون المنع هو عين العطاء ، فإن ابتلاك اللهُ بالحرمان من نعمة بأن صرفها عنك أو أخذها بعد أن وَهَبَك إياها فلا بد وأن هناك حكمة من ذلك ، فاصـبر لحكم ربك ، وذلك لعدة أمور منها :

1- أن اللَّـه يحـب الصـابرين . قـال تعـالى : { **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّـابِرِينَ** } [آل عمـران : 146] . وقـرب اللَّه أجمل من كل قريب ، وحب اللَّه أحلى مـن كـل حبيب .

ولله در القائل :

لكل شـيءٍ إذا فـارقته وليس للَّه إن فارقت

2- لأن اللَّه عز وجل هو صاحب النعم ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، فعن أسامة بـن زيـد رضي الله عنهما قال : أرْسَلَتْ بنتُ النبيِّ صلى الله

---

[1] () رواه البخاري .

عليه وسلم إن ابني قد احْتُضِر فاشهدنا ، فأرسل يقرئ السلام ويقول : « **إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيءٍ عنده بأجلٍ مُسَمَّى فلتصبر ولتحتسب** »[1] . وقال تعالى : { **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [آل عمران : 6] .

فمن أعظم ما يُسلي العبد ويُصبِّره إرجاعه الأمر لصاحبه وتسليمه المُلك لمالكه ويعلم أنه لا حق له في النعم ، ولله أن يعطي ويمنع ويقبض ويبسط ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه . فعن أبي ذرٍ رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال له : « **أرأيت لو كان لك ولد فأدرك ورجوت خيره فمات أكنت تحتسب به** ؟ » قلت : نعم . قال : « **فأنت خلقته** ؟ » قال : بل اللَّهُ خلقه . قال : « **فأنت هديته ؟** » قال : بل اللَّه هداه . قال : « **فأنت ترزقه ؟** » قال : بل اللَّه كان يرزقه ، قال : « **كذلك فضعه في حلال وجنِّبه حرامه ، فإن شاء اللَّه أحياه وإن شاء أماته ولك أجر** »[2] .

3- أن اللَّه يجزي الصابر على مصيبته ، والمحتسب الأجر عليها بخيرٍ مما فقد منه في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : « **إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر عوَّضته منهما الجنة** » يريد عينيه[3] .

ومن الأمثلة المُشْرِقَة بالصبر ، والناطقة بالرضى والاحتساب وقت المصيبة ما فعلته أم سُلَيْم رضي اللَّه عنها حين مات ولدها فغسَّلته

---

1 () متفق عليه . احْتُضِر ، أي : حضرته مقدمات الموت .

2 () إسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه النسائي في الكبرى (9027) ، والبيهقي في الشعب (11171) من طريق أبي عامر عبد الملك بن عمرو بهذا الإسناد .

3 () صحيح : أخرجه البخاري (10/5653) ، والبيهقي (3/375) .

وكفنته وتزينت لزوجها حتى جامعها ، فماذا كان جزاء هذا الصبر الجميل ؟ هذا ما يجيبنا عليه أنس بن مالك رضي الله عنه فيما اتفق عليه الشيخان ؛ **فعن أنس رضي اللّه عنه قال :** كان ابنٌ لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي ، فخرج أبو طلحة فقُبِض الصبيُ ، فلما رجع أبو طلحة ، قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي : هو أسكن ما كان ، فقرَّبَتْ له العشاء فتعشى ، ثم أصاب منها ، فلما فرغ قالت : واروا الصبي ، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال : « **أعرستم الليلة ؟** » قال : نعم . قال : « **اللهم بارك لهما** » ، فولدت غلامًا ، فقال لي أبو طلحة : احمله حتى تأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعث معه بتمرات ، فقال : « **أمعه شيء ؟** » قال: نعم تمرات . فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها ، ثم أخذها من فِيه فجعلها في فِيِّ الصبي ، ثم حنَّكه وسماه عبد اللَّه .

وفي رواية للبخاري : قال ابن عيينة : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد قد قرأوا القرآن - يعني أولاد من عبد اللَّه المولود .

وفي رواية لمسلم : مات ابنٌ لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ، ثم تصنَّعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا . فقالت : فاحتسب ابنك .

الثالث : أن اللَّه وإن ابتلي عبدًا بمصيبة فإنما يبتليه بشيء من المصائب ، ولكنه يُعافيه في كثير من النعم ويُنزل عليه أيضًا كثيرًا من الأرزاق ، فإذا تذكر العبدُ ما أنعم اللَّه به عليه هان عليه ما أصابه

من البلاء وأعانه ذلك على الصبر والرضى عن اللَّه ، ولقد كان هذا هو حال السلف الصالح ، وسنذكر منها مثلاً ينطق بالحب وينبض بالرضى عن اللَّه في قضائه وقدره :

عروة بن الزبير بن العوام :

قطعت ساقُه ومات ولدُه في يوم واحد ، فلما جاءه الناس ليخفِّفوا عنه ويواسوه ، قَال : إني واللَّه لراضٍ عن ربي ، فقد أعطاني اللَّهُ أربعة من الولد فأخذ واحدًا وأبقى ثلاثة فالحمد لله ، وأعطاني أربعة أطراف فأخذ واحدًا وأبقى ثلاثة ، فالحمد للَّه .

ثامنا: ليس كمثله شيءٌ في هباته :

إن اللَّه عزَّ وجلَّ هو « الوهَّاب » ، فلا يشبهه أحدٌ من مخلوقاته في هباته ، وذلك من وجوه :

أولاً : لأنه خالق الهبات :

فما من أحد من خلق اللَّه يهب هبةً إلا وهو محتاج إلى شيءٍ موجود مخلوق ليهبه ، وما خلق هذه الهبات وغيرها إلا اللَّه تبارك وتعالى ، فالناس يهبون من هبات اللَّه ، واللَّه يعطي من هباته هو ومن صُنع يده . قال تعالى : { **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** } .

ثانيًا : يهب بغير عوض ولا غرض :

فكل من يهب شيئًا لغيره من الخلق فإنما يهبه لغرض في نفسه ، ومقابل يرجوه ، ولو لم يوجد هذا الغرض وذلك المقابل للهبات لم يُتصور حدوث الهبة . فالرجل يعطي الهبة لولدٍ أنجبه أو امرأة يتزوجها أو صديق يحبه ، ولو تصورنا أن هذه الروابط قد انفصلت أو انعدمت لم يُتصور معها الهبات ، فلو أن الولد عقَّ والده وهجره ، أو أن المرأة طُلِّقت من زوجها وتزوجت بآخر ، أو أن الصديق نقض عهده وخان ودَّه ، لم يُتصور وجود الهبات ، حتى العطاء للفقراء والمساكين الذين لا يُرجى منهم عطاءٌ ولا يتوقع منهم جزاءٌ فإنما

يعطيهم من أجل غرض آخر ؛ وهو النجاة يوم القيامة ، كما قال تعالى : { **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا** } [الإنسان : 9] .

أما اللَّه عزَّ وجلَّ فيهب بغير غرض ولا عوض ، يهب تفضلاً منه وإحسانًا ولطفًا منه وبرًا ، فكل المصلحة عائدة على العبد من هبات اللَّه في الدنيا والآخرة ، فمن ذلك أن اللّه عز وجل أنزل المال لخلقه ليعينهم به على عبادته ثم يجزيهم على تلك العبادة الجنة في الآخرة . فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن اللَّه عز وجل قال : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** »[1] .

ثالثًا : كثرة هباته وعظمتها :

فإن الناس وإن وهبوا فتكون هباتهم قاصرة ضعيفة ، فقد يهب الرجل مالاً أو نوالاً ، ولكن هل يستطيع أن يهب شفاءً لسقيم ، أو ولدًا لعقيم ؟ لا يقدر على ذلك وغيره إلا اللّه وحده . قال تعالى : { **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ** } .

رابعًا : اللَّه عز وجلَّ هو الوهاب على الحقيقة :

وكل الناس واهبين على المجاز أي لا يملكون العطاء إلا لمن أراد اللّه ، فالوهَّاب في حقيقة الأمر وأصله هو اللّه ، ولكن يجعل لذلك أسبابًا ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللَّه لك** »[2] .

وحين جاء جبريل عليه السلام إلى مريم عليه السلام قال لها: { **إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا** } ، وفي قراءة أخرى : (**ليَهب لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا**) أي : أن الوهاب على الحقيقة هو

---

[1] () صحيح . أخرجه أحمد (ج 5 ص 218) ، وصححه العراقي في تخريج الإحياء والألباني في صحيحه .

[2] () رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

اللَّه ، ولكن جبريل هو الذي تجـري الهبـة علـى يـديه فيكون واهبًا على المجاز .

خامسًا : عموم هباته وشمولها للخلق جميعًا :

فإن العبد إن وهب غيره فإن هباته تكـون خاصـة بشخص دون آخر أو بجماعة دون غيرهم ، ولكن اللَّه عـز وجـل وهـب خلقـه جميعًـا الـبر منهـم والفـاجر، المؤمن والكافر ، فما مـن أحـد إلا وهـو يتقلـب فـي نعمه وينعم فـي هبـاته . قـال تعـالى : { **قَالَ رَبُّنَـا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** } .

سادسًا : الحكمة في الهبة :

فإن الناس قد يهبوا من لا يسـتحق أو مـن تضـره الهبة ، فيضروه من حيث أرادوا نفعه ، أمَّـا اللَّـه عـزَّ وجلَّ فإنه حكيم فيمـا يهـب ولمـن يهـب عليـم بمـن يستحق خـبير بمـن تصـلحه الهبـات ممـن تفسـده ، ولذلك فإنه لا يملك الهبة والنفع بهـا إلا اللـه وحـده ، ولذلك فـإنه { **لَيْـسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْبَصِيرُ** } .

* * *

العلي - الأعلى - المتعال

« **جل جلاله وتقدست أسماؤه** »

المعنى اللغوي :

يأتي العُلُو في اللغة على أربعة معاني :

1- علـو كـل شـيء ارتفـاعه ، ويقـال : علا فلانٌ الجبل إذا رقيه ويعلو عُلُوًا .

2- القهر والغلبة : يقـال : علا فلانٌ فلانًـا إذا قهره ، وعلوتُ الرجل غلبتُه ، ومن قول العرب :

فلمـا علونـا واسـتوينا تركنــاهم صــرعى

3- **رفعة الشأن وعُلُو القدر :** تقولُ العرب : « علــى كعبــه أي ارتفــع شــأنه ، كقــوله تعــالى : { **وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَـى** } [طـه : 4] ، والمعنـى : هـي الأشــرفُ والأفضــل بالإضــافة إلــى هــذا العــالم ، وتعالى : أي ترفَّع .

4- **الكبر :** كما قال تعالى فـي فرعـون : { **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ** } [القصـص: 4]. وقال أيضًـا : { **وَإِنَّ فِرْعَــوْنَ لَعَــالٍ فِــي الأَرْضِ وَإِنَّــهُ لَمِــنَ الْمُسْرِفِينَ** } [يونس : 83] ، وأيضًا كما قال تعالى في قوم فرعون : { **فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ** } [المؤمنون : 46] .

ورود هذه الأسماء في القرآن الكريم :

ورد اسم اللَّه « العليُّ » في ثمانية مواضع منها :

- قــوله تعــالى : { **وَلاَ يَئُــودُهُ حِفْظُهُمَــا وَهُــوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** } [البقرة : 255] .

- وقوله : { **ذَلِـكَ بِـأَنَّ اللَّـهَ هُـوَ الْحَـقُّ وَأَنَّ مَـا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّـهَ هُـوَ الْعَلِـيُّ الْكَبِيرُ** } [الحج : 62] .

- وقوله تعالى : { **فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيــرِ** } [غافر : 12] .

وأما اسم « الأعلى » فقد جاء في موضعين :

- في قوله تعالى : { **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَـى** } [الأعلى : 1] ، وقوله : { **إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى** }

[الليل : 20] .

وأما « المتعال » فقد جاء مرة واحدة في قوله : { **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** } [الرعد : 9] .

معنى الأسماء في حق اللَّه تعالى :

قال ابن كثير رحمه اللَّه : « وقوله : { **وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** } [الحج : 62] كما قال : { **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** } [البقرة : 255] ، وقال : { **الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** } [الرعد : 9] فكل شيءٍ تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه ؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العلي الذي لا أعلى منه ، الكبير الذي لا أكبر منه تعالى وتقدس ، وتنزَّه عزَّ وجلَّ عما يقول الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا[1] .

فتعالى اللَّهُ عما يقول الجهميةُ وأشباهُهُم أن اللَّهَ في كل مكان ، وأنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض وسماء وفي أجواف جميع الحيوان ، تعالى اللَّه عما يقولون علوًا كبيرًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه : « وهو سبحانه وصف نفسه بالعلو ، وهو من صفات المدح له بذلك ، والتعظيم ؛ لأنه من صفات الكمال كما مدح نفسه بأنه العظيم ، والعليم ، والقدير والعزيز والحليم ونحو ذلك وأنه الحي القيوم ، ونحو ذلك من معاني أسمائه الحسنى فلا يجوز أن يتصف بأضداد هذه الصفات » .

فلا يجوز أن يوصف بضد الحياة والقيومية والعلم والقدرة مثل الموت والنوم والجهل والعجز واللغوب ولا بضد العِزة وهو الذُّل ولا بضد الحكمة وهو السفه ، فكذلك لا يُوصف بضد العلو وهو السفول ، ولا بضد العظيم وهو الحقير ، بل هو سبحانه مُنزَّه عن هذه النقائص المنافية لصفات

---

[1] () تفسير ابن كثير (3/222، 223) .

الكمال الثابتة له ، فثبوت الكمـال لـه ينفـي اتصـافه بأضدادها وهي النقائص[1]. اهـ.

وقال ابن القيم رحمه اللَّه :

هـذا ومـن توحيـدهم صـاف الكمـال لربنـا
كعلـوِّه سـبحانه فـوق ـاوات العُلى بـل فـوق
فهـو العلـيُّ بـذاته إذ يستحيل خلافُ ذا
وهـوالـذي حقًـا علـى قـد قـام بالتـدبير

* * *

من آثار الإيمان بهذه الأسماء الكريمة

1- وجـوب الإيمـان بـالعلو المطلـق للـه تبـارك وتعالى من كل الوجوه :

قال ابن القيم رحمه اللَّه :

وهو العليُّ فكل أنـواع نكران[2]

وقال السعديُ « العليُّ الأعلـى » : وهـو الـذي لـه العلو المطلق من جميع الوجوه : علـو الـذات وعلـو القدر والصفات ، وعلو القهر والكبرياء ، فهـو الـذي على العرش استوى ، وعلىالملـك احتـوى ، وبجميـع صـفات العظمـة والكبريـاء والجلال والجمـال وغايـة الكمال اتصف وإليه فيها المنتهى[3]. اهـ.

إذن فجميع أنواع ومعاني العلوم ثابتة له سـبحانه وتعـالى دون أن نُعطِّـل أو نُـؤول شـيئًا منهـا ، ومـن أنواع العلو الثابتة لله جلَّ جلاله ما يلي :

أولاً : إن اللَّه هو العلي في ذاته[4] :

فقـد قـال تعـالى : { **الرَّحْمَـنُ عَلَـى الْعَـرْشِ اسْـتَوَى** } [طـه : 5] ، وأخـبر تعـالى أن الأعمـال

---

1 () « مجموع الفتاوى » (16/97- 98) .
2 () النونية (2/213- 214) .
3 () تيسير الكريم الرحمن (5/300) .
4 () فقد تضمنت هذه الأسماء إثبات علو ذات ربنا سبحانه وأنه عال على كل شيء وفوق كل شيء ولا شيء فوقه ، بل هو فوق عرشه كما أخبر عن نفسه ، وهو أعلم بنفسه .

الصالحة والكلام الطيب إليه يصعدان . قال تعالى : { **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** } [فاطر : 10] . وقال تعالى : { **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ** } [غافر : 15] .

قال ابن كثير في تلك الآية : يقول تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم على جميع مخلوقات[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى[2] عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها** »[3] .

ثانيًا : هو العلي في كلامه :

قال تعالى : { **وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا** } [التوبة : 40] ، فكلام اللَّه أعلى الكلام وأحكام الله أعلى الأحكام ، ومن ذلك كلامه الشرعي وكلامه القدري ، فأما كلامه الشرعي فقد قال تعالى عن القرآن الكريم : { **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** } [الزخرف : 4] ، وقال تعالى : { **فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ** } [عبس : 13، 14] .

قال ابن كثير : جميع القرآن في صحف مكرمة أي معظمة موقرة ، « مرفوعة » أي عالية القدر ، « مطهرة » أي من الدنس والزيادة والنقص[4].

وقد وصف الوليد بن المغيرة - وهو رجل كافر - كلام الله بقوله : « وإنه يعلو ولا يُعلى عليه » .

أما كلامه القدري ، فإن الله إذا أراد شيئًا فَعَلَه

---

1 () تفسير ابن كثير (4/72) .

2 () فتأبى عليه. قال الشيخ الألباني : أي تمتنع إلا كان الله تبارك وتعالى ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها . والحديث دليل من عشرات الأدلة على أن اللَّه تعالى في السماء أي العلو المطلق ، فوق العرش والمخلوقات كلها .

3 () رواه مسلم (2/1436 - 121) .

4 () تفسير ابن كثير (4/455) .

وإذا أَمَرَ بشيءٍ حدث ، قال تعالى : { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } [يس : 82] .
وقال تعالى : { **وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا** } .

ثالثًا : العلي في أسمائه وصفاته :

فهو العلي في الملك ، قال تعالى : { **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ** } ، والعلي في أسمائِه قال تعالى : { **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** } .

رابعًا : والله تعالى هو العلي في حكمه :

قال تعالى : { **فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ** } .

خامسًا : وهو العلى في وحدانيته : « فليس له زوجة أو ولد » .

فهو العلي المنزه أن تكون له صاحبةٌ أو ولد ، وهذا ما آمنت به الجن واعترفت به في قوله : { **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا** } [الجن : 3] .

وهو العلي أن يكون له شركاءٌ أو أندادٌ :

قال تعالى : { **قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا** } [الإسراء : 42، 43] .

2- النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي اللَّه عنهم يؤمنون بأن اللَّه في السماء :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء؟** »[1] .

وعن أنس رضي الله عنه أن زينب زوجة النبي صلى الله عليه وسلم كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : « زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ ، وزوجني اللَّهُ تعالى من فوق سبع سماوات » . وفي رواية : وكانت تقول : « إن اللَّه أنكحني في

---

[1] () رواه البخاري (8/67) ، ومسلم (2/742) مطولاً.

السماء »[2].

تعني قوله تعالى : { **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** } . وكذلك كانت عقيدة التابعين بإحسان للسلف الصالح . **فقد قال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب « الإبانة » :** « وأئِمتنا كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عُيَيْنَة وحماد بن سلمة ، وعبد الله بن المبارك ، والفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، متفقون على أن اللَّه سبحانه بذاته فوق العرش وأن علمه بكل مكان وأنه يُرى يوم القيامة بالأبصار ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا »[1] .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في العقيدة المشهورة عنه : « طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأُمة ، فما اعتقدوه اعتقدناه ، فممَّا اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها، من غير تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه ، وأن اللَّه بائن من خلقه ، والخلق بائنون منه ، لا يَحِلُّ فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه »[2] .

3- ثبوت الإيمان لمن آمن بعلو الله تبارك وتعالى :

من غير تعطيل ولا تأويل ، فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد بالإيمان لمن آمن بعلو الله . فعن معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه قال : وكان لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَلَ أحدٍ والجوانية ، فاطَّلَعْتُ ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم ، أسف كما يأسفون ،

---

[2] () رواه البخاري (13/7420، 7421) .

[1] () نقض تأسيس الجهمية (2/38) .

[2] () تلبيس الجهمية لابن تيمية (2/40) .

لكني صَكَكْتُها صكَّةً ، فأتيت رسولَ اللَّـه صـلى اللـه عليه وسلم فعظَّم ذلك عليَّ قلتُ : يا رسـول اللَّـه ، أفلا أعْتِقُها ؟ قال : « ائتني بها » . فأتَيْتُه بهـا ، فقـال لهـا: « **أين اللَّـه ؟** » قـالت : فـي السـماء ، قـال : « **مـن أنـا ؟** » قـالت : أنـت رسـول اللَّـه. قـال : « **اعتقها فإنها مؤمنة** »[1] .

قال أبو سعيد الدارمي : ففي حديث رسول اللـه صلى الله عليه وسلم هذا دليـل علـى أن الرجـل إذا لم يعلم أن اللَّـه عـز وجـل فـي السـماء دون الأرض فليس بمؤمن ، ولو كـان عبـدًا فـأعتق لـم يَجُـزْ فـي رقبة مؤمنة إذ لا يعلم أن اللَّه في السماء[2] . اهـ .

4- التواضع وذم التعالي والتكبر :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : من تواضـع للـه تخشعًا رفعه اللَّه ، ومن تكبَّر تجبرًا قسمه اللَّه .

وقد كـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أعظـم الناس تواضعًا لربه ، فكان يقول : « **آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد** »[3] .

وانظر إلى ذكائه صلى الله عليه وسلم وكم كـان ربانيًّا ، فعندما نزل قـوله تعـالى : { **فَسَـبِّحْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** } قـال : « اجعلوهـا فـي ركـوعكم » ، وعندما نزلت : { **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** } [الأعلـى : 1] قال : اجعلوها فـي سـجودكم[4] ، فاختـار للنـاس تعظيم اللَّه في حال الخضوع وهو الركوع ، وأمرهـم فـي أعظـم موقـف تـذل فيـه جبـاهُهُم وتغـبر فيـه وجوههم بأن يذكروا اللـه ويسـبحوه باسـمه الأعلـى ليتذكروا ذِلتهم لعزته وخضوعهم لقوته ، فيكون ذلك

---

[1] () رواه أحمد (5/448) ، ومسلم (1/573) .
[2] () الرد على الجهمية (ص 39) .
[3] () تقدم تخريجه .
[4] () أخرجه الطيالسي (1093) ، وأحمد 4/155، وأبو داود (869) ، وابن ماجه (887) ، وابن خزيمة (600، 670) ، وابن حبان (1898) ، والحاكم 1/225 . وصححه أيضًا الحاكم ، وتعقبه الذهبي . وانظر فتح الباري لابن رجب الحنبلي 7/176، والإرواء 2/40 .

سبب عزهم وهو أقرب المواقف للعبد من ربه ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء** »[1] .

5- ما علا شيءٌ من الدنيا إلا وُضِع :

وما من طيرٍ طار إلا كما طار وقع

عن أنس رضي الله عنه قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تُسْبق أو لا تكاد تُسبق ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **حقٌ على اللّه أن لا يرتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه** »[2] .

وصدق من قال : الدنيا إذا حلت أوحلت ، وإذا كست أوكست ، وكم من مَلِكٍ له عَلاَمَاتٌ ، فلما عَلاَ ماتَ .

أما التعالي الذي يعني التكبر ورغبة الترفع بالنفس عن الناس يجعل العبد جبارًا متكبرًا حتى يظن نفسه ندًا لله جل جلاله فيكون في ذلك هلاكه ، كما قال فرعون لقومه : { **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى** } .

والمتكبر الذي يريد التعالي عن خلق اللَّه إنما ينازع اللَّهَ صفاته ، وقد قال تعالى في الحديث القدسي : « **العز إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني بشيءٍ منهما عذَّبتُه** »[3] .

ما من يدٍ إلا ويد اللّه ولا ظالم إلا سَيُبْلى

6- الإخلاص

فإذا علم العبد أن الله تعالى هو العلى الأعلى فوق خلقه فهو فوقهم قاهر وعليهم قادر فلابد وأن

---

1 () رواه مسلم .
2 () رواه البخاري .
3 () صحيح : أخرجه البخاري في الأدب المفرد (552) .

يخشاه وحـده ويرجـوه وحـده ويطلـب منـه الثـوابَ وحده وقـد وصـف اللـه المخلصـين بـذلك كمـا قـال تعالى : {**وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَـةٍ تُجْـزَى * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى**} [الليل: 19، 20].

7- إن الله يحب معالي الأمور :

إن اللّـه تبـارك وتعـالى هـو العلـي ، ولـذلك فهـو يحب معالي الأمور في كل شيء كالتوحيـد والجهـاد وحسن الخُلق ... وهكذا .

وقـد رُوى فـي بعـض الحـديث قـال : « **إن اللَّه يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها** »[1] .

8- « أولئك لهم الدرجات العُلى » :

فإن اللّـه عـز وجـل هـو العلـي وهـو الـذي يرفـع ويخفض ولا يعلو أحدٌ إلا بطاعته ، ولعلوِ النـاس عنـد اللّه تبارك وتعالى أسباب .

---

[1] () عزاه الشيخ الألباني إلى ابن عساكر ، والضياء في المختارة عن سعد تبعًا للسيوطي في زوائد الجامع الصغير ، وصححه الشيخ الألباني . (صحيح الجامع الصغير 2/123) .

فمن أسباب العلو :

1- الإيمان ، والعلم . قال تعالى : **{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }** [المجادلة: 11] .

فإن الله يرفع بالعلم العبدَ المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك وقد جاء فى الصحيح أن نافع بن الحارث أتى عمر بن الخطاب بعسفان وكان قد استعمله على أهل مكة فقال له عمر : ((من استخلفت على أهل الوادى ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزى فقال : ومن ابن أبزى ؟ فقال : رجل من موالينا ، فقال عمر : استخلفت عليهم مولى ؟ فقال : إنه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض . فقال عمر : أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال : **((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين))**[1] .

قال إبراهيم الحربى : كان عطاء بن رباح عبدًا أسودًا لامرأة من مكة وكان أنفه باقلاه ، قال : وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلى فلما صلى انفتل إليهم فمازالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم ، فقال سليمان لابنيه قوما فقاما ، فقال : يا بنيا لا تُقصرا فى طلب العلم فإنى لا أنسى ذُلَّنا بين يدى هذا العبد الأسود .

وقال الحربى : وكان محمد ابن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخلة فى بدنه وكان منكباه خارجين كأنهما زجان فقالت أمه : يا بنى لا تكون فى مجلس قوم إلا كنت المضحوك منه المسخور به فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك ، فوَلِىَ قضاء مكة عشرين سنة ، قال وكان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرتعد حتى يقوم .

وقال عبد الله بن داود : سمعت سفيان الثورى

---

[1] () رواه مسلم (6/98) صلاة المسافرين .

يقول : ((إن هـذا الحـديث عـز فمـن أراد بـه الـدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها .

قال سفيان بن عيينة : أرفـع النـاس منزلـة عنـد اللـه مـن كـان بيـن اللـه وبيـن عبـاده وهـم الأنبيـاء والعلماء .

وصدق القائل :

ما الفَضْلُ إلاَّ لأَهْلِ العِلْـم إنَّهُمُ عَلَى الهُدَى لِمَن اسْتَهْدى أَدلاَء

وقَدْرَ كُلِّ امْرىءٍ ما كَانَ يُحْسَنُه والجَاهِلُونَ لأَهْلَ العلِم أَعَدَاءُ

فَفُزْ بِعلم تَعش حـــيا به أَبدًا الناسُ مَـوْتَى وأَهْلُ العِلْم أَحْيَاءُ

2- القرءان تلاوته وحفظه والعمل به

عن عمر بـن الخطـاب (رضـى اللـه عنـه) قـال : قـال النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((إن اللـه يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع بـه آخريـن))** [1] .

فإن الله يرفع صاحب القرءان فى الدنيا والآخرة فأما فى الدنيا بالبركة فى العمر والسعة فى الـرزق وحب الناس .

وأما فى الآخرة فإن صاحب القرءان يرفعـه اللـه فى الجنة ولا يزال يُرَّقِيَه حتى آخر آية معه .

فعن عبد الله بن عمـرو بـن العـاص (رضـى اللـه عنهمـا) عـن النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال : **((يُقـال لصـاحب القـرءان : اقـرأ وارتـقِ** [2] **ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فـإن منزلتـك عند آخر آية تقرؤوها))** [3] .

وعـن عائشـة (رضـى اللـه عنهـا) قـالت : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((الـذى يقـرأ**

---

1 () سبق تخريجه .

2 () وارتق : أى فى درج الجنة بقدر ما حفظته من آى القرءان .

3 () رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

القرآن وهـو مـاهر بـه مـع السـفرة الكـرام البررة والذى يقـرأن القـرءان ويتتعتـع فيـه وهو عليه شاق له أجران))[1] .

والماهر : أى الـذى يُجيـد لفظـه علـى مـا ينبغـى بحيث لا يتشابه ولا يقف فى قراءته ، (مـع السـفرة) أى الملائكة أو الرسل (عليهـم الصـلاة والسـلام) أى معهم فى منازلهم فى الآخرة .

قال القاضى : يُحتمل أن يكـون معنـى كـونه مـع الملائكة أن له فى الآخرة منـازل يكـون فيهـا رفيقًـا للملائكة السفرة لإتصافه بصفتهم مِـنْ حَمْـل كتـاب الله تعالى قال ويُحتمـل أن يـراد أنـه عامـل بعملهـم وسالك مسلكهم))[2] .

3- التواضع :

لله ما أجمل هذه الصفة وما أعظمها فكم قرَّبـت مـن اللـه عبـدًا بعيـدًا وكـم أعقبـت بعـد تعـبٍ عهـدًا سعيدًا ، وكم أثمرت بعد خمـول ذكـرٍ صـيتًا مجيـدًا ، وكم رفعت بعد ذُلٍّ عبدًا رشيدًا .

والجزاء من جنس العمل .

قال تعالى : **{ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّـذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا }** [القصص : 183] .

وقـال النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((مـا نَقَصُـتْ صـدقةٌ مـن مـال ومـا زاد اللـهُ عبـدًا بعفو إلا عِزًّا ، وما تواضـع أحـدٌ للـه إلا رفعـه الله))** [3] .

وعن ابن عباس (رضى الله عنهمـا) عـن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((ما مـن آدمـى**

---

1 () متفق عليه .

2 () شرح الحديث فى صحيح مسلم (6/84) بشرح النووى "فضيلة حافظ القرءان" .

3 () رواه مسلم .

إلا فى رأسه حَكَمَة[1] **بيدِ مَلَك ، فـإذا تواضـع قيل للملك : ((ارفعْ حكمته ، وإذا تكبر قيل للملك : ضع حكمته))**[2] .

ولذلك فإن المتكبر والذى يُريد العلو على الخلـق فإن الله يجزيه بضد ما قصد .

فعن عمرو بـن شـعيب عـن أبيـه عـن جـده عـن النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال : **((يُحشـر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صـور الناس يعلوهم كل شـىء مـن الصـغار حـتى يـدخلوا سـجنا فـى جهنـم يقـال لـه بـولس تَعلوهم نار الأنيار يُسقون من طينة الخبـال عصارة أهل النار))**[3] .

وقيل أن التواضع : ((هو أن تخرج من بيتـك فمـا تلقى أحدًا إلا ظننته خيرًا منك)) .

4- "الشهادة فى سبيل الله" :

فإن الشهيد قد قاتل لتكون كلمةُ اللهِ هـى العُليـا وقُتِل من أجل ذلـك فجـازاه اللـه بـأن رفعـه وأعلـى درجاته فى الجنة فمن ذلك .

((أولاً)) جُعِل مأواهم تحت العرش :

عن ابن مسعود (رضى الله عنه) أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال : **((إن أرواح الشهداء فـى جـوف طيـر خضـر ، لهـا قناديـل تحـت العرش ، تسرح من الجنة حيـث شـاءت ، ثـم تأوى إلى تلك القناديل ...))** [4] .

((ثانيًا)) للمجاهدين فى الجنة مائة درجة :

---

[1] () الحَكَمَة هى لجام الدابة ولكل إنسان من بنى آدم حكمة يمسكها ملك من الملائكة .

[2] () صحيح لغيره . أخرجه الطبراني في الكبير (ج 2 /12939) .

[3] () رواه الإمام أحمد ، ورُوى عن ابن عمرو وقال ابن حجر فى المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : موقوف ، إسناده حسن . انظر (4/375) حديث رقم 4629 عن المطالب .
و(الذرّ) هو النمل الصغير .

[4] () رواه مسلم ، والترمذي عن ابن مسعود .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((وإن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها اللهُ للمجاهدين فى سبيله))**[1] .

((ثالثًا)) من الشهداء من يسكن الفردوس الأعلى .

عن أنس (رضى الله عنه) أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ألا تحدثنى عن حارثة ، (وكان قتل يوم بدر) فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البُكاء فقال : **((يا أم حارثة إنها جنان فى الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى))**[2] . الله أكبر . ما أهنئه من عيش ، وما أعظمه من رزق فى الفردوس الأعلى أتدرى أخى الحبيب ما هى الفردوس ؟

لقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : **((إذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة))**[3] .

---

1 () رواه البخاري (6/11) ، ومسلم (13/28) الإمارة ، والترمذي (10/8) صفة الجنة ، وابن ماجه (4331) الزهد .

2 () أخرجه البخاري (2809) من حديث أنس ، رضي الله عنه .

3 () أخرجه البخاري (2790، 7423) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

رابعًا : من الشهداء من يكلمه الله بغير حجاب :

عن جابر بن عبد الله (رضى اللـه عنهمـا) قـال : لقينى رسول اللهصلى الله عليه وسـلم فقـال لـى : **((يا جابر مالى أراك منكسرًا ؟)) .**

قلت : يا رسول الله استُشْهِدَ أبِى ، قُتِل يوم أُحُدٍ وترك عِيَالاً ودَيْنًا .

قال : ((أفلا أبشرك بما لَقِى اللهُ به أباك ؟)) .

قال : قلت بلى يا رسول الله . قال : **((ما كَلَّم اللهُ أحـدًا قـطُّ إلا مـن وراء حجـاب))** . وأحيـا أباك فكلَّمه كِفاحًا[1] فقال : **((يا عبدى تمَنَّ على أُعْطِك))،** قال يارب تحيينى فأُقْتَل فيك ثانيةً ، قال الربُّ عز وجل : **((إنـه قـد سبق منِّـى : أنهـم إليها لا يرجعون))** . قـال : وأُنزلـت هـذه الآيـة : **{ وَلاَ تَحْسَـبَنَّ الَّـذِينَ قُتِلُـوا فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ أَمْوَاتًا }** [آل عمران : 16][2] .

9- ليس كمثله شيءٌ في عُلُوِّهِ :

فإن اللَّه هو العلي الأعلـى جـل جلالـه وتقدسـت أسماؤه ، فلا يدانيه أحدٌ في علوه ، ولا يماثله شـيءٌ في رفعته ، وذلك من وجوه منها :

1- له العلو المطلق من جميع الوجوه :

فما من أحد مـن الخلـق بلـغ علـوًا إلاَّ كـان علـوًا ناقصًا ، فقد يعلـو فـي مـالٍ ولا يعلـو فـي رياسـة أو حُكم ، أو يعلو في الدنيا ولا يعلـو فـي الآخـرة ، وقـد يعلو في وقـتٍ دون آخـر ، أو فـي حـال دون حـال ، كمثل من يعلو في حال قوته دون ضعفه ، أو صـحته دون مرضه ، أو شبابه دون هرمه .

أما العلو المطلـق مـن جميـع الوجـوه وفـي كـل الأحوال فهو لله عز وجل ، **فـإن اللَّـه تعـالى هـو العلي الذي لا أعلى منه ولا يعلو عليـه بـل لا**

---

[1] () كفاحًا : أى مواجهةً ليس بينهما حجاب ولا رسول .

[2] () حسن : أخرجه الترمذي (5/3010) ، وابن ماجه (1/190، 2/2800) .

يدانيه أحدٌ من خلقه .

ولذلك قال اللَّه عز وجل : { **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ...** } . فإنه قد علا في الأرض وتكبر فيها ولم يستطع أن يعلو في السماء .

2- علو اللَّه دائم :

فعلو الخلق مؤقت يسبقه العدم ويلحقه الفناء .

أما علو اللَّه عز وجل فهو علوٌ لم يسبقه انخفاض ولا يلحقه دنو ، دائم لا يتغير ، ثابت لا يتبدل .

3- رحمته في علوه :

فكل من أصابه شيءٌ من علو الدنيا فإنه يبتعد عن الضعفاء والمساكين ، وقد يأنف منهم .

أما اللَّه سبحانه وبحمده قريب في علوه ، رحيم في كبريائه ، ودودٌ في عظمته ، عفوٌ في قدرته ، لا يمنعه شيءٌ عن خلقه إذا دُعي أجاب ، ولا يقف على بابه الحُجَّاب ، قال تعالى : { **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** } [البقرة] .

* * *

الواسع تبارك وتعالى

المعنى اللغوى :

قـال الجـوهرى : الوُسْـعُ والسَّـعة : الجِـدة والطاقة .

قال تعالى : { **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِـنْ سَـعَتِهِ** } أى على قدر غناه وسعته .

وأوسع الرجل : إذا صار ذا سَعَةٍ وغِنَى .

قال الأصبهانى : السعة تقال فى الأمكنة ، وفـى الحـال ، وفـى الأفعـال . كالقـدرة ، والجـود ونحـو ذلك .

ففى الأماكن قال تعالى : { **أَرْضِي وَاسِعَةٌ** } .

وكقوله تعالى : { **أَلَمْ تَكُـنْ أَرْضُ اللَّـهِ وَاسِـعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** } .

وفى الحـال كقـوله تعـالى : { **وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَـى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ** } .

وكقـوله جـل ذكـره : { **لِيُنْفِـقْ ذُو سَـعَةٍ مِـنْ سَعَتِهِ** } .

وفى القدرة قال تعالى : { **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًـا إِلاَّ وُسْعَهَا** } .

قيل : ((لا يكلفهم إلا ما يُثمر لهم السعة أى جنـة عرضها السموات والأرض كمـا قـال : { **يُرِيـدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** } .

أمـا قـوله تعـالى : { **وَسِـعَ رَبُّنَـا كُـلَّ شَـيْءٍ عِلْمًا** } .

فوصف لله جل ذكره نحو قوله تعالى : { **أَحَـاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** } .

وقوله تبارك وتعالى : { **وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** } .

فعبارة عن سعة قدرته وعلمه ورحمتـه وإفضـاله كقوله تعـالى : { **وَسِعَ رَبِّـي كُـلَّ شَـيْءٍ عِلْمًـا** } .

وكما قال عز وجل : {ورحمتي وسعت كـل شـيء} [1] .

---

[1] () مفردات ألفاظ القرآن للأصبهاني .

وروده فى القرآن الكريم :

جاء فى القرآن ثمان مرات منها :

قوله تعالى : **{ إِنْ يَكُونُوا فُقَـرَاءَ يُغْنِهِـمُ اللَّـهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** [النور 32] .

وقوله : **{ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَـهُ مَـنْ يَشَـاءُ وَاللَّـهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** [البقرة : 47] .

وقوله : **{ وَاللَّـهُ يَعِـدُكُمْ مَغْفِـرَةً مِنْـهُ وَفَضْـلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** [البقرة : 26].

وقـوله : **{ وَاللَّـهُ يُضَـاعِفُ لِمَـنْ يَشَـاءُ وَاللَّـهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** [البقرة : 261] .

وكقوله : **{ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** [البقرة : 115] .

معنى الاسم فى حق الله تعالى :

قـال الحليمـى : "الواسـع" ومعنـاه الكـثير مقدوراته ومعلوماته المنبسط فضله ورحمته ، وهذا تنزيهٌ له من النقص والعِلَّة وإعتراف له بأنه لا يُعْجزه شـىء ولا يخفـى عليـه شـىء ورحمتـه وسـعت كـل شىء[1] .

قال ابن جرير : "إن الله واسع عليم" يعنـى جـل ثنـاؤه بقـوله (واسـع) يسـع خلقـه كلهـم بالكفايـة والإفضال والجُود والتدبير[2] .

وقال : "والله واسع عليـم" واللـه واسـع بفضـله فينعم به على من أحب، ويريد به من يشاء ، "عليم" بمن هو أهل لملكه الذى يؤتيه وفضله الذى يعطيـه ، فيعطيـه ذلـك لعلمـه بـه وأنـه لمـا أعطـاه أهـل إمـا للإصلاح به ، وإما لأن ينتفع هـو بـه[3] كمـا فـى قـوله تعالى : **{ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** **[البقرة : 247]** .

---

[1] () المنهاج (1/198) ذكره فى الأسماء التى تتبع نفى التشبيه عن الله جل وعلا ، وكذا البيهقى فى (الأسماء) .

[2] () "جامع البيان" (1/403) ، وقال مثله بن كثير (1/160) .

[3] () المصدر السابق (2/381) .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : "إن اللـه واسـع عليم" أى جواد يسع لما يُسأل[1] ، وذلك كقوله تعالى فـى الحـديث القدسـى : **"... يـا عبـادى لـو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قـاموا فـى صعيد واحدٍ فسألونى فـأعطيتُ كـلَّ إنسـان مسـألته مـا نقـص ذلـك ممـا عنـدى إلا كمـا ينقص المخيط إذا أُدخِل البحر ..."**[2] .

وفـى المقصـد : "الواسـع" مشـتق مـن السـعة والسـعة تضـاف مـرة إلـى العلـم إذا اتسـع وأحـاط بالمعلومات الكثيرة ، وتضاف أخـرى إلـى الإحسـان وبسـط النعـم ، وكيفمـا قـدر وعلـى أى شـىء نـزل فالواسع المطلق هو الله تعالى ، لأنـه إن نظـر إلـى علمه فلا ساحة لبحر معلوماته ، بل تنفـد البحـار لـو كانت مدادًا لكلماته ، وإن نُظِر إلـى إحسـانه ونعمـه فلا نهاية لمقدوراته وكل سـعة وإن عَظُمَـت فتنتهـى إلى طرف والذى لا ينتهى إلى طرف هو أحقّ باسـم السعة واللـه تعـالى هـو الواسـع المطلـق ، لأن كـل واسع بالإضافة (أى بالمقارنة) إلى ما هو أوسـع منـه ضيق ، وكل سعة تنتهى إلـى طـرف فالزيـادة عليهـا متصورة ، وما لا نهاية له ولا طرف فلا يُتَصـوَّر عليـه زيادة[3] .

من آثار الإيمان باسم الله "الواسع" :

أولاً : العلم بأن الله هـو الواسـع الحـق :

فـى صـفاته ونعـوته فقـد قـال السـعدى : الواسـع الصفات والنعوت ومتعلقاتهـا بحيـث لا يحصـى أحـدٌ ثناءً عليه كمـا قـال النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((لا أحصى ثناءً عليك ...))**[4]، بل هـو كمـا أثنـى علـى نفسـه واسـع العظمـة والسـلطان والملـك ،

---

1 () "مجاز القرآن" (1/51) .
2 () رواه مسلم "عن أبى ذر" رضى الله عنه .
3 () "المقصد الأسنى" (ص 75) .
4 () رواه مسلم .

واسع الفضل والإحسان ، عظيم الجود والكرم .

ومن صـور السـعة فـي أسـماء اللـه وصـفاته مـا يلي :

1 – فالله عز وجل واسع فى رحمته :

قال تعالى : **{ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِـعَةٍ }** [الأنعام : 147] . وقال تعالى : **{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّـذِينَ يَتَّقُـونَ }** [الأعـراف : 156] . قال النبى صلى الله عليه وسلم : **((إن لله مائة رحمة))**[1] .

2 - "واسع المغفرة" :

قـال تعـالى : **{ إِنَّ رَبَّـكَ وَاسِـعُ الْمَغْفِـرَةِ }** [النجم : 32] . وقال تعالى فى الحـديث القدسـى : **((يـا ابـن آدم إنـك مـا دعـوتنى ورجـوتنى غفرت لك على مـا كـان منـك ولا أبـالى ، يـا ابن آدم لـو بلغـت ذنوبـك عنـان السـماء ثـم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة))**[2] .

3 – "واسع الملك" فقد وسَّع اللهُ ملكه علـى خلقه .

فوسّـع الأرض ، قـال تعـالى : **{لِلَّذِينَ أَحْسَـنُوا فِـي هَـذِهِ الـدُّنْيَا حَسَـنَةٌ وَأَرْضُ اللَّـهِ وَاسِـعَةٌ}** [الزمـر : 10] . ووسّـع فـى السـماء قـال تعـالى : **{ وَالسَّـمَاءَ بَنَيْنَاهَـا بِأَيْـدٍ وَإِنَّـا لَمُوسِـعُونَ }** [الذاريات : 47] .

وقد جاء عن ابن عباس رضى اللـه عنهمـا : " أن الأرض فى السـماء الأولـى كحلقـة فـى فلاة[3] . وأن السماء الأولى فى الثانية كحلقة فـى فلاة ... وهكـذا

---

1 () رواه البخاري (9469) ، ومسلم (2752/18- 19، 2753/21) ، وراجع شرحنا لاسمه الرحمن جل جلاله .

2 () حسن . أخرجه الترمذي (5/3540) ، وانظر شرحنا لاسميه الغفار والغفور تبارك وتعالى .

3 () فلاة : أى صحراء واسعة .

كل سماء فى الـتى تليهـا ... حـتى قـال والسـموات السبع فى الكرسى كحلقة فـى فلاة والكرسـى فـى العرش كحلقة فى فلاة .

4 – "واسع فى رزقه" قال الأصبهانى : ومن أسمائه « الواسع » وسعت رحمته الخلق أجمعيــن ، وقيل وسع رزقه الخلقَ أجمعين ، لا تجد أحدًا إلا وهو يأكلُ رزقَه ، ولا يقدر أن يأكل غير ما رُزق[1] . وقــال تعالى : **{ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** [النور : 32] .

5- **"واسع فى علمه"** وعلم اللـه مـن أعظـم الصفات التى تجلّت فيها سـعة اللـه وأكـثر الأسـماء التى اقترنت باسم "الواسع" هو اسم "العليم" فقـد ورد اسمُ "الواسع" ثمان مـرات اقـترن فيهـا باسـم "العليم" سبع مرات . وهذا لكثرة الخلق وتعددهم . فإن الله يعلم عدد قطرات المطر ، وأوراق الشــجر وحبَّات الثمر ، والحسنات والسيئات ،..." لذلك نجد أعظم الخلق إيمانًا بالله "عز وجل" يسبحون بحمده ويثنون عليه بسعة علمه .

فقد قالت الملائكـة **{ رَبَّنَا وَسِـعْتَ كُـلَّ شَـيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا }** [غـافر : 7] . وقـال إبراهيـم عليـه السلام : **{ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا }** [الأنعام : 87] . وسأل فرعونُ موسى عليه السلام : **{ قَــالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى (51) قَـالَ عِلْمُهَـا عِنْـدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى }** [طـه : 51 ، 52] . فـالله عـز وجـل وسـع عِلْمُـه الماضـى والحاضر والمستقبل ويعلم الغيب كما يعلم الشــهاة قال تعالى : **{ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّــهَادَةِ }** . ويعلــم السر كمـا يعلـم العلـن قـال تعـالى : **{وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى}** [طــه : 7] ، وقال تعالى : **{ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّــهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }** [الملـك : 13] . فلا يشـغله

---

[1] () الحجة (ق 23 ب) .

علم الغيب عن الشهادة ، ولا علم السر عن العلن ، ولا الكـثير عـن القليـل فقـد وسِـعَها جميعًـا علمًـا وأحصاها عددًا قال تعـالى : **{ وَأَحَـاطَ بِمَـا لَـدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا }** [الجن : 28] .

وقال تعالى : **{ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِـنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِيـنٍ }** [الأنعـام : 59] .

وقال ابن القيم :

وهــو العليــم أحــاط فى الكـون مـن سـر
وكذلك يعلم ما يكـون وما قد كان والموجـود
وكذاك أمرٌ لـم يكـن لـو كيف يكـون ذاك الأمـر

ولهذا لو أن أشجار الأرض أصبحت أقلاما والبحـر يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا لكتابة هذه الكلمات والمعلومات من كلمات الله لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم تنفد كلمات الله .

قـال تعـالى : **{ وَلَـوْ أَنَّ مَـا فِـي الأَرْضِ مِـنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }** [لقمان : 27] .

وقال ابن القيم رحمه الله :

كلمــاته جلّــت عــن بـل عـن حصـر ذى
لـو أن أشـجارَ البلادِ الأقلام تكتبهـا بكـل
والبحـر تلقـى فيـه لكتابـة الكلمـات كـل
نفـدت ولـم تنفـد بهـا ليس الكلام من الإله

6- "الواسـع فـى شـرعه" فقـد وسَّـع اللـه شرعه على خلقه فوَسِعَ جميـعَ أصـنافهم وأحـوالهم فمن ذلك :

أولاً : أنه يسع كل الناس .

قال تعالى : **{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا }** [سبأ : 28] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **((... وكان النبى يُبْعَثُ إلى قومه خاصة ويُعثِثُ إلى الناس عامة))** [1] .

وقال أيضًا : " بُعِثْتُ إلى الأبيض والأحمر"[2] .

قال مجاهد يعنى الجن والإنس وقال غيره يعنى العرب والعجم والكل صحيح[3] .

ثانيًا : سعة الشرع لكل شىء .

قال تعالى : **{ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }** [الأنعام : 38] . فما من شيء في الكون إلا ولكتاب اللّه عليه سلطان إما تصريحًا أو تلميحًا أو إشارة .

فقد وَسِعَ الشرعُ كل أحوال الناس ، فى النوم واليقظة فى الحياة والموت ، والصغير والكبير ، الرجال والنساء ، كما علَّمهم الإيمان والعبادات والطهارة والأخلاق والمعاملات كما وصف الغيب من الملائكة واليوم الآخر والحساب والعقاب والجنة والنار ... وجميع جوانب الحياة الدنيا والآخرة .

لذا فإن شرع الله "تبارك وتعالى" يوصف بالشمول والإحاطة .

ثالثًا : "اليُسْرُ فى الأحكام" .

قال القرطبى : « الواسع » أى يوسع على عباده فى دينهم ولا يُكَلِّفهم ما ليس فى وسعهم[4] .

فما من عزيمة إلا ومعها رخصة والأمر إن ضاق على الناس وسَّعه اللهُ عليهم ومصداق ذلك من كتاب الله قوله سبحانه : **{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }** [البقرة : 185] .

---

1 () فى الصحيحين مرفوعًا عن جابر .
2 () رواه البخارى .
3 () انظر تفسير ابن كثير (3/505) .
4 () الأسنى للقرطبي .

وقوله تبارك وتعالى : { **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** } [البقرة : 28] .

وكقوله عز وجل : { **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا** }. وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((**إن الدِّين يُسر ...**))[1] .

فمن هذا اليسر :

1- فى الصلاة :

كانت خمسين فجعلها الله خمسا فى العمل وخمسين فى الأجر .

2- التيمم عند فقد الماء أو تعذر إستعماله :

عن عائشة (رضى الله عنها) : "أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه فى طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء ، فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك إليه فَنَزَلَتْ آية التيمم ، فقال أسيد بن الحُضير (رضى الله عنه) لعائشة (رضي اللّه عنها) : جزاكِ الله خيرا فوالله ما نزل بِك أمرٌ قط إلا جعل اللهُ لك منه مخرجا ، وجعل للمسلمين بركة))[2] .

وقال تعالى : {**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } [المائدة : 6] .

3- الرخص للمسافر والمريض :

خُفِّفَتْ الصلاة للمسافر فأصبحت الصلاة الرباعية ركعتين فقط ، ورخص له فى الجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، ورخص للصائم فى الإفطار إن كان مسافرا ثم يقضى فى أيام أخر وكذلك للمريض .

4- إباحة الطلاق لمن ضاقت عليهم حياتهم

---

[1] () رواه البخاري .

[2] () رواه أحمد والبخاري .

الزوجية .

قال تعالى : { **وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا** } [النساء : 130] .

قال ابن جرير : « يُغْنِ الله الزوج والمرأة المطلقة من سعة فضله أما هذه فبزوج هو أصلح لها من المطلق ، أو برزق واسع وعصمة ، وأما هذا فبرزق واسع وزوجة هى أصلح له من المطلقة أو عفة » وكان الله واسعًا » يعنى لهما فى رزقه إياهما وغيرهما من خلقه « حكيما » فيما قضى بينهما من الفرقة والطلاق ، ونسمع الآن عن إتجاه الغرب للرجوع إلى الطلاق بعد أن حرّموه على أنفسهم وضيقوا ما وسعه الله عليهم .

ثانيًا : « من عبادة اللَّه باسمه الواسع » :

1- **الطمع فى رحمة الله ومغفرته :** قال تعالى : { **إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ** }.

فمن علم أن الله واسع الرحمة طمع فيها وازداد رجاؤه لها ولا ييأس منها أبدا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًّا قال : اللهم ارحمنى ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لقد حَجَّرت واسعًا ، يريد رحمة اللَّه))** [1] .

2- الفرار بالدين من الفتن :

فإن الله قد وسَّع على خلقه فى الأرض ليعبدوه فإن ضُيِّق عليهم موضع وسَّع الله غيره قال تعالى : **{ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ }** [العنكبوت : 56] .

وعن الزبير بن العوام (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله فحيثُما أصبت**

---

[1] () أخرجه البخاري (6010) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه . حجرَّت : أي ضَيَّقت ، والقائل يريد رحمه اللَّه بعض رواته وكأنه أبو هريرة . انظر فتح الباري (10/439) .

خيرًا فأقم)) [1] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللـه عنـه ، قـال : قال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم : « **يوشك أن يكون خيـر مـال المسـلم غنـم يتتبـع بهـا شعف الجبال ومواقع القطر يفرُّ بـدينه مـن الفتن** »[2] .

ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقـامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليـأمنوا علـى دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين مـن النـاس هنـاك أصحمة النجاشـى ملـك الحبشـة رحمـه اللـه تعـالى فآواهم وأيدهم بنصره[3] .

ورُوى عن عطاءٍ فى قوله تعالى : **{ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ }** [الزمر : 10] .

قال : " إذا دُعيتم إلـى معصـيته فـاهربوا" ثـم تلا الآيـة **{ أَلَـمْ تَكُـنْ أَرْضُ اللَّـهِ وَاسِـعَةً فَتُهَـاجِرُوا فِيهَا }** [النساء : 9] .

3- الإنفاق فى سبيل الله :

فإن الله واسع الرزق يوسِّع على من وسَّـع علـى خلقه ويجازيه بـأعظم ممـا أعطـى وخيـرًا ممـا بـذل حـتى يجعلـه لـه بسـبعمائة ضـعف أو يزيـد ، ولـذلك عقَّـب علـى جـزاء المنفقيـن باسـمه الواسـع جـل جلاله .

قال تعالى: **{ مَثَـلُ الَّـذِينَ يُنْفِقُـونَ أَمْـوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي**

---

[1] () رواه أحمد 1/166، والطبراني (250) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وضعفه محققو المسند ، والهيثمي في المجمع 4/72، 5/255، والعراقي في تخريج الإحياء (734) ، والسخاوي في المقاصد .
ولبعضه شاهد من من حديث عروة أخرجه أبو داود (3076) مرسلاً بلفظ : « ... الأرض أرض الله والعباد عباد الله ومن ... » .
وقال الألباني : صحيح الإسناد (صحيح أبي داود 2641) .
وآخر من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه أخرجه الطبراني 18/318 (823) بلفظ مرسل عروة المتقدم ، وقال في المجمع 4/157 : رجاله رجال الصحيح .

[2] () رواه البخاري .

[3] () تفسير ابن كثير (3/396) .

كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَـةُ حَبَّـةٍ وَاللَّـهُ يُضَـاعِفُ لِمَـنْ يَشَـاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة : 261] .

وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أنه قال : **((كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشرٍ إلى سبعمائة ضعف))**[1] .

وعَن أبى هريـرة (رضـى اللـه عنـه) قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : **((مـن تصـدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبـل اللـهُ إلا الطيِّـب فـإن اللـه يتقبلهـا بيمينـه، ثـم يربيهـا لصاحبها كمـا يربـى أحـدكم فَلُـوَّه حـتى تكـون مثل الجبل))**[2] .

4- " الصبر هو أوسع الرزق " :

فإن الصبرَ جوادٌ لا يكبو وسـلاح لا يُفَـل ومـا رُزق عبدٌ الصبر إلاَّ وُسِع عليه أمره فى الدنيا والآخرة .

فعن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنهما) قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : **((ومن يتَصـبَّر يُصَبِّره اللـهُ ، ومـا أُعطـىَ أَحَـدٌ عطـاءً خَيـرًا وأوسع من الصبر))** [3] .

وانظر إلى بُشرى الصابرين يوم الفـزع، وأمنهـم يوم الخوف ، وتأمل ما أعطاهم اللـه يـوم الحرمـان فيُجَازَى الناس بأعمالهم فإن كـان خيـرًا فخيـر، وإن كـان شـرًا فشـر ويُجْـزَى الصـابرون بغيـر حسـاب والجزاء من جنس العمل .

قال تعالى : **{ إِنَّمَا يُـوَفَّى الصَّـابِرُونَ أَجْرَهُـمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }** [الزمر : 10] .

5- حُبُّ الله "تبارك وتعالى" وطاعته هما أوسع الفضل :

فإن حُبَّ الله هو أعظم الـرزق وأكرمـه وأفضـله فإذا رزقه اللهُ عبدًا فقد وسَّع عليه فـى حيـاته الـدنيا

---

1 () رواه مسلم .

2 () رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وهو في اللؤلؤ والمرجان (ح 595) .

3 () متفق عليه .

والآخـرة ، لـذا فـإن هـذا الـرزق العظيـم والفضـل العميم يحتاج إلى سعة الله فى رزقـه وفضـله علـى خلقه فانظر إلى الموضع الذى ذُكر فيه أحبـابُ اللـه وصـفاتهم وتأمَّـل كيـف عقَّـب اللـهُ بعـدها باسـمه الواسع مما يدل على عظمة هذا الـرزق وفضـله ولا يأتى به إلا الله . قال تعالى : **{ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّـهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ أَعِـزَّةٍ عَلَـى الْكَـافِرِينَ يُجَاهِـدُونَ فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَـةَ لاَئِـمٍ ذَلِـكَ فَضْـلُ اللَّـهِ يُـؤْتِيهِ مَـنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** [المائدة : 54] .

ولذلك أنعم الله على نبيه صلى الله عليـه وسـلم بـأعظم السـعة فَوَسَّـع عليـه حيـاته الـدنيا والآخـرة فشرح صدره بالإيمان وحُبِّ الرحمن ، قـال تعـالى : **{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ }** [الشرح : 1] .

ثالثًـا : المعصـية والتنطـع همـا أعظـم أسـباب الضيق :

فإن الله عز وجل قد وسَّع على خلقه فى شـرعه لـذلك فمـن خـالف الشـرع بالمعصـية أو بالتشـدد والتنطع فقد ضيَّق على نفسه ما وسَّعه الله عليه .

فبالمعصية يُضيق على العبد رزقُه كمـا جـاء فـى بعـض الآثـار : " إن الرجـل ليحـرم الـرزق بالـذنب يصيبه " .

وقـال ابـن عبـاس (رضـى اللـه عنهمـا) : " إن للمعصية لظلمة فى القلب ولعتمة فى الوجه ولقلـة فى الرزق ولضعف فـى البـدن ولبغضـة فـى قلـوب الخلق".

وضيق الصدر : قال تعالى : **{ فَمَنْ يُرِدِ اللَّـهُ أَنْ يَهْـدِيَهُ يَشْـرَحْ صَـدْرَهُ لِلإِسْـلاَمِ وَمَـنْ يُـرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَـا يَصَّـعَّدُ فِـي السَّمَاءِ }** [الأنعام : 125] .

بل وتضيق الأرض كلها على العاصى :

فعندما تخلَّف ثلاثة من أصحاب النبى صـلى اللـه

عليه وسلم عن غزوة تبوك وعلموا أنهم عصـوا اللـه ورسوله صـلى اللـه عليـه وسـلم حزنـوا علـى ذلـك واعتزلهم الناس وضاقت عليهم حياتهم بــل والأرض كلها وضاقت عليهم أنفسهم حـتى تـاب اللـه عليهـم وعفا عنهم "عليهم الرضوان" .

قال تعالى : **{ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَـاقَتْ عَلَيْهِـمُ الأَرْضُ بِمَـا رَحُبَـتْ وَضَـاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّـوا أَنْ لاَ مَلْجَـأَ مِـنَ اللَّـهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِـمْ لِيَتُوبُـوا إِنَّ اللَّـهَ هُـوَ التَّـوَّابُ الرَّحِيمُ }** [التوبة : 118] .

التنطع :

عن ابن مسعود (رضى الله عنه) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **((هلك المُتَنَطِّعُون))** قالها ثلاثًا[1] .

"دعاء الله باسمه الواسع " :

1- " **الاستغفار** " من علم أن الله قد وَسِعَ كل شىءٍ رحمة وعلمًا فلابد وأن يسترحم ربَّه ويستغفره من ذنبه ويدعوه بذلك كما قالت الملائكة فى استغفارهم للمؤمنين . **{ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ }** [غافر : 7] .

2- " الاستخارة " :

من علم أن الله واسع العلم يعلم السر والعلن والغيب والشهادة ، (وأنه واسع القدرة) فهو على كل شىءٍ قادر وفوق خلقه قاهر ولا ينفع ولا يضر غيرُه إلا بأذنه لا يسعه إلا أن يفوِّض إليه أمره ويتوكل عليه فى كل شأنه ويستخيره فى صغير أمره وكبيره وكان هذا هو حال النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام فقد كانوا يتبرأون من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته فأعزهم الله أعظم العز وكان لهم من التوفيق أعظم النصيب .

عن جابر (رضى الله عنه) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كالسورة من القرآن ، يقول : ((إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليركع ركعتينِ من غيرِ الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إنى اسْتَخِيرُكَ بعِلْمِكَ ، واسْتَقدرُك بقُدرتِك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علاَّم الغيوب : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمرَ خيرٌ لى فى دينى ومعاشى وعاقبةِ أمرى ، أو قال : عاجل أمرى وآجله فاقدُرْه لى ويسِّرْهُ لى ثمَّ بارك لى فيه . وإن كنتَ تعلمُ أن هذا

---

[1] () رواه مسلم . والمتنطعون : المبالغون في الأمور .

الأمر شرٌّ لى فى دينى ومَعَاشِى وعَاقِبَـةِ أمـرى)) أو قـال : : ((عاجـل أمـرى وآجِلِـه ، فاصْـرفهُ عنـى وَأَصْرفْنى عنه واقْدُرْ لى الخيرَ حيث كان ، ثم رضنى به ، قال : ويسمَّى حاجتُه))[1] .

* * *

« الشافي » جل جلاله وتقدست أسماؤه

أولاً : المعنى اللغوي :

الشفاء : البُرءُ من المرض . يقـال : شـفاه اللـه يُشفيه شِفَاءً . والشفاء أيضًا : ما يُبْرِئُ مـن المـرض بإذن الله . يقال : أشفاه اللّـه عسـلاً ، إذا جعلـه لـه شفاءً حكاه أبو عبيدة . واستشفى : طلب الشـفاء ، ونال الشفاء أيضًا[2] .

الدليل ورد في الحديث الشريف :

عن عائشة رضـي اللـه عنهـا قـالت : إن رسـول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضًا أو أتي بـه إليـه ، قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **أَذْهِبِ الباس ربَّ الناس ، اشفِ وأنت الشــافي ، لَا**

---

1 () رواه البخاري .

2 () « اللسان » (4/2294- 2295) من كتاب النهج الأسمى (3/21) .

شفاء إلا شِفاؤُك ، شفاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا »[1] .

المعنى الشرعي للاسم في حق اللَّه :

قال الحليمي : قد يجوز أن يقال في الدعاء : يا شافي ؛ لأن اللَّه عز وجل يشفي الصدور عن الشَّبه والشكوك ، ومن الحسد والغلول والأبدان من الأمراض والآفات ، لا يقدر على ذلك غيره ، ولا يُدْعى بهذا الاسم سواه .

* * *

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

أولاً : لا شافي إلا اللَّه :

فإن الشفاء من الأمراض لا يحدث بالطبيب وخبرته ، أو بالدواء وقوته ، وإنما يحدث بإذن اللَّه وحده ، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك** »[2] .

وإلى هذا أشار جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم حين عاده في مرضه . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « **يا محمد ، اشْتَكَيْت ؟ قال : نعم . قال : بِسْم اللهِ أرْقِيكَ من كلِّ شيءٍ يؤذيك ، ومن شر كل نفس أو عين حاسدٍ ، الله يَشْفِيك ، بسم اللَّه أرقيك** »[3] .

فجبريل هو خير الأطباء من الخلق ؛ لأنه يعالج بالوحي والمريض هو خير الناس وأطيبهم بدنًا ونفسًا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدواء هو خير الدواء ؛ لأنه رقية « بسم الله الشافي » ، ومع ذلك فإن جبريل عليه السلام يتبرأ

---

1 () رواه البخاري في « المدخل » (10/131، 206، 210) ، ومسلم في « السلام » (4/1722) .

2 () رواه البخاري .

3 () رواه مسلم .

من حوله وقوته إلى حول اللَّه وقوته ويقول : « اللَّـه يشفيك » أي أن الرقية منّي ولكن الشـفاء كلـه مـن اللَّه وحده .

وكذلك ما أكرم اللَّـه بـه نـبيه عيسـى مـن شفاء المرضى وإبـراء الأعمـى فيُبصـر والأبـرص فيُشفى وحتى إحياء الموتى ، **ولكن هذا كله بإذن الله ،** وهذا ما قاله نبيُّ اللَّه عيسى عليه السلام في قوله تعالى : { **وَأُبْـرِئُ الأَكْمَـهَ وَالأَبْـرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ** } [آل عمران : 49] .

وفي قصـة أصـحاب الأخـدود عنـدما جـاء جليس الملك وقد عمي إلى الغلام المؤمن بهـدايا وقال لـه : « مـا ههنـا لـك أجمـع إن أنـت شـفيتني ، **فقال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي اللَّه تعالى** »[1] .

ولـذلك مـن الخطـأ العظيـم وفسـاد الإيمـان أن يقول الرجلُ : **لولا الطبيب فلان لما شُـفِيت ، ولولا الدواء كـذا مـا عُفِيـت ،** فـإن الأسـباب لا تعمل وحدها ولكنها تعمل بـإذن اللَّـه وتقـديره ؛ لأنـه خالقها ومُقدِّرها ، فمـا نـزلَ المـرضُ إلا بـإذن اللَّـه ، وما نزل الدواء والشفاء إلا بإذن الله ، كما قال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **ما أنـزل اللَّـهُ داءً إلا أنزل له شفاء** »[2] .

وقـال أيضًـا : « **لكـل داءٍ دواءٌ ، فـإذا أُصِـيبَ دَوَاءُ الداءِ بَرأَ بإذن الله عز وجل** »[3] . فكم من مريض عوفي بـإذن اللـه بعـدما عجـز الأطبـاء أمـام مرضه ، وكم من طبيب أُصيب بـالمرض الـذي كـان يُداوي منه الناس ، وكان فيه هلاكـه ، ولـم يجـد مـن يداويه . ولله درُّ القائل :

---

1 () رواه مسلم .

2 () رواه مسلم في « السلام » (10/134) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

3 () رواه مسلم في « السلام » (4/1729) من حديث جابر رضي الله عنه .

قـل للمريـض عُـوفي عجزت فنون الطـب
قل للصحيح يمــوت لا من بالمنايا يا صحيح
قل للطبيب تخطفتـه يا شافي الأسقام[1]

ثانيًا : المرض جندي من جنود اللَّه :

فـإن اللَّـه تبـارك وتعـالى خلـق الخلـق صـالحين لعبادته ، صحَّحَ أبـدانهم للقيـام بـذلك وأسـبغ عليهـم نعمــه ظــاهرة ، وباطنــة لعلَّهــم يشــكرون ، فــإن أطاعوه زادهم ، وإن عصوه عاقبهم ؛ لقوله تعـالى : { **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُـمْ إِنَّ عَـذَابِي لَشَدِيدٌ** } [إبراهيـم : 7] ، ومما جعله الله سـببًا للثـواب والعقاب أيضًا هو المرض ، فقد يكون المـرض سـببًا للمغفـرة ، بـل ودخـول الجنـة ، وقـد يكـون عقوبـة وانتقامًا لمن عصـى اللَّـه عـز وجـل فـي الـدنيا قبـل الآخرة .

أولاً : المرض رحمة من اللَّه بالمؤمنين :

فإن اللَّه يرحم به عباده المؤمنين فيغفر لهـم بـه الخطيئات ، ويرفع به الدرجات ، ويسكنهم الجنات ، فمن ذلك :

1- مغفرة الذنوب :

عن أبي سعيد الخدري وأبـي هريـرة رضـي اللـه عنهما عن النبي صلى الله عليـه وسـلم قـال : « **مـا يصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ ولا وصبٍ ، ولا هَمٍّ ولا حَزنٍ ، ولا أذى ولا غم حتى الشـوكة يُشـاكها ، إلا كفَّـر اللَّـه بهـا مـن خطايـاه** »[2] . والوصـب : المرض .

وعن ابن مسعود رضـي اللـه عنـه قـال : دخلـت على رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وهو يوعــك ، فقلتُ : يا رسول اللـه ، إنـك توعـك وعكًـا شـديدًا ،

---

[1] () قيلت للطبيب لفظة « يا شافي » على سبيل التهكم والسخرية إذ مرض فلم يملك لنفسه شفاءً ، وقد كان يظن أنه يشفي الناس ولا شافي إلا اللَّه عز وجل .

[2] () أخرجه البخاري (5641، 5642) ، ومسلم (2573) .

قال : « **أجل ، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم** » . قلتُ : ذلك أن لك أجرين؟ قال : « **أجل ، ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفَّر اللَّه بها سيئاته ، كما تَحُط الشجرةُ ورقها** »[1].

3- النجاة من النار :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عاد مريضًا ومعه أبو هريرة من وعك كان به ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أبشر ، إن اللَّه عز وجل يقول : ناري أسلِّطُها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حَظَّه من النار في الآخرة** »[2] .

4- المريض يظفر بمعية اللَّه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّه عز وجل يقولُ يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدني ، قال : يا ربِّ ، كيف أعودُك ؟ وأنت ربُّ العالمين ! قال : أما عَلِمتَ أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عُدْتَه لوجدتني عنده ؟** »[3] .

5- دخول الجنة :

عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **إن اللَّه عزَّ وجلَّ قال : إذا ابْتَلَيْتُ عبدي بحبيبتيه فصبر عَوَّضْتُه عنهما الجنة** »[4] . حبيبتيه : أي عينيه .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس رضي الله عنهما : ألا أريكَ امرأةً من أهل

---

[1] () أخرجه البخاري (5648، 5660) ، ومسلم (2571) . والوعك : ألم من مغث الحُمَّى ، وقيل الحُمى .

[2] () صحيح لغيره . أخرجه أحمد (2/440) ، والترمذي (2088) .

[3] () صحيح . أخرجه مسلم (4 - البر والصلة /43) ، والبخاري في الأدب المفرد (517) .

[4] () رواه البخاري (10/5653) ، والبيهقي (3/375) .

الجنة ؟ فقلت : بلى . قال : هذه المرأةُ السوداءُ أتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إني أُصرعُ وإني أتكشَّف[1] فادع اللَّه تعالى لي، قال : « **إن شئت صبرتِ ولك الجنة ، وإن شئت دعوتُ اللَّهَ تعالى أن يُعافِيَكِ** » . فقالت : أصْبِرُ ، فقالت : إني أتكشف ، فَادْعُ اللَّهَ أن لا أتكشَف ، فدعا لها)[2] .

5- والجنة في عيادة المرضى :

عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **ما من مسلم يعود مسلمًا غُدْوة إلا صلى عليه سبعون ألف مَلك حتى يمسي ، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف مَلك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة** »[3] .

غُدْوة : ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس .

العشية : آخر النهار .

الخريف : الثمر المخروف : أي المجُتنى .

6- ومن المرضى من له أجر الشهداء :

عن أنس أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **الطاعون شهادة لكل مسلم** »[4] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **الشهداء خمسة : المبطون ، والمطعون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل اللَّه** »[5] .

« المبطون » : الذي يموت بداء البطن . و« المطعون » : الذي يموت بالطاعون . و« صاحب

---

1 () أي : ينكشف بعض بدني من الصرع .

2 () متفق عليه .

3 () رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

4 () متفق عليه . رواه البخاري (2830) ، ومسلم (1916) .

5 () رواه مالك (1/131) ، والبخاري (653) ، ومسلم (1914) ، والترمذي (1063) .

الهدم » : الذي يموت تحت الهدم .

وعن جابر بن عَتِيك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله : المبطون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمطعون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيد** »[1] .

ثانيًا : المرض عذابٌ لمن عصى اللَّهَ ورسولَه :

فإن اللَّه عز وجل ، يعاقب من عصاه ، ومن هذه العقوبات الأمراض ، قال تعالى : { **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** } [النساء : 123] ، عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، كيف الفلاح بعد هذه الآية : { **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** } [النساء : 123] ، فكل سوء عملناه جُزينا به . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **غفر اللهُ لك يا أبا بكر ، ألست تمرض ، ألست تنصب ، ألست تحزن ، ألست تصيبك الآواء** » . قال : بلى ، قال : « **فهو مما تُجزون به** »[2] .

وقد ذكر في بعض الأدلة من شرع اللَّه تعالى عدة أسباب للعقوبة بالأمراض منها :

1- ظهور الفحشاء :

عن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لم تظهر الفاحشة[3] في قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا**

---

1 () رواه أبو داود (311) ، والنسائي (4/13) ، وابن ماجه (2803) ، وابن حبان (3180). « ذات الجنب » هي الدمَّل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل ، وقلما يسلم صاحبها ، و« المرأة تموت بجمع » أي تكون حاملاً.

2 () رواه أحمد .

3 () الفاحشة : الزنى .

فشا فيهم الأوجاع[1] التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال ... »[2] .

2- دعوة المظلوم :

فمن أعظم الأسباب التي تصيب بالمرض أن يدعوَ المظلوم على من ظلمه بأن يُبتلى به ، وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « **واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين اللَّه حجاب** »[3] . ومن ذلك أن امرأة ادَّعت على سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه أنه أخذ شيئًا من أرضها ، فقال سعيد : « **اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها** » . قال عروة بن الزبير رضي الله عنه : فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت[4] .

وفي رواية لمسلم : « **أنها رؤيت عمياء تلتمس الجُدُر تقول : أصابتني دعوة سعيد وأنها مرت على بئرٍ في الدار التي خاصمته فيها فوقعت فيها وكانت قبرها** » .

وقد انتقم اللَّه من بعض الكافرين والعصاة بالأمراض ، ومن أشهرهم :

1- أبو لهب - لعنه اللَّه :

وهو الذي نزلت فيه سورة المسد : أخذ اللَّهُ جل جلاله أبا لهب بمكة إذ أصابه بمرض خبيث يقال له مرض العدسة ، وكان ذلك يوم هزيمة المشركين ببدر ، فما أن بلغه خبرُ هزيمة قومه حتى أصيب بمرض العدسة ، فمات شرَّ ميته ، حتى إنهم لم يقدروا على تغسيله ، فصبُّوا عليه الماء من بعيد من شدة الرائحة الكريهة التي تفوح من جسمه الذي

---

1 () الأوجاع : الأمراض .
2 () رواه ابن ماجه ، والبزار ، والبيهقي ، واللفظ له .
3 () متفق عليه .
4 () متفق عليه .

نضج وتهـرَّى[1] بصـورة لـم يعـرف لهـا نظيـر[2] فـي طريقه إلى جنهم وبأس المصير .

2- الأسود بن عبد يغوث :

كـان مـن المسـتهزئين ، وكـان إذا رأى فقـراء المسلمين قال لأصحابه : هؤلاء ملوك الأرض الـذين يرثون ملك كسرى ، وكـان يقـول للنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم مسـتهزئًا بـه : أمـا كُلِّمـت اليـوم مـن السماء يا محمد ؟! خرج عدو اللّـه مـن أهلـه يومًـا ، فأصـابه السـموم فاسـودَّ وجهـه ، وأصـابته الأكلـة « مرض » فامتلأ جسمه قيحًـا فمـات شـرَّ ميتـه ، فلا رحمه اللّه ، ولا خفف عنه يومًا عذابه[3] .

3- غلام أحمد القادياني :

وقد ادعى النبوة وقذف الأنبياء وسـبَّهم وتطـاول عليهم ، بل ورفع نفسه فـوق منزلتهـم وكـذب علـى اللّه ورسله ، فكان جزائه من جنس عمله ، وأُصـيب « بـالكوليرا » حـتى ضـعف جسـمه ، وكـان يقضـي حاجته في فراشه ، حتى خرجت النجاسة من فمه ، فقد قال أبو زوجته : « ولما اشـتد مرضـه أيقظـوني فذهبت إليه ورأيت ما يعـانيه مـن الألـم ، فخـاطبني قائلاً : أصبت بالكوليرا ثم لم ينطق بعد هذه الكلمـة حتى مات »[4] .

هذا ، وقد نشرت الجرائد الهنديـة - آنـذاك -: أن غلام أحمـد المتنـبي القاديـاني لمـا ابتلـي بـالكوليرا كانت النجاسة تخـرج مـن فمـه قبـل مـوته ، ومـات وكان جالسًا في بيت الخلاء لقضاء الحاجة .

4- ومن أهل جهنم من يعذب بالمرض :

فمن ذلك أنهـم يحشـرون وقـد فقـدوا أبصـارهم

---

1 () انسلخ وتساقط .

2 () انظر كتاب « هذا الحبيب محمد » لفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري (ص 114) .

3 () المصدر السابق (ص 115، 116) .

4 () حياة ناصر لرحيم الغلام القادياني (ص 14) من كتاب الجزاء من جنس العمل (1/306) .

وأسماعهم ، فيأتون يوم القيامة وقد أصاب عيونهم العمى وألسنتهم البكم وآذانكم الصم ، قال تعالى : { **وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَ صُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا** } [الإسراء : 97] ـ **ومن ذلك أيضًا عقوبة النائحة بالجَرَب** .

فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **النائحة إذا لم تَتُب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب** »[1] .

السربال : هو القميص .

الدرع : هو ما يرتديه المقاتلون في الحرب وهي من الحديد .

الثالث : تَدَاووا يا عباد اللَّه :

فإن اللَّه هو الشافي ، وقد جعل الشفاء في أسباب أنزلها وأَمَرَ النبي صلى الله عليه وسلم بالتداوي بها وبغيرها من أسباب الشفاء المشروعة .

عن أسامة بن شُريكٍ قال : كنت عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعرابُ فقالوا : يا رسول الله ، أنتداوى ؟ فقال : « **نعم يا عباد الله : تَدَاووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شِفاءً ، غير داءٍ واحدٍ** » . قالوا : ما هو ؟ قال : « **الهرم** »[2] .

والأخذ بالأسباب في التداوي من الأمراض بأسباب الشفاء لا يُنافي التوكل ، بل هو من حُسن التوكل على اللَّه ومن كمال التوحيد ؛ إذ أنه يأخذ بالأسباب وهو يعلم أنها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن اللَّه ولا تَرُدُّ شيئًا من قدر اللَّه .

---

1 () رواه مسلم .

2 () رواه أحمد في المسند ، وأخرجه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح .

فعن أبي خُزامة قال : قلت : يا رسول اللَّه ، أرأيت رُقى نسترقيها ، ودواءً نتداوى به ، وتُقاةً نتقيها ، هل تَرُدُّ من قدر اللَّه شيئًا ؟ فقال : « **هي من قدر اللَّه** »[1] .

الرابع : لا تتداووا بمحرم :

فقد رُوي عن أبي الدرداء مرفوعًا : « **إن اللَّه خلق الداء والدواء فتدَاووا ، ولا تَتَدَاووا بحرام** »[2] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها انتبذت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيذ يَهدُر ، فقال : « **ما هذا ؟** » قالت : فلانة اشتكت فَوُصِف لها ، قالت : فدفعه برجله فكسره ، وقال : « **إن اللَّه لم يجعل في حرامٍ شفاءً** »[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « **إن اللَّه لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم** »[4] .

وأتى رجلٌ لابن مسعود رضي الله عنه ، فقال : إن أخي مريض اشتكى بطنه وأنه نعت له الخمر أفأسقيه ؟ قال عبد اللَّه : سبحان الله ! ما جعل اللَّه شفاء في رجس ، إنما الشفاء في شيئين : العسل شفاء للناس ، والقرآن شفاء لما في الصدور[5] .

---

1 () في المسند ، وسبق الترمذي ، وأخرجه ابن ماجه ، والحاكم في صحيحه ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

2 () انظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني حديث رقم (1633) .

3 () أخرجه أحمد في « الأشربة » (ق19/1) ، وابن أبي الدنيا في « ذم المسكر » (5/1)، وأبو يعلى في « مسنده » (4/1658) ، وعنه ابن حبان (1397) من طرق عن أبي إسحاق الشيباني عن حسان بن مخارق عنها .
وقال الشيخ الألباني : وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات معروفون ، غير حسان بن مخارق فهو مستور لم يوثقه أحد غير ابن حبان . الصحيحة (4/175) .

4 () أخرجه أحمد (ق16/1- 2) ، والطبراني في الكبير (9714- 9717) عن ابن مسعود موقوفًا ، قال الألباني : « إسناده صحيح ، وعلقه البخاري بصيغة الجزم » (10/65- فتح) ، وصححه الحافظ ابن حجر . السلسلة الصحيحة (4/175) .

5 () أخرجه الطبراني (8910) عن أبي الأحوص ، وقال الألباني : « إسناده صحيح أيضًا » . انظر السلسلة الصحيحة (4/176) .

* * *

ليس كمثله شيءٌ في الشفاء

أولاً : قدرة اللَّه على الشفاء :

فكل من شُفِيَ على يدي طبيب أو غيره ، إنما يُشْفى بسببٍ كتناول الدواء ونحوه ، ولا يستطيع أحدٌ أن يدَّعي أنه يُداوي مريضًا بغير سبب ، أمَّا اللَّه عز وجل فإنه يَشْفِي بقدرته وحده ، بالسبب وبدون السبب ، وضد السبب ، إن شاء . فصفة الشفاء عند اللَّه من صفات أفعاله وغير مسببة .

ثانيًا : علم اللَّه للداء والدواء :

كلما كان الطبيب أكثر علمًا بفنون الطب كلما كان أكثر خبرة بالمرض وعِلَّته ، وكذلك دوائه وعلاجه ، فقد يعلم طبيبٌ أكثر من غيره في ذلك ، ويُفَضَل عليه ، ولكن ذلك أمر نسبيٌ في الخلق ، فقد يعلم شيئًا ويجهل أشياءً ، وإذا علمها قد لا يحيط بكل جوانبها ، وقد يعرف المرض ولا يعرف له علاج ، وإذا علم الدواء لا يملك الشفاء لأحد .

أما اللَّه عز وجل فإنه يعلم الداء والدواء جملة وتفصيلاً ؛ إذ هو خالق البدن ومدبر أمره وخالق الداء وقادر على دفع ضره .

وقد قال إبراهيم عليه السلام : { **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** } [الشعراء : 78- 80]

الثالث : الآثار الجانبية والمضاعفات :

فمن يداوي أو يصف دواءً لمريض فإنه يغلب على ظنه أن الشفاء في هذا الدواء ، ولكنه لا يملك للمريض أن لا تظهر عليه أعراض جانبية لهذا الدواء ، وكذلك مضاعفات الدواء ، فقد تكون في بعض الأحوال أشد خطورة من المرض نفسه ، وهذا معلوم مشهور بين الناس ، حتى أن صانعي الدواء أنفسهم يذكرون ذلك في نشرة الأدوية .

أما اللَّه تبارك وتعالى وحده هو القادر على أن يشفي شفاءً تامًا كاملاً لا يترك خلفه مرضًا ولا توجد

له آثارًا ، وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سقمًا** »[1] .

قد يكون الشفاء من الابتلاء :

قال تعالى : { **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** } ، فإن الشفاء من نعم اللّه على عبده ، فإما أن يشكر ، وإما أن يكفر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، أراد اللّه أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال : أي شيءٍ أحب إليك ؟ قال : لون حسنٌ ، وجلدٌ حسنٌ ويَذْهبُ عنِّي الذي قد قَذِرَني الناس ، فمسحه فذهب عنه قَذَرُهُ وأُعطي لونًا حسنًا ، فقال : فأيُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : الإبل - أو قال : البقر - شك الراوي ، فأُعطي ناقة عشراء فقال : بارك الله لك فيها ، فأتى الأقرع فقال : أي شيءٍ أحبُّ إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس فمسحه فذهب عنه وأُعطي شعرًا حسنًا ، قال : فأي المال أحبُّ إليك ؟ قال : البقر ، فأعطي بقرة حاملاً قال : بارك الله لك فيها ، فأتى الأعمى فقال : أي شيءٍ أحبُّ إليك ؟ قال : أن يردَّ الله عليَّ بصري فأبصر الناس ، فمسحه فردَّ الله إليه بصره . فقال : أي المال أحبُّ إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطي شاة والدًا فانتج هذان وولَّد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا واد من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص في**

---

[1] () رواه البخاري في « المرضى » (10/131، 206، 210) ، ومسلم في « السلام » (4/1722) .

صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ، وردَّ عليه مثل ما ردَّ هذا ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فردَّ الله إليَّ بصري فخذ ما شئت ، ودعْ ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيءٍ أخذته لله عز وجلَّ ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك »[1] .

رابعًا : من أسباب الشفاء :

1- القرآن :

قال تعالى : { **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** } [الإسراء : 82] ، وقال تعالى عن القرآن : { **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ** } [فصلت : 44] .

قال ابن القيم رحمه اللَّه : فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء[2] القلبية والبدنية ، وأدواء

---

[1] () متفق عليه .

[2] () الأدواء : الأمراض .

الدنيا والآخرة ، وما كل أحدٍ يُوفَّق للاستشفاء به . وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان ، وقبول تام ، واعتقاد جازم ، واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبدًا . وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء ، الذي لو نزل على الجبال لصدَّعها ، أو على الأرض لقطعها[1] .

2- الرُّقى بالقرآن والمعوِّذات :

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفثُ[2] على نفسه - في المرض الذي مات فيه - بالمعوذات ، فلما ثقل كنتُ أنفثُ عليه بهنَّ وأمسحُ بيده نفسَه لبَرَكَتها[3] .

وسُئِل الزهري : كيف ينفث ؟ قال : كان ينفثُ على يديه ثم يمسح بهما وجهه . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أمرني النبيُّ صلى الله عليه وسلم - أو أمَرَ - أن يُسترقى من العين[4] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا : « **العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين ، وإذا اسْتُغْسِلتم فاغسلوا** »[5] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسانُ لشيء منه كان به قرحة أو جُرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بإصبعه هكذا [ووضع سفيان وهو أحد رواة الحديث سبابته في الأرض] ثم رفعها باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليُشْفَى به سقيمنا بإذن

---

1 () انظر الطب النبوي لابن القيم (272) .

2 () النفث : هو النفخ مع الريق القليل . انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصبهاني (816) .

3 () رواه البخاري في كتاب الطب- باب لدقي بالقرآن والمعوذات (10/195) رقم الحديث 5735.

4 () رواه البخاري في كتاب الطب - باب رقية العين .

5 () رواه مسلم .

ربِّنا[1] .

3- العســل :

قــال تعــالى عــن العســل : { **شَــرَابٌ مُخْتَلِــفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِــفَاءٌ لِلنَّــاسِ** } [النحــل : 69] . عــن ابــن عباس رضي اللــه عنــه عــن النــبي صــلى اللــه عليــه وسلم قال : « **الشفاء في ثلاثة : فــي شــرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كيَّة بنار ، وأنهى أمَّتي عن الكي** »[2] .

4- الحبة السوداء :

عن عائشة رضــي الل ه عنهــا أنه ا ســمعت النــبيَّ صــلى اللــه عليــه وســلم يقــول : « **إن هذه الحبَّــة الســوداء شــفاءٌ مــن كــل داء ، إلا الســام** » . قلتُ : وما السامُ؟ قال : الموت[3].

5- القُسْط الهندي البحري ، والحجامة :

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن أمثل ما تداويتم بــه الحجامــة والقسط البحري** »[4] .

وعــن جــابر بــن عبــد اللَّــه رضــي اللَّــه عنهمــا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عائشــة وعندها صبيٌّ تسيلُ منخراه دمًا ، فقــال : مــا هــذا ؟ فقالوا : به العُذْرَةُ[5] ، أو وجــع فــي رأســه ، فقــال : « **ويْلكُنَّ ، لا تقتلن أولادكن، أيما امرأة أصــاب ولدها عُذْرَةٌ أو وجع في رأسه فلتأخذ قســطًا**

---

1 () متفق عليه ، ورواه مسلم باب استحباب الرقية من العين ... والحمة والنظرة (14/184) .

2 () رواه البخاري - كتاب الطب - باب الشفاء في ثلاث (10/137) حديث رقم (5681) .

3 () رواه البخاري - كتاب الطب - باب الحبة السوداء (10/143) حديث رقم (5687) .

4 () رواه البخاري - كتاب الطب - باب الحجامة من الداء (10/150) حديث رقم 5696 ، والقسط الهندي : نبات يباع عند أطباء الأعشاب أو العطارين وهو معروف عندهم والحار منه أفضل من البادر .

5 () العذرة : قيل هي قرحة تخرج فيما بين الأذن والحلق وتعرض للصبيان غالبًا .

هنـديًّا فلتحكـه بمـاء ثـم تسـعطه[1] إيـاه » .
فأمرت عائشة رضي الله عنهـا فصُـنع ذلـك بالصـبي فَبِرأ[2] .

6- ألبان الإبل ، والبقر :

عن أنس رضي الله عنه أن ناسًا كان بهم سَقمٌ ، قالوا : يا رسول اللـه ، آونـا وأطعمنـا . فلمـا صـحُّوا قالوا : إن المدينة وخمة . فأنزلهم الحرَّة فـي ذود[3] له، فقال : اشربوا من ألبانها . فلما صحُّوا ...[4] .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قـال : « **إن الله عزَّ وجلَّ لم ينزل داءً إلا أنـزل لـه شـفاء إلا الهرم فعليكم بألبان البقر فإنها ترم مـن كل الشجر**»[5].

7- المــاء :

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهمـا عـن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال : « الحُمـى مـن فيـح جهنـم فاطفِئوها بالماء »[6] .

وكـان شـفاء نـبيِّ اللَّـه أيـوب عليـه السـلام فـي الماءِ . قال تعالى : { **وَاذْكُرْ عَبْـدَنَا أَيُّـوبَ إِذْ نَـادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّـنِيَ الشَّـيْطَانُ بِنُصْـبٍ وَعَـذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ** } [ص : 41، 42] .

قال ابن كثير : قيل بنصب في بدني وعذاب فـي مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين ، وأمــره أن يقــوم مــن مقــامه وأن يركــض الأرض

---

1 () السعوط : ما يصب في الأنف . انظر الطب النبوي لابن القيم (ص 74، 75) .
2 () أخرجه أحمد والحاكم وأبو يعلى ، والبزار .
3 () الذود : القطيع من الإبل .
4 () رواه البخاري - كتاب الطب - باب الدواء بألبان الإبل (10/141) حديث رقم (5685) .
5 () أخرجه الطيالسي (366) ، والنسائي في الكبرى (6863) ، وابن حبان (6075) ، والحاكم 4/196، 197، من حديث ابن مسعود ، رضي الله عنه . وانظر الصحيحة (518) .
6 () رواه البخاري - كتاب الطب - باب الحمى من فيح جهنم (10/174) حديث رقم (5723).

برجله ، ففعل فـأنبع اللـه تعـالى لـه عينًـا وأمـره أن يغتسل منها فـأذهبت جميـع مـا كـان فـي بـدنه مـن الأذى ، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فــأنبع له عينًا أخرى وأمره أن يشرب منهـا فـأذهبت جميـع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا ، ولهذا قال تبارك وتعالى : { **ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ** }[1] .

8- مـاء زمـزم :

ثبت فـي الصـحيحين أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم شرب من ماء زمزم ، وأنه قال : « **إنها مباركة ، وهي طعام طعمٌ وشفاء سقم** »[2] . وقد غسل جبريلُ صدر النبي صلى الله عليـه وسـلم بماء زمزم .

9- الصدقة :

عن أبي أمامة رضي الله عنه قـال : قـال رسـول اللــه صــلى اللــه عليــه وســلم: «**داووا مرضــاكم بالصدقة**»[3].

دعاء اللَّه باسمه « الشافي » تبارك وتعالى :

وقد جاء في ذلك :

1- ال**دعاء للمرضى** : عـن عائشــة رضـي اللـه عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعودُ بعــضَ أهلــه يمسـح بيـده اليُمنـى ويقـولُ : « **اللهـم ربَّ الناس ، أذهب البأس اشفِ أنــت الشــافي لا شفاءَ إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا** »[4] .

2- **دعاء الأخ لأخيه :** وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : عادني رسول اللـه صـلى اللـه

---

[1] () تفسير ابن كثير (4/39) .

[2] () أخرجه الطيالسي (459) ، وأحمد 5/174، 175، ومسلم (2473) ، وغيرهم ، من حديث أبي ذر ، رضي الله عنه ، في قصة إسلامه . وليس عند مسلم قوله : « وشفاء سقم » .

[3] () رواه أبو الشيخ في الثواب عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (3353) .

[4] () متفق عليه .

عليه وسلم ، فقال : « **اللهم اشفِ سعدًا ، اللهم اشْفِ سعدًا ، اللهم اشف سعدًا** »[1] .

3- **دعاءٌ للعافية :** وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: « **من عاد مريضًا لم يَحْضُرْهُ أجلُه ، فقال عنده سبع مرات : أسأل اللهَ العظيم ربَّ العرش العظيم أن يَشْفِيَكَ : إلا عافاه اللَّه من ذلك المرض** »[2].

4- **دعاء يُنجي من النار :** عن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال : لا إله إلا الله ، واللَّه أكبر صدَّقه ربه ، فقال : لا إله إلا أنا ، وأنا أكبر . وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : يقول : لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، قال : لا إله إلا أنا ، لي الملك ولي الحمد ، وإذا قال : لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي ، وكان يقولُ : من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار »[3] .

* * *

---

1 () رواه مسلم .

2 () رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حديث حسن ، وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط البخاري .

3 () صحيح . أخرجه الترمذي (5/3430) .

الغفور ، الغفار " تبارك وتعالى "

المعنى اللغوى :

أصل الغَفْر : التغطية والستر ، غفر الله له ذنوبه : سترها وتقول العربُ : اصْبُغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه أى أحملُ له وأغطى له . وكذا غَفَر الشيبَ بالخضاب وأغفره أى : سَتَره ، والمغفرة : التغطية ، والمِغْفَر : هو حلق يتقنع به المتسلح يقيه ويستره[1] .

وقيل : هو مأخوذ من الغَفَر نبت تُدَاوى به الجراح إذا ذُرَّ عليها دمَلَها وأبرأها بإذن الله[2] . وهذا يبين أن المعصية داء والمغفرة دواء .

الدليل الشرعى :

ورد (الإسمان) الغفار ، والغفور جل جلاله وتقدست أسماؤه في القرآن والسُّنة وقد ذُكر اسمُ اللهِ الغفور فى القرآن فى إحدى وتسعين آية ، وأما اسمه "الغفار" فقد جاء في خمس آيات ، فَعُلِم أن ورود "الغفور" فى القرآن أكثر بكثير من "الغفار" و"الغفار" أبلغ من "الغفور" وكلاهما من أبنية المبالغة ، فمن المواضع التى ورد فيها اسم "الغفور" .

قال تعالى : **{ أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }** [الشورى : 5] .

وقال : **{ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ }** [البروج : 14] .

وأما الغفار فقد جاء فى قوله تعالى : **{ أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ }** [الزمر : 5] .

وقوله تعالى : **{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا }** [نوح] .

معنى الاسمين فى حق الله تعالى :

---

[1] () تفسير الأسماء للزجاج (ص 37) ، والنهاية (3/373) ، واللسان (4/2743) ، وغريب الحديث لأبى عبيد (3/348) .

[2] () الأسنى "للقرطبى" (1/152) .

قال الزجاج : ومعنى الغَفْر فى حق الله سبحانه هو الذى يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره[1] .

وقال الخطابى : فالغفار الستير لذنوب عباده ، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته ومعنى الستر فى هذا : أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التى تُشْهِرُهُ فى عيونهم[2] .

وقال أبو عبيد : والمغفرة من الذنوب إنما هو إلباس الله الناس الغفران وتغمدهم به[3] .

وقال السعدى (رحمه الله) : (العَفُوُ – الغَفُورُ – الغَفَّارُ) .

الذى لم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا ، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا كل أحدٍ مضطر إلى عفوه ومغفرته ، كما هو مضطر إلى رحمته وكرَمه ، وقد وَعَدَ بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها قال تعالى : **{ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى }** [طه : 82][4] .

وقال ابن القيم فى النونية :

وهو الغفور فلو أتى من غير شرك بل من
لأتاه بالغفران مِلءَ الغفران[5]

وقيل : إن (الغفار ، والغفور) صيغتى مبالغة لصفة المغفرة لله عز وجل فالغفور على وزن فعول أى كثير المغفرة فى العدد والتكرار وأما (الغفَّار) على وزن (فعَّال) أى يغفر مغفرة عظيمة فى قدرها وأثرها فالغفور يناسب كثرة خطايا الخلق وتكرارها و(الغفار) يناسب عظيم الإجرام وكبير الآثام وكلا النوعين من الذنوب واقع من الخلق فسبحان الله الذى يعامل خلقه بما يناسبهم من

---

1 () تفسير الأسماء (ص 38) .
2 () شأن الدعاء (ص 52) .
3 () غريب الحديث (3/348) .
4 () "تيسير الكريم" (5/30) .
5 () "النونية" (2/231) .

أسمائه وصفاته .

* * *

من آثار الإيمان بهذين الإسمين الكريمين

أولاً : معرفة اللّه وحُبِّه :

مـن عـرف مغفـرة اللـه لعبـاده علـى ظلمهـم ، وعظيم عفوه عنهم مـع إسـاءتهم فقـد عـرف جانبًـا عظيمًا من صفات اللّه جل جلاله ، وإليـك جانبًـا مـن هذه الصفات :

1- لا يغفر الذنوب إلا الله :

قال تعالى : **{ وَمَنْ يَغْفِـرُ الـذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّـهُ }** [آل عمران : 135] .

قال ابن كثير : أى لا يغفر أحدٌ سواه .

وعن الأسود بن سريع أن النبى صـلى اللـه عليـه وسلم أتى بأسير فقال : "اللهم إنـى أتـوب إليـك ولا أتـوب إلـى محمـد" فقـال النـبى صـلى اللـه عليـه وسلم : **((عرف الحق لأهله))**[1] .

وكان من دعـاء النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((وأبــوءُ بــذنبى فــاغفر لــى فــإنه لا يغفــر الذنوب إلا أنت))**[2] .

2- إن ربك واسع المغفرة :

قــال تعــالى : **{ إِنَّ رَبَّــكَ وَاسِــعُ الْمَغْفِــرَةِ }** [النجم : 32] ، فإن اللّه عز وجل وسعت رحمته كل شيء ، ومغفرته أعظم من كل ذنب ، فقد قال اللّـه تعالى في الحديث القدسي : « **يــا ابــن آدم ، إنــك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، لو بلغــت ذنوبُــك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لــك ، يــا ابن آدم إنك لو أتيتني بقــراب الأرض خطايــا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابهــا**

---

[1] () رواه أحمد .

[2] () رواه البخاري . « وأبوءُ » أي : أُقِرُّ وأعترف .

مغفرة »[3] .

3- إن اللَّه يغفر الذنوب جميعًا :

فمهما عظُمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله ورحمته أعظم منها بل ومن كل شىء فلا يقنط من رحمة الله ولا ييأس من عفوه وغفرانه أحدٌ أبدًا .

قال تعالى : **{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } .**

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية : "قد دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ، ومن زعم أن عزيرًا ابن الله ، ومن زعم أن الله فقير ، ومن زعم أن يد الله مغلولة ، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء : **{ أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } .** ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولاً من هؤلاء . من قال **{أنا ربكم الأعلى}** وقال **{ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } .**

ثم قال ابن عباس (رضى الله عنهما) من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل[1] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن أكثر آية فى القرآن فرجًا فى سورة الغرف : **{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ }**[2] .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : **((لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد))** [3] .

حتى الشرك يغفره الله لمن تاب فما أعظم ربنا وما أكرم إلهنا وما أحنَّه على خلقه وهو غنى عنهم ،

---

3 () رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

1 () تفسير ابن كثير (4/58) ، وآيس الناس : أي قنطهم .

2 () تفسير ابن كثير (4/58) .

3 () رواه مسلم (4/2755) عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة به .

وما أحبه لتوبتهم وهم لا يضرونه شيئًا ولا ينفعونه .

ولله درُّ القائل :

يارب إن كثرت ذنوب فلقد علمتُ أن
دعوتك ربي كما فإذا رددت فمن ذا
أن كان لا يدعوك إلا فبمن يلوذ ويستجير
مالي إليك وسيلة إلا وعظيم عفوك ثم

4- "الستر على عبده" :

قال النبى صلى الله عليه وسلم: **((إن الله عز وجل حَيىٌّ ستيرٌ يحب الحياءَ والستر ...))**[1].

وقال ابن القيم رحمه الله :

وهو الحَيِىُّ فليس عند التجاهر منه
لكنه يلقى عليه ستره فهو الستير وصاحب

فإن الله تبارك وتعالى يحب الستر على عباده فى الدنيا والآخرة .

فعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((يدنو أحدُكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول : عملتَ كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ويقول : عملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم , فيقرره ثم يقول : إنى سَتَرتُ عليك فى الدنيا ، فأنا أغفرها لك اليوم))** [2] .

وفى رواية : **((فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم فيُعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيُنادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على الله))** [3] .

---

[1] () صحيح : أخرجه أبو داود (4/4012) ، والنسائي (1/200) ، والبيهقي من طريق أبي داود (1/198) عن النُّفيلي . حدثنا زهير عن عبد الملك بن أبي سليمان العَرزمي عن عطاء عن يعلى به.

[2] () رواه البخاري في الأدب (10/486) ، وفي التوحيد (10/475) .

[3] () رواه البخاري في « المظالم » (5/96) ، وفي « التفسير » (8/353)

وإذا سَتَر اللـهُ مؤمنًـا فـى الـدنيا فكـذلك يستره يوم القيامة .

فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم قال : **((لا يستر اللـهُ علـى عبـد فى الدنيا ، إلا ستره الله يوم القيامة))** [1] .

بل ويستر مـن سـتر المسـلمين فقـد قـال النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((... ومن سـتر مسلمًا ستره اللهُ يوم القيامة))** [2] .

ويَذُم من يتتبع عورات المسـلمين ويفضـح أمرهم ويكشف سترهم وتوعدهم علـى ذلـك ، فقـد قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : **((يا معشر مــن آمــن بلســانه ولــم يــدخل الإيمــان قلبــه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعـوا عـوراتهم فـ إنه من يتبع عـوراتهم ، يتَّبـع اللـهُ عـورته ومـن يتبع عورته يفضحه فى بيته))**[3] **.**

فسبحان اللَّـهِ علـى سـتره لمـن عصـاه ورحمتـه بمن جفاه .

ولله درُّ القائل :

فكم عصيتك يا مولاى من جهل وأنت يا سيدى فى الغيب تسترنى

لأبكين بدمـــع العيـن مـن نـدم لأبكيـن بكـــاء الواله الحزن

5- إن اللهَ يحب التوابين :

فإن اللـه عـز وجـل يحـب التوبـة أكـثر مـن حـب التائب لها ويحب المغفرة أكـثر مـن حـب النـاس أن

، ومسلم في التوبة (4/2120) .

[1] () رواه مسلم في « البر والصلة والأدب » (4/2002) .

[2] () رواه البخاري في « المظالم » (5/97) ، ومسلم في البر والصلة (4/1996) من حديث سالم بن عبد اللَّه عن أبيه مرفوعًا ، وأوله : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ... » .

[3] () حديث صحيح : أخرجه أحمد (4/420- 421) ، وأبو داود (5/4880) عن الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد اللَّه بن جريج عن أبي برزة الأسلمي مرفوعًا .

يُغفر لهم .

قال تعالى : **{ إِنَّ اللَّـهَ يُحِـبُّ التَّـوَّابِينَ وَيُحِـبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }** [البقرة : 222] .

ومن حُبَّه تبارك وتعالى للتوبة والاستغفار أنــه إذا لـم يُـذنب النـاسُ لـذهب بهـم ولأتـى بقـوم ليـذنبوا فيستغفروا ليغفر لهم . فعن أبى هريرة رضـى اللـه عنـه قـال : قـال النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب اللــه تعـــالى بكـــم، ولجـــاء بقـــومٍ يـــذنبون فيستغفرون اللهَ تعالى فيغفرُ لهم))** [1] .

وقد أحسن من قال :

دعـــوتُ كريمًـــا قـــد ... وليـــس مـــن يـــدعو

فيـا مـن يحـب العفـو ... ولاَ عفـو إلا أن تكـون

6- ويفرح بهم :

عن أنس بن مالـك رضـى اللـه عنـه قـال : قـال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم : **((للـهُ أفـرحُ بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة**[2] **))** [3] .

وفى رواية مسلم : **((لله أشـد فرحًـا بتوبـة عبده حين يتوب إليه مـن أحـدكم كـان علـى راحلتـه بـ أرض فلاة فـانفلتت**[4] **منـه وعليهـا طعامه وشرابه فـأيس**[5] **منهـا فـأتى شـجرة فاضطجع فى ظلهـا وقـد أيـس مـن راحلتـه فبينمـا هـو كـذلك إذ هـو بهـا قائمـة عنـده بخطامها**[6] **ثم قال من شدة الفــرح : اللهــم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شـدة الفــرح**

---

1 () رواه مسلم .
2 () فلاة : أى أرض واسعة لا نبات بها ولا ماء .
3 () متفق عليه .
4 () فانفلتت : هربت .
5 () أيس منها : يأس من الحصول عليها .
6 () خطامها : الحبل الذى تقاد به الدابة .

)) .

7- ويضحك إليهم :

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا فى سبيل الله فيُقْتَل ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيُسْتَشْهَدُ))**[1] .

8- ويُسَخِّر لهم مخلوقاته :

فمن عظيم رحمة اللَّه عزَّ وجلَّ أنه يحب للتائبين الرحمة والقبول ، وأن يدخلهم الجنة حتى أنه يُسَخِّر لهم الأرض مثل ما حدث في توبة قاتل المائة ؛ إذ أوحي للأرض الطيبة أن تق ترب منه وأن تبتعد عنه الأرض الخبيثة حتى تأخذه ملائكة الرحمة . فسبحان الله .

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا ، ثم خرج يسأل ، فأتى راهبًا فسأله ، فقال له : هل من توبة ؟ قال : لا ، فقتله ، فجعل يسأل ، فقال له رجل : ائْتِ قرية كذا وكذا -** وفي رواية لمسلم : **فإن بها أناسًا يعبدون اللَّه فاعبد الله معهم - فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأوحى اللَّه إلى هذه : أن تقرَّبي ، وأوحى إلى هذه : أن تباعدي ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فَوُجِدَ إلى هذه**[2] **أقرب بشبرٍ فَغُفِرَ له** »[3] .

9- ويغضب على من قنَّط الناس من رحمته :

---

1 () متفق عليه .

2 () هذه : أي الأرض الطيبة .

3 () أخرجه البخاري (6/3470) ، ومسلم (4/2118) .

عن جنب (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن رجلاً قال : واللهِ لا يغفر اللهُ لفلان . قال اللهُ : "من ذا الذى يتألَّى علىَّ أن لا أغفر لفلان ، فإنى قد غفرتُ لفلان وأحبطت عملك))** [1] .

وفى رواية قال : **((فوالذى نفس أبى القاسم بيده ، لتكلم بكلمة أوبقت**[2] **دنياه وآخرته))** [3] .

ثانيًا : المسارعة إلى التوب بعد الذنب :

قال تعالى : **{ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }** [آل عمران : 133] .

أخى الحبيب : أسرع أسرع . أدرك . أدرك .

ولا تترك حبيبك من أجل من يبغضك ، ولا تخاصم مولاك من أجل عدوه وعدوك وفرَّ إليه من ذنوبك تجده أرحم بك من نفسك وأحنَّ عليك من أمك ، وأسْرِع إليه تجده إليك أسرع فإنه إلى توبتك بالفرح .

قال تعالى فى الحديث القدسى : **((واللهِ للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إليَّ شبرا تقربت إليه ذراعًا ، ومن تقرب إلىَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا . وإذا أقبل إلىَّ يمشى أقبلت إليه أهرول))** [4] .

ثالثًا : اغْفِرُوا يُغْفَر لكم :

ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟

من غفر للناس غَفَرَ الله له ، ومن تجاوز عنهم

---

1 () رواه مسلم .
2 () أوبقته : أى أهلكته .
3 () حسن . أخرجه أحمد (16/8275) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
4 () أخرجه البخاري (7405) ، ومسلم (2675) ، من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

تجاوز الله عنه والجزاء من جنس العمل .

عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال وهـو علـى المنـبر : **((ارحمـوا تُرْحَمُوا ، واغْفِرُوا يغفر اللَّه لكم ...))**[1] .

وعن أبى هريـرة (رضـى اللـه عنـه) قـال : قـال النبى صلى الله عليه وسلم : **((كان رجـل يُـدَاينُ الناس ، فكان يقول لفتاه : إذا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فتجاوز عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنَّا ، فَلَقـى اللهَ فتجاوز عنه))** [2] .

رابعًا : من علامات المغفرة :

إن من الحق أن نعلم أن المغفرة بيد اللَّـه وحـده ولا يعلمها إلا اللَّه ، ولكن اللَّه عزَّ وجلَّ قـد جعـل لهـا علامات ومُبشرات ، فمن رُزق إياها يُرجى أن يكـون غُفِر له .

1 – أن يُرزق توبة نصوح .

قال تعالى : **{ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَـإِنَّ اللَّـهَ يَتُـوبُ عَلَيْـهِ إِنَّ اللَّـهَ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ }** [المائدة : 39] .

وقيل : ((من رُزق التوبة لم يُحـرَم مـن القبـول ، ومن رُزق الشكر لم يحرم مـن الزيـادة ، ومـن رُزِق التوكل لم يُحرم من الكفاية ، ومـن رزق الاسـتغفار لم يحرم من المغفرة ، ومن رزق الـدعاء لـم يحـرم من الإجابة)) .

وقيل عن التوبـة النصـوح : هـي التوبـة الصـادقة من كل الذنوب والخطايا .

2 – الندم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((الندم توبة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له))** [3] .

---

[1] () أخرجه أحمد 2/165، 219، والبخاري في الأدب المفرد (380) ، وانظر الصحيحة (480) .

[2] () رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي .

[3] () حسن : رواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية عن

3- فرحة التائب بالمغفرة :

فإن التائب الذي نجا من ذنبه وخرج من معصيته كغريق أُنْقِذَ بعد ما رأى الموتَ ، وكمريض شُفِي بعد ما يأس من الشفاء وكأم وجدت ولدها بعد ضياعه منها ، **ومن ذلك ما فعله كعب بن مالك رضي الله عنه حين بُشر بالتوبة من اللَّه فقد خرَّ ساجدًا شكرًا لله وتصدق بكثير من ماله وأعطى بشَّرَه بالتوبة ملابسه التي يرتديها وهو لا يملك غيرها .**

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال حين سمع البُشرى : « **فخررت ساجدًا وعرفت أنه جاء فرجٌ ، فلما جائني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوتهما إياه ببشراه ، واللَّه ما أملك غيرهما يومئذ** » . فلما أتى رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال له : « **إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى اللَّه وإلى رسوله** »[1] .

4- البكاء من خشية الله .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : **((عينان لا تمسهما النار أبدًا عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله))** [2] .

ألا يا عينى ويحك أسعدينى بطوع الدمع فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى بخير الدهر فى تلك الليالى

قال عمر بن ذر : ((ما رأيت باكيًا قطَّ إلا خُيل إليَّ أن الرحمة قد تنزلت عليه)) . وعن ثوبان مرفوعًا :

أبي سعيد الأنصاري وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (6803) .

[1] () متفق عليه .

[2] () صحيح . رواه أبو يعلى في « مسنده » ، والضياء عن أنس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (3992) .

"طوبى لمن ملك لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته"[1] .

وقال سفيان بن عيينة : البكاء من مفاتيح التوبة ، ألا ترى أنه يرق فيندم .

وعن مجاهد : أن نبى الله داود (عليه السلام) بكى من خطيئته حتى هاج ما حوله .

وقد يكون البكاء أيضًا من حيائه من الله عز وجل .

4 - تبديل السيئات حسنات .

قال تعالى : **{ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }** [الفرقان : 7] .

وفى معنى هذه الآية قولان :

القول الأول : أنهم يبدَّلون مكان عمل السيئات بعمل الحسنات .

روى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال قال فى هذه الآية : هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات حسنات[2] .

وقال عطاء بن أبى رباح : هذا فى الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيرًا[3] .

وقال سعيد بن جبير : أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات[4] .

وقال الحسن البصرى : أبدلهم الله بالعمل السيىء العمل الصالح ، وأبدلهم بالشرك إخلاصًا ،

---

1 () حسن . رواه الطبراني في « الصغير » ، وأبو نعيم في « الحلية » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (3929) .

2 () انظر تفسير ابن كثير (3/311) .

3 () انظر تفسير ابن كثير (3/311) .

4 () انظر تفسير ابن كثير (3/311) .

وأبدلهم بالفجور إحصانًا ، وبالكفر إسلامًا[1] .

"**أمـا القـول الثـاني**" : أن تلـك السـيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات[2] :

عن أي ذرٍ قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « **إني لأعلـم آخـرَ أهـل الجنـةُ دخـولاً الجنة ، وآخر أهل النار خروجًـا منهـا ، رجـل يـؤتى بـه يـوم القيامـة ، فيقـال : اعرضـوا عليـه صـغار ذنوبه ، وارفعـوا عنـه كبارها ، فتعرض عليه صغارُ ذنوبه ، فيقـال : عملـت يوم كذا وكـذا كـذا وكـذا ، وعملـت يـوم كـذا وكذا كذا وكذا ، فيقـول : نعـم ، لا يسـتطيع أن ينكـر وهـو مشـفق مـن كبـار ذنـوبه أن تُعرض عليه ، فيقال له : فإنَّ لك مكـان كـل سيئةٍ حسنةً ، فيقول : رب قد عملتُ أشـيئًا لا أراها هاهنا** » . فلقد رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه[3] .

خامسًا : من موانع المغفرة :

1 – الشرك :

فـإن المشـرك قـد كفـر بـاللَّه الـذي لـه صـفة المغفرة والذي لا يغفر سواه ، فكيف يُغْفَر لمن كفر بمـن يغفـر الـذنوب ويسـتر العيـوب ، ولـذلك قـال تعالى : **{ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }** [النساء : 48].

2 – أصحاب البدع :

فكما أن أصـحاب البـدع يريـدون للنـاس الضـلال ويحبون حياة الظلام فـإن اللـه لا يخرجهـم إلـى نـور التوبة والهداية ، حتى يتوبوا من ذلك .

فعن أنس (رضى اللـه عنـه) قـال : قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((إن اللـه حجـب**

---

[1] () نفسه .

[2] () نفسه .

[3] () رواه مسلم (1/314) ، وأحمد (5/170) ، والترمذي (4/2596) .

التوبة عن كل صاحب بدعةٍ حتى يَدَع بدعته)) [1] .

3 – المجاهرة بالمعاصى :

فكما أن العاصى لا يستحى مـن ذنبـه ويجهـر بـه فـإن اللـه لا يسـتر عيبـه ولا يغفـر ذنبـه . فعـن أبـى هريرة (رضى الله عنه) قال : سـمعت رسـول اللـه يقول : **((كل أمتى معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمـل الرجـلُ بالليـل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقـول : يـا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربـه ويصبح يكشف ستر الله عنه))** [2] .

4- طلوع الشمس من مغربها :

وذلك حين يتغير نظام الكون ولا يكـون أحـدٌ مـن الناس على وجه الأرض إلا آمن ، ولكن هذا موضع لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت مـن قبـل أو كسـبت في إيمانها خيرًا . عـن أبـي هريـرة رضـي اللـه عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه** »[3] .

وعن أبي موسى الأشعري رضـي اللـه عنـه عـن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن اللَّه تعالى يبسـط يـده بالليـل ليتـوب مسـيءُ النهـار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** »[4] .

5- الغرغرة :

عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما عن النـبي

---

[1] () أخرجه الطبراني في الأوسط (4202) ، والبيهقي في الشعب (9457) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب 1/86 : إسناده حسن . وانظر السلسلة الصحيحة (1620) .

[2] () أخرجه البخاري (6069) ، ومسلم (2990) .

[3] () رواه مسلم .

[4] () رواه مسلم .

صلى الله عليه وسلم قال : « **إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** »[1] .

6- الهجران بين المسلمين :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تُعْرَضُ الأعمالُ في كل اثنين وخميس فيَغْفِرُ اللَّهُ لكل امرئٍ لا يُشْرِكُ باللَّه شيئًا ، إلاَّ امرءًا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا** »[2] .

سادسًا : من أسباب المغفرة :

فإن اللَّه برحمته قد جعل للمغفرة أسبابًا يُيَسِّرُها لمن شاء ويوفق إليها من يريد ، وسنعرض فيما يلي لبعض هذه الأسباب ، وهي كما يلي :

1 – الإسلام يكفر كل ما سبق من السيئات .

عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إذا أسلم العبدُ فحسُنَ إسلامُه ، يُكفِّرُ اللهُ عنه كلَّ سيئة كان زلَّفها وكان بعد ذلك القصاصُ ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها))** [3] .

2 – الموت على التوحيد .

قال تعالى فى الحديث القدسى : **((يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة))** [4] .

---

[1] () رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن . يغرغر : أي : ما لم تبلغ روحه حلقومه في سكرات الموت .

[2] () رواه مسلم .

[3] () أخرجه البخاري (41) .

[4] () أخرجه الترمذي (3540) من حديث أنس رضي الله عنه . وقال : حسن صحيح . وانظر صحيح جامع الترمذي (2805) .

3 – الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : **{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ }** [الحجرات : 14] .

4 – الأذان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم والمؤذن يغفر له مدَّ صوته ، ويُصَدِّقه من سمعه من رطب ويابس ، وله مثلُ أجر من صلى معه))** [1] .

5 – الذكر عند الأذان .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((من قال حين يسمع المؤذِّن : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربًا وبمحمدٍ رسولاً وبالإسلام دينًا غُفِرَ له ذنبه))** [2] .

6 – إحسان الوضوء .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((من توضَّأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جسده ، حتى تخرج من تحت أظافره))**[3] .

7 ، 8 – المشى إلى المسجد وانتظار الصلاة .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟** » قالوا : بلى يا رسول اللَّه ، قال : « **إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة**

---

[1] () أخرجه أحمد 4/284 ، والنسائي (645) ، من حديث البراء ، رضي الله عنه . وانظر صحيح الجامع (1837) .

[2] () أخرجه مسلم (386) من حديث سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنه .

[3] () أخرجه مسلم (245) من حديث عثمان ، رضي الله عنه .

بعد الصلاة فذلكمُ الرباطُ ، فـذلكم الربـاط ، فذلكم الرباط))[1] .

وعن أبى هريـرة (رضـى اللـه عنـه) قـال : قـال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم : **((من تطهـر في بيته ثم مشى إلى بيت مـن بيـوت اللّـه ، ليقضـي فريضـة مـن فرائـض اللـه ، كـانت خطواته إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة))** [2] .

9 – الصلاة .

عن أبى هريرة (رضى الله عنـه) قـال : سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقــول : **((أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كـل يـوم خمس مـرات هـل يبقـى مـن درنـه شـيء ؟ قـالوا : لا يبقـى مـن درنـه شـيء . قـال : فذلك مثلُ الصلوات الخمس يمحو الله بهــن الخطايا))**[3] .

وعن عثمان بن عفـان (رضـى اللـه عنـه) قـال : سمعت رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم يقـول : **((ما من امرىءٍ مسلم تحضره صـلاة مكتوبـة فيحسـن وضـوءها وخشـوعها وركوعهـا إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يُؤتِ كبيرةً وذلك الدَّهْرُ كلُّهُ))**[4] .

10 – صلاة الجمعة .

عـن أبـى هريـرة (رضـى اللـه عنـه) قـال : قـال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال : **((من اغتسل ، ثم أتى الجمعة فصلى ما قُـدِّر لـه ، ثم أنصت حتى يفرغ الإمامُ من خطبتـه ، ثـم**

---

[1] () أخرجه مسلم (1 ق 2) من حديث أبي هريرة ، رضي اللّه عنه .

[2] () أخرجه مسلم (666) .

[3] () أخرجه البخاري (528) ، ومسلم (667) . والدرن : الوسخ .

[4] () أخرجه مسلم (228) .

يصلى معه ، غُفِر لـه مـا بينـه وبيـن الجمعـة الأخرى ، وفضل ثلاثة أيام))[1] .

11 – صلاة ركعتين بعد الوضوء .

يقبل عليها بقلبه ووجهه : عـن النـبى صـلى اللـه عليه وسلم أنه قال : **((ما منكم من أحد يتوضـأ فيسبغ الوضوء ثـم يقـوم فيركـع ركعـتين ، يُقْبِلُ عليهمـا بقلبـه ووجهـه ، إلا وجبـت لـه الجنة وغُفِر له))**[2] .

12 – من وافق تأمينُه تأمين الملائكة .

قال أبو هريرة (رضـى اللـه عنـه) : قـال رسـول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((إذا أمَّن الإمـامُ فأمِّنوا فإنه من وافق تأمينُه تأمينَ الملائكـةِ غفر له ما تقدم من ذنبه))**[3] .

13 – السجود .

قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : **((إنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك اللهُ بها درجـة ، وحطَّ عنك بها خطيئة))**[4] .

14 – الذكر دُبُرُ كل صلاة .

عـن أبـى هريـرة (رضـى اللـه عنـه) قـال : قـال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم : **((من سـبح الله فى دُبُر كلِّ صلاة ثلاثًـا وثلاثيـن ، وحَمـد الله ثلاثًا وثلاثيـن ، وكبَّـر اللـه ثلاثًـا وثلاثيـن فتلك تسع وتسعون وقال تمام المائة لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه، لـه الملـك ولـه الحمد ، وهو على كل شـىءٍ قـدير ، غُفـرت خطاياه، وإن كانت مثل زَبَد البحر))**[5] .

---

[1] () أخرجه مسلم (857) .

[2] () أخرجه أحمد 4/146، ومسلم (234) ، من حديث عقبة بن عامر ، رضي الله عنه .

[3] () أخرجه البخاري (780) ، ومسلم (410) .

[4] () أخرجه مسلم (488) من حديث ثوبان وأبي الدرداء ، رضي الله عنهما .

[5] () أخرجه مسلم (597) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

15 – قيام الليل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربةٌ إلى الله ، ومنهاة عن الإثم ، وتُكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد))**[1] .

16 – الصدقة .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : **((والصدقة تطفىء الخطيئةَ كما يطفىء الماءُ النارُ))** [2] .

17 – صيام رمضان .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : **((من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه))**[3] .

18 – قيام رمضان .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : **((من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه))**[4] .

19 – قيام ليلة القدر .

قال النبى عليه الصلاة والسلام : **((من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه))**[5] .

20 – صوم يوم عرفة .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : **((صوم يوم**

---

[1] () صحيح : رواه أحمد ، والترمذي ، والحاكم ، والبيهقي في سننه عن بلال ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 4079) .

[2] () صحيح : رواه أحمد في مسنده ، والترمذي والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 5136) .

[3] () متفق عليه .

[4] () متفق عليه .

[5] () متفق عليه .

عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة))[1] .

21 – صوم عاشوراء .

قال النبى صلى الله عليه وسـلم : **((... صـوم عاشوراء يُكفِّر سنة ماضية))**[2] .

22 – الحج المبرور .

قال النبى صلى الله عليـه وسـلم : **((من حـج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيــوم ولدته أُمُّه))**[3] .

وقال أيضًا : **((... وأن الحجَّ يهـدم مـا كـان قبله))**[4] . أي يهدم ما كان قبله من الذنوب .

23 – العُمْرة .

قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهمـا ...))** [5] .

وقـال أيضًـا : **((تابعوا بيـن الحـج والعمـرة فإنهما ينفيـان الفقـر والـذنوب كمـا ينفـى الكيرُ خبث الحديد))**[6] .

24 – مسح الحجر الأسود والركن اليمانى .

عن ابن عمرُ رضى الله عنهما قـال : قـال النـبى صلى الله عليه وسلم : ((**إن مسح الحجر الأسود والركن اليمانى يحطان الخطايا حطًّا ...**))[7] .

25 – الشهادة فى سبيل الله .

عـن المقـدام بـن معـديكرب (رضـى اللـه عنـه)

---

1 () رواه أحمد ومسلم والترمذي .
2 () رواه أحمد ومسلم والترمذي .
3 () رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .
4 () رواه مسلم في صحيحه عن عمرو بن العاص ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 1329) 1/283 .
5 () رواه مالك والبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة .
6 () تقدم تخريجه .
7 () صحيح : رواه أحمد في مسنده ، والترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 2194).

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((للشهيد عند الله ست خصال : يُغفر له فى أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويشفع فى سبعين إنسانًا من أقاربه))**[1] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين))**[2] .

26 – ذكر الله .

التسبيح : عن سعد (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟** » فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : « **يسبح مائة تسبيحةٍ فيُكتَبُ له ألف حسنة ، أو يُحط عنه ألفُ خطيئة))**[3] .

27 – قول سبحان الله وبحمده .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر))**[4] . وفى رواية : **((من قال حين يمسى وحين يصبح)) .**

28 – الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام .

عن أنس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله

---

[1] () رواه الترمذي (7/161) فضائل الجهاد ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وابن ماجه (2799) واللفظ له ، وأحمد (4/131) ، وصححه الألباني .

[2] () رواه مسلم (13/30) الإمارة .

[3] () صحيح : رواه مسلم ، وأحمد في مسنده ، والنسائي عن سعد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 2665) 1/520 .

[4] () رواه البخاري ومسلم ، وأحمد ، والترمذي ، وابن ماجه .

صلى الله عليه وسلم : **((من صلى علىَّ صلاة واحدةً ، صلى الله عليه عشرة صَلواتٍ وحُطَّتْ عنه عشر خطيئات ورُفِعتْ له عشر درجات))**[1] .

29 – كفارة المجلس .

عن جبير بن مطعم (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من قال : سبحان الله وبحمده ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك ، فقالها فى مجلس ذكر كانت كالطابع يُطبع عليه ومن قالها فى مجلس لغوٍ كانت كفارة له))**[2] .

30 – العفو عن الناس .

قال تعالى : **{ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ }** [النور] .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((كان رجلٌ يداين الناس فكان يقول لفتاه : إذا أتيت مُعسرًا فتجاوز عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنا ، فلقى الله فتجاوز عنه))**[3] .

31 – السهولة فى التجارة .

عن جابر (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((غفر الله لرجل ممن كان قبلكم ، كان سهلاً إذا باع سهلاً إذا**

---

[1] () صحيح : رواه أحمد في مسنده ، والبخاري في الأدب المفرد والنسائي ، والحاكم عن أنس ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 6359ـ 2/1088)، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، بدون قوله : « حطت ... » .

[2] () صحيح : رواه النسائي ، والحاكم وصححه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 6430).

[3] () رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والنسائي .

اشترى سهلاً إذا اقتضى))[1] .

32 – إماطة الأذى عن طريق المسلمين .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : **((بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوكٍ على الطريق فأخَّره فشَكَرَ اللهُ له فغفر له))** .

وفى رواية قال : **((لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين))**[2] .

33 – عيادة المريض .

عن على (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ما من رجلٍ يعودُ مريضًا ممسيًا إلا خرج معه سبعون ألفً ملك يستغفرون له حتى يصبح ، ومن أتاه مُصْبحًا، خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسى))**[3] .

34 – تغسيل المسلم وتكفينه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من غسَّل ميتًا فسَتَرَهُ ، سَتَرَه اللهُ من الذنوب ، ومن كفَّنه ، كساه الله من السندس))**[4] .

35 – من صلى عليه مائة عند موته .

عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ما من رجل يصلِّى عليه مائة إلا غُفِر له))**[5] .

36 – مصافحة المسلم أخاه .

---

1 () صحيح : رواه أحمد ، والترمذي ، والبيهقي في سننه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 4162) .

2 () رواه مسلم .

3 () صحيح : رواه أبو داود ، والحاكم ، وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع (رقم 5717).

4 () حسن : رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ، ورواه أيضًا ابن بشران وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم 6403) .

5 () صحيح: رواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 5716).

قال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم : **((إذا تصافح المسلمان ، لم تفـرَّق أكُفُّهمـا حـتى يُغْفَر لهما))**[1] .

37 – البلاء .

عن أبى سعيد وأبى هريـرة (رضـى اللـه عنهمـا) عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم قال : **((ما يُصـيبُ المسلم من نصبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَـزَن ولا أذَىً ولا غَمٍّ حتى الشَّوكَةَ يُشَاكُها إلا كَفَّرَ الله بها من خطاياه))**[2] .

النصب : أى التعب ، والوصب : أى المرض .

38 – المرض بالحُمَّى .

عن جابر (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لأم السائب - : **((لا تسُبِّى الحُمَّى ، فإنهـا تـذهب خطايـا بنـى آدَم كمـا يُذهِبُ الكيرُ خبث الحديد))**[3] .

39 – الصرع .

عـن أبـى أُمامـة (رضـى اللـه عنـه) قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((مـا مـن عبـد يصرعُ صرعةً من مرض ، إلاَّ بعثـه اللـهُ منهـا طاهرًا))**[4] .

40 – رحمة الحيوان .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنـه قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((بينمـا كلـب يُطيف**[5] **برَكيَّـةٍ**[6] **قـد كـاد يقتلـه العطـش إذ**

---

[1] () صحيح : رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 433) .

[2] () متفق عليه .

[3] () صحيح : رواه مسلم عن جابر ، والبخاري في الأدب المفرد ، وابن سعد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 7323) .

[4] () صحيح : رواه الطبراني في الكبير ، والضياء عن أبي أمامة ، وكذا رواه ابن أبي الدنيا ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 5743) .

[5] ( )يُطيف : يدور حول الشىء .

[6] ( )رَكِيَّة : وهى البئر ، و« الموقْ » : الخُفُّ .

رأته بَغِـيٌّ مـن بغايـا بنـى إسـرائيل فَنَزَعَـتْ موقها فاستقت لهُ بِهِ فسقته فغُفِر لها به)) [1] .

41- حُسْن الظن بالله تعالى .

قال تعالى فـى الحـديث القدسـى : **((أنا عنـد ظن عبدى بى ، وأنا معه حيث يذكرني))**[2] .

فمن ظن أنه يرحمه رحمه ، ومن ظـن أنـه يغفـر له غفر له .

عن ابن عباس (رضـى اللـه عنهمـا) قـال : قـال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم : **((قال اللـه تعالى : من علم أنى ذو قـدرةٍ علـى مغفـرة الذنوب ، غفرت له ولا أبالى ، ما لـم يشـرك بى شيئًا))**[3] .

فعلى العبد المؤمن المحب لربه أن يعرف جميل صفحه ويرجو عظيم عفوه وليقول بلسان حاله :

فلمـا قسـى قلـبى جعلـت الرجـا منـى
تعـاظمنى ذنـبى فلمـا قرنـتُه بعفـو ربـى كـان عفـوك أعظما

* * *

سابعًا : ليس كمثله شيءٌ في مغفرته

1- فمن يغفر من الناس إنما يغفـر أخطـاءً دون أخرى ، فقد يغفـر الصـغائر دون الكبـائر ويعفـو عـن القليل دون الكـثير وإذا غفـر ذنبًـا كـبيرًا قـد يتـذكره لصاحبه بعد حيـن فيـؤلمه ذلـك ويـثير عليـه أحقـاده وضغائنه مرةً أخرى ، وقد حدث مثـل هـذا لعمـر بـن الخطاب رضي الله عنه حين أسلم الرجل الذي قتل زيد بن الخطاب أخا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد كان يكره النظر إلى هذا الرجل ، أما اللّـه عـز

---

[1] () رواه البخاري ومسلم .

[2] () رواه مسلم (4/19) في الذكر والدعاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والبخاري في الأدب المفرد .

[3] () حسن : رواه الطبراني في الكبير ، والحاكم وصححه ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (رقم 4330) .

وجل فإنه يغفر الذنوب جميعًا مهما عَظُمَت كما سلف في الشرح .

2- قد يغفر الناسُ لمن أساء إليهم مضطرين إلى ذلك لمصلحة لهم عند من آذاهم أو خشية ممَّن ظلمهم أو لضعفٍ منهم .

أما اللَّه عز وجل فإنه يغفر عن عزة ، فقد أخبر اللَّه عن نبيه عيسى أنه قال: { **إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** } [المائدة : 118] .

ويعفو عن قدرة . قال تعالى : { **فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** } [النساء : 149].

3- قد يغفر الناس عن جهلٍ بعظيم الجناية التي ارتُكِبَت في حقهم ، فمنهم من لو علم مدى الإساءة من الجاني وتفاصيل معصيته ومكره به وترصده له لكي يظفر منه بلحظة غفلة كي يضره أو يسيء إليه أو علم ما كان يخفيه في صدره من خيانة وسوء طوية لما استطاع أن يغفر له أبدًا ، أما اللَّه عزَّ وجلَّ فإنه يعلم كل شيءٍ عن معصية العصاة الظاهر من أمرهم والباطن ، ومع ذلك فإنه يغفر ويرحم ويعفو ويتكرم ويتجاوز عما يعلم ، وقد قال تعالى : { **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** } [الملك : 13] ، لذلك عندما سمع الإمام أحمد بن حنبل رجلاً يقول :

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن اللَّهَ يغفل ساعة أو أن ما تُخفي عليه يغيب

فبكى رحمه اللَّه ودخل بيته وأغلق عليه الباب وهو يردد : « إذا ما خلوت الدهر يومًا ... » .

لذلك قد جاء من الدعاء : « **اللهم اغْفِرْ وارحم واعفو وتكرَّم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم** » .

4- قد يغفر العبد التقي لغيره ولكن هل يستطيع أن يمحو سيئات العاصي أو أن يُصلح حاله أو يزيد في حسناته ؟ كلا لا يفعل ذلك إلا اللَّه فإن اللَّه يعفو ويغفر ويمحو السيئات ، بل ويبدلها حسنات لمن حَسُنت توبته وخلصت نيته . قال تعالى : { **وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ** } [آل عمران : 135] ، لذلك حُق للمؤمنين التائبين أن يقولوا للّه :
{ **أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ** } [الأعراف : 155] .

ثامنًا : دعاء الله باسميه الغفار والغفور

1- عن شداد بن أوس (رضى الله عنه) عن النبى صلي الله عليه وسلم قال : **((سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوءُ لك بنعمتك علىَّ وأبوء لك بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . قال : ومن قالها فى النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة))**[1] .

2- وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته **((سبحان الله وبحمده ، استغفر اللهَ وأتوب إليه))**[2] .

3- وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنَّا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة : « **رب اغفر لي وتب عليَّ إنك**

---

[1] () رواه البخاري .
[2] () رواه أحمد البخاري ومسلم .

أنت التواب الغفور »[1].

4- عن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « **اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت** »[2] .

* * *

« الودود » تبارك وتعالى

المعنى اللغوي :

قال ابن سِيدَه : « الوُدُّ » : هو الحب يكون في جميع مداخل الخير ، ووَدِدْتُ الشيء أوده ، وهو من « الأمنية » وشدة التعلق بحدوث الشيء .

مثل قوله تعالى : { **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ** } [البقرة : 96] أي : يتمنى أن يعيش ألف سنة . وكقوله تعالى : { **يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ** } [المعارج : 11، 12] .

قال ابن العربي : اتفق أهل اللغة على أن المودة هي المحبة . قال تعالى : { **وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً** } [الروم : 21] . وجمع بينهما الأصفهاني فقال : « الوُدُ محبة الشيء وتمني كونه ، ويستعمل

---

[1] () رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

[2] () رواه مسلم .

في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الوُدِّ ؛ لأن التمني هو تَشَهِّي حصول ما تـوده »[1] .

ويأتي أيضًا بمعنى الملازمة مع التعلق ، وجاء منها « الودَدَ » بمعنى الوتد لثبوته ولشدة ملازمته للخمية وتعلقه بها ، وكان أصلها الودد ثم أضغمت الدالان .

الدليل الشرعي :

ورد هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم مرتين :

الأولى : في قوله تعالى : { **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ** } [هود: 90] .

الثانية : في قوله تعالى : { **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** } [البروج : 13، 14] .

معنى الاسم في حق اللَّه تبارك وتعالى :

قال ابن عباس : الودود : هو الرحيم . رواه علي بن أبي طلحة .

وقال البخاري : الودود : هو الحبيب .

قال الزجاجي فيه قولان ؛ **أحدهما :** أنه مفعول بمعنى فاعل كقولك : « غفور » بمعنى غافر ، وشكور بمعنى شاكر ، فيكون معنى الودود في صفات اللَّه عز وجل على هذا المذهب من أهل اللغة أنه تبارك وتعالى يودُّ عباده الصالحين ويُحبهم . **الثاني :** أنه فعول ، فتقديره أنه عز وجل مودود ؛ أي يوده عباده ويحبونه[2] .

وقد نطق القرآن بكليتهما وأثبتهما اللَّه لنفسه في كتابه وسنة رسوله . قال تعالى : { **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** } [المائدة : 54] .

قال ابن القيم رحمه اللَّه :

---

1 () مفردات ألفاظ القرآن (ص 360) .

2 () إشتقاق اسماء اللَّه (ص 152) .

وهــو الــودود يحبهــم أحبابه والفضل لمنان
وهو الذي جعل المحبة في قلوبهم وجــازاهم
هــذا هــو الإحســان لا معاوضـة ولا لتوقـع
لكن يُحِبُّ شَكُوَرهم لِلشكَران[1]

قـال السـعدي رحمـه اللَّـه : الـودود الـذي يحـب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه فهو أحب إليهـم مـن كـل شـيء قـد امتلئـت قلـوبهم مـن محبتـه ولهجـت ألسـنتهم بالثنـاء عليـه وانجـذبت أفئـدتهم إليـه وُدًّا وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه[2] .

قال الخطابي : وقد يكون معناه أن يوددهم إلــى خلقه كقوله جل وعز : { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُــوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَـنُ وُدًّا** }[مريـم : 96][3] .

وقيـل : « الـودود » : هـو المتحبـب إلـى أوليـاءه بمعرفته ، وإلـى الطـائعين بقربـه ، وإلـى المـذنبيين بمغفرتـه ، وإلـى التـائبين بقبـولهم وعفـوه عنهـم ، وإلى المتوكلين بكفايته ، وإلى المحسنين برحمتــه ، وإلى المتقيـن بنعمتـه ، وإلـى عامـة النـاس بعظيـم إفضاله وكثير إنعامه .

وقـد قيـل : هـو الـوادُّ لأهـل طـاعته ، والراضـي عنهم بأعمالهم والمحسن إليهم لأجلها والمادح لهــم بها .

ولله درُّ القائل :

ودود تحــب الخيــر وتثنـى عليهـم والثنـاء
ودود بلا ميــل ودود بلا فأنت غني عن سواك
لك الحمد مـن ترضـى عزيز ومـن لـم تـرض
ودود قريب من عبادك مفاتيح الغيب ما إليــه

---

1 () النونية .
2 () تفسير الكريم (5/302) .
3 () شأن الدعاء .

وقال الشيخ السعدي : « إن اللَّه يتودد إلى أولياءه وخواصِّ خلقه بمحبته لهم ووضع محبته في قلوبهم ، غرسها غرسًا ونمَّاها كما تُنَمى البذرةُ حتى تكون شجرة ، فسعدُوا بحبه في الدنيا وبقربه في دار نعيمه في الآخرة ، فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة ، إذ منه السبب ومنه المسبب ، فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد فتبارك الذي جعلها - أي تلك المحبة - وأودعها في قلوبهم ثم لم يزل ينميها ويقويها حتى وصلت في قلوب الأصفياء إلى حالة تتضائل عندها جميعُ المحابِّ ، وَتُسَلِّيهم عن الأحباب ، وتُهَوِنُ عليهم المصابَ ، وتُلَذِّذُ لهم مشقة الطاعات ، وتغنيهم عن محبة ما سواه »[4] .

ولسان حالهم يقول :

ليتك تعفو والحياه ... وليتك ترضى والأنام

ليت الذي بيني وبينك ... وبيني وبين العالمين

إذا صح منك الوُدُّ ... وكل ما فوق التراب

« **من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم** »

لهذا الاسم الكريم أثران عظيمان :

الأول : حب اللَّه لعباده المؤمنين وعلاماته وأسبابه .

الثاني : حب المؤمنين للَّه تعالى وعلاماته وأسبابه .

وسنحاول فيما يلي أن نتناولها ببعض التفصيل والشرح ، وسنبدأ - إن شاء اللَّه تعالى - بحب الخلق للَّه عز وجل ، تأدبًا مع اللَّه عز وجل وسعيًا إلى حبِّه ومرضاته ، عسى أن يجعلنا من أحبابه ومُحبِّيه .

أولاً : حب المؤمنين للَّه « عز وجل » وعلاماته :

أيها الأحبة ، إن الحبَّ لشيءٌ عجيب يودعه اللَّه قلوبَ الأصفياء من خلقه فتسعد به نفوسُهم ، وتهنأ

---

[4] () شرح النونية لابن القيم .

به قلوبُهم ، فتسهر لمناجـاته الجفـون ، وتبكـي مـن الشـوق إليـه العيـون ، فـالحب علامـة علـى سـلامة الفطرة ، ودليل على الحياة ، فالكائنـات مـن حولنـا تشعر وتحب فتدقُ بالحب قلوبُها وتتأثر بها نفوسها . وقبـل أن نبـدأ فـي حـبِّ المـؤمنين لربهـم نحـبُّ أن نتعرف على بعض هذه المخلوقات حـتى نعلـم مـاذا تعني كلمة الحب ، وإليك بعضًا من الصور المشـرقة من محبة تلك الكائنات ما أجملها وما أبلغها .

فانظر إلى الفرس العربي وهو مشـغول بحب صاحبه له ويدعو اللَّه عز وجل أن يُحَبِّبَه إلـى صـاحبه ، وذلـك فـي كـل يـوم ، فكـل أيـامه سـؤالاً للمحبة .

فعن أبي ذر رضي اللَّـه عنـه قـال : قـال رسـول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **إنه ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول : اللهم إنك خولتني من خـولتني مـن بني آدم فاجعلني من أحب أهله وماله إليـه** »[1] .

فالفرس العربي يحب صاحبه ويألفه ويفرح لقربه ويحزن لفقده . رُوي أن رجلاً اسمه الزعتري كان لـه فرس يحبه ويرعاه ، وكان يخلط له الشعير بالسكر ، فأحبه الفرسُ ، فلما مرض الزعتريُ أضـرب الفـرسُ عن الطعام ووقف عند باب الحجرة التي بهـا صـاحبه ولم يبرحه ، فلما مات الزعتري انطلـق الفـرس إلـى أحد الروابي فوق الجبل وألقى بنفسه ليلقى مصرعه حزنًا على صاحبه الذي أحبه[2] .

حتى الجماد والصخور تُحبُّ وتُحَبُّ :

فتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم عن جبل أُحد : « **هذا جبلٌ يحبنا ونحبه** »[3] .

---

1 () رواه الإمام أحمد في « مسنده » ، والنسائي ، والحاكم في « المستدرك » ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (2414) .

2 () من شريط دعوة للتأمل « للشيخ عائض القرني » .

3 () رواه البخاري .

اللَّه أكبر . الجبل يحب الخلق ، فكيف حبه لربِّ الخلق ! وقد بكى جذع النخل حبًّا لرسول اللَّه صلى الله عليه وسلم واشتياقًا إليه وإلى ما كان يسمع من ذكر اللَّه .

فعن جابر رضي الله عنه قال : كان جذع يقوم إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، يعني في الخطبة ، فلما كان يوم الجمعة قعد النبيُّ صلى الله عليه وسلم على المنبر ، **فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق** . وفي رواية : **فصاحت صياح الصبي فنزل النبيُّ صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمَّها إليه فجعلت تئنُّ أنين الصبيِّ الذي يُسَكَّتُ حتى استقرت** . قال : « **بكت على ما كانت تسمع من الذكر** »[1] .

تلك الكائنات تحب من أحبها وأحسن إليها ، فكيف باللَّه عز وجل سبحانه وبحمده تتابعت نعمه وزاد كرمه وفاض بره ، وأسبغ على خلقه نعمه ظاهرة وباطنة ، حتى عجزوا عن إحصاء آلائه ، فكيف يجب أن تكون محبتُه وكيف غفل عنه الغافلون وأعرض عنه العصاة والمذنبون ، جل جلاله وتقدست أسماؤه .

فأين البَشَر الذين لم تدق قلوبهم بحب اللَّه من هذه الكائنات ؟ فواللَّه إنها لأعقل منهم ، وإن الصخر لألين من قلوبهم فإنهم أناس قست قلوبهم ولو شبهناها بالحجارة لكان ذلك ظلمًا للحجارة .

وأصدق وصف لهم هو قول اللَّه عز وجل : { **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** } [البقرة : 74].

فكيف يعيش العبد بغير حُبِّ رازقهِ وخالقهِ وإلهه

---

[1] () رواه البخاري .

ومعبوده ؟ بل كيف يحيا دون أن يعرف إن كان اللَّـهُ يُحِبُّه أم لا . فإنه ليس بعـد الحـب إلا البغـض وليـس بعد النعيم إلاَّ الجحيم .

من أجل ذلك وَجَبَ على كل مَنْ كان لـه قلـب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يتعلم حبَّ اللَّه عـز وجـل يتعرَّف عليه ويسأل نفسه هل يحب اللَّهَ ؟ وهـل هـو صادق في ذلك ؟ وما علامات الحب الصادق للّه عـز وجل ، كذلك هل يحبه اللَّه أم لا ؟ وما علامـات حُـبِّ اللَّه له ؟ مـن أجـل ذلـك نحـن سـ نتناول هـذا ببعـض التفصـيل ، نبـدأ بحـب العبـد لربـه وعلامـاته وبـاللَّه التوفيق :

معنى حُبَّ المؤمنين لربهم تبارك وتعالى :

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى : لا يكــون العبد موحدًا صادقًا في حبه لله عـز وجـل إلا بأربعة شروط :

أولاً : « **أن يحـبَّ اللَّـه عـز وجـل حبًّـا مـن جنس حب العبادة المقرون بالذلة والخضوع والافتقار والطاعة المطلقـة** » . حبًّـا لا يشـابه أي حبٍ آخر ، حبًّا لا يشابه حب الشهوة للنسـاء ، ولا حب البِر للآباء ولا حُب الشفقة بالأبناء ولا حب الندِّية للأصدقاء ، بل يحبه تبارك وتعالى حب العابـد لربـه ، والمخلوق لخالقه ، والمملـوك لمـالكه ، والمـرزوق لرازقه ، حبًّا مقرونًا بالخشية ، قال تعالى : { **إِنَّهُـمْ كَانُوا يُسَـارِعُونَ فِـي الْخَيْـرَاتِ وَيَـدْعُونَنَا رَغَبًـا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** } [الأنبياء : 90] .

ثانيًا : « **أن لا يحب شيئًا مثله معه ، بل ولا تبقـى مثقـال ذرة مـن هـذا الحـب- أي حـب العبادة - إلا صرَفَها للّه وحده** » ، فلا يحب أحـدًا غير اللَّه عز وجل مثله في النوع ، وكذلك في الكمية فلا يحب أحدًا أكثر من اللَّه بل لا يحب أحدًا مثل اللَّه أصلاً حـتى وإن كـان حبُّـه لهـذه الأشـياء ليـس حـب العبادة . فمن فعل ذلك عرَّض نفسه لعقوبة اللَّه عز

وجل .

فقد قال تعالى : { **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** } [التوبة : 24] .

قال الحسن البصري : هذه أشدُّ آية في الوعيد لمن آثر شيئًا في المحبة على اللّه ورسوله والجهاد في سبيله .

ثالثًا : ألا يحب شيئًا غير اللَّه إلا من أجله . وهو الحبَّ في اللّه تبارك وتعالى .

رابعًا : أن يبغض ما يباعده عن اللَّه أشد من بغضه لأبغض الأشياء إليه وهي النار .

وقد جمع ثلاثة منها حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرءَ لا يُحبُّه إلا للّه وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه اللَّهُ منه كما يكره أن يقذف في النار** »[1] .

علامات محبة العبد لربه :

فإن الحب لا تخفى كالطيب يخرج من

اعلم أخي الحبيب وفقني اللَّه وإياك إلى ما فيه رضاه أن العبد لم يُخلق إلا ليحب اللَّهَ ويعبده وهناك علامات لذلك الحب تفرق بين الصادق والكاذب؛ لأن الإنسان قد يظن أنه يحب اللّه عز وجل وهو ليس كذلك ، وقد يظن أنه قريب من اللّه وهو منه بعيد . وللّه در القائل :

وكل يدَّعي حبًا لربي وربى لا يقر لهم بذاكا

---

[1] () رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه عن أنس .

إذا اشتبكت دموع في تبين من بكى ممن
فأما من بكى فيذوب وينطق بالكذب من

فكم من من غافل وهو يظن أنه من الذاكرين .
وكم من عاص وهو يظن أنه من الطائعين .
وكم من كفور وهو يظن أنه من الشاكرين .
وكم من جهول وهو يظن أنه من العالمين .

وكم من عبدٍ يدعوه اللّه عز وجل ليقلع عن ذنبه ويعود إلى ربه ويَنَعَم بحبه وهو معرض عنه ويظن أنه من المقبلين عليه المتقربين إليه وليس هذا إلا لأنه يحكم بهواه ويتبع الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءه من ربه الهدى . ويَصدقُ على هؤلاء قول القائل :

تطوى المراحلَ عن وتظل تبكيه بدمع
كذبتك نفسك لست تشكو البعاد وأنت

ولهذا وأمثاله نقول : أفق وأدرك ما فاتك ، فواللّه لو ضاعت منك الفرصة وانتهت حياتك وأنت على هذا لتكونن من الذين قال اللّه فيهم : { **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** } [الهكف : 103، 104] .

فأزل عن عينيك غشاوة المعاصي وعن قلبك حكم الهوى ، من قبل أن ينطبق عليك قول القائل :

أتترك من تحب وأنت وتطلبهم إذا بعد
تركت سؤالهم وهم وترجو أن تخبرك
فنفسك لُم ولا تَلَم ومتْ كمدًا فليس لك

فمن أحبَّ اللَّهَ حقًا ظهرت عليه علامات الحب ، فإن الحب في القلب ولكن تظهر آثاره على البدن كله .

فقد قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « **في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله**

وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب »[1] .

لذلك يكون حبُّ اللَّه عز وجل اعتقادًا بالجنان وقولاً باللسان وعملاً بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فمن هذه العلامات :

1- طاعة اللَّه وترك معصيته :

كما قال بعضهم :

تعصي الإله وأنت هذا وربي في القياس
إن كنت صادقًا في إن المحب لمن يحب

وقال آخر :

وكن لربك ذا حُب إن المحبين للأحباب

2- **اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء :**

بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه . قال تعالى : { **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** } [آل عمران : 31] .

قال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قومُ أنهم يحبون اللَّه فابتلاهم - أي امتحنهم - بهذه الآية : { **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** } [آل عمران : 31] .

وكانوا يسمونها آية المحنة[2] ، فإذا صدقوا في دعواهم واتبعوا رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم أحبهم اللَّه عز وجل ، وذلك أعظم لهم من أن يحبوه . قال بعض السلف : « ليس الشأن أن تُحِب ولكن الشأن أن تُحَب » .

أي ليس الشأن أن تُحِبَ اللَّهَ لأنه قد يكون حبُّك هذا ادعاء ولكن الشأن أن يُحِبَّك اللَّهُ لأن اللَّه لا يحب إلا الطيبين .

قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **إن**

---

[1] () أخرجه البخاري (52) ، ومسلم (1599) ، من حديث النعمان بن بشير ، رضي الله عنهما .

[2] () المحنة : الاختبار والامتحان .

اللَّه طيب لا يقبل إلا طيبًا »[1] .

3- حب القرآن :

قال رسول اللَّه صلى اللـه عليـه وسـلم : « **من سـرَّه أن يحـب اللَّـه ورسـوله فليقـرأ فـي المصحف** »[2] .

وقال ابن مسعود رضي اللَّـه عنـه : « **مـن كـان يحب أن يعلم أنه يحب اللَّـهَ فليعـرض نفسـه على القرآن ، فإن كـان يحـب القـرآن فهـو يحب اللَّهَ فإنما القرآن كلام اللَّه** » .

وكان ابن مسعود رضي اللَّـه عنـه إذا أُهـدي إليـه المصحف يفرح به ويقول كلام ربي كلام ربي .

وقال أيضًا : « **أطلب قلبك عند ثلاثة مواضع ؛ عنـد قـراءة القـرآن ، ومجـالس العلـم ، ووقت السحر ، فإن لم تجد قلبك فسل اللَّـهَ أن يَمُن عليك بقلبٍ فإنك لا قلبك لك** » .

وقال عثمـان بـن عفـان رضـي اللَّـه عنـه : « **لو طَهُرَتْ قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم** » .

وقال الفضيل بـن عيـاض : **كفى بـاللَّه حبيبًـا وبالقرآن مؤنسًا وبـالموت واعظًـا ومـن لـم يتخذ اللَّه صـاحبًا والقـرآن مؤنسًـا فلا آنـس اللَّه وحشته .**

وكان بعض المشايخ من محفِّظِي القـرآن يقسـم أنه عندما يقرأ القرآن يشعر بحلاوة العسل تنزل في ريقه : « اللهم ارزقنا حلاوة ذكرك يا كريم » . آمين .

4- الشوق إلى لقاء اللَّـه تبـارك وتعـالى ورؤيـة وجهه الكريم :

وَدِدْتُ أن جـــــوانجي مقلٌ تـراك ومـا لهـن
وَدِدْتُ دمـع الخـافقين حتى عزيز الدمع فيك
أخـي الكريـم ، هـل رأيـت حبيبًـا لا يحـب رؤيـة

---

[1] () أخرجه مسلم (1015) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[2] () حسن . رواه أبو نعيم في « الحلية » ، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود ، وحسنه الألباني في الصحيحة (2342) .

حبيبه ؟

فمن أحب أحدًا أحب رؤيته ؛ لذلك يبيت المؤمنون ويصبحوا وهَمُّهم الأكبر لقاء اللَّه ورؤيته . قال تعالى : { **مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** } [العنكبوت : 5] .

قال أبو عثمان الحيري : هذه تعزية للمشتاقين . معناه : إني أعلم أن اشتياقكم إليَّ غالب وأنا أَجَّلْتُ أجلاً وعن قريب يكون وصولوكم إلى ما تشتاقون إليه[1] . وهو لقائكم بي ورؤيتكم لي .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده من الشوق إلى لقاء الله عز وجل ما أذهب صبره على لقاء ربه الرحيم ورؤية وجهه الكريم حتى كان يسأل الله عز وجل ويدعوه به ويتمنى حدوثه ، فانظر إلى دعائه ورجائه صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول : « **وأسألك نعيمًا لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مُضِرَّة ولا فتنة مُضلة ، اللهم زينا بزينةِ الإيمان واجعلنا هداة مهتدين** »[2] .

وكان صلى الله عليه وسلم يفرح بالمطر ويتلقاه بثوبه ولما يُسئل عن ذلك يقول : « **إنه حديث عهد بربه** »[3] .

ومن أجل ذلك يكون أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية اللَّه عزَّ وجلَّ ، فإذا رأوه تضاءلت أمام رؤيته كل اللذات وشغلوا به عما سواه ، ولسان حالهم يقول :

ولو أن عيني إليك جاءت وفاتي ولم

---

1 () من كتاب « موارد الظمآن في محبة الرحمن » للدكتور سيد العفاني (ص 159) .

2 () أخرجه النسائي (1304، 1305) من حديث عمار رضي الله عنه .

3 () أخرجه مسلم (898) من حديث أنس ، رضي الله عنه .

وقال الشافعي رحمه اللَّه: «لو لم أعلم أني سأرى الله يوم القيامة لما عبدته ».

5- الحب في اللَّه والبغض في اللَّه :

ففيه حلاوة الإيمان ، وهو أوثق عُرى الإيمان : عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : « **ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان ؛ أن يكون اللَّهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** »[1] .

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **أوثق عُرى الإيمان الموالاة في اللَّه والمعاداة في اللَّه والحب في الله والبغض في اللَّه عز وجل** »[2] .

وبه كمال الإيمان .

قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **من أحب للَّه وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان** »[3] .

معنى الحب في اللَّه :

قيل : وحدُّ الحب في اللَّه : هو كل حب لولا الإيمان باللَّه واليوم الآخر لم يُتَصَوَّر وجودُه فهو حب في اللَّه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وقال يحيى بن معاذ : الحب في اللَّه لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء ، أي لا يزيد بأمرٍ من أمور الدنيا من الهدايا والعطايا وإنما يزيد بالطَّاعة والهداية ، ولا ينقص بالبُعد والجفاء وإنما ينقص بالمعصية

---

1 () سبق تخريجه .

2 () صحيح : رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس ، والطيالسي ، والحاكم ، والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن مسعود ، وأحمد ، وابن أبي شيبة ، وابن نصر عن البراء ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (4312) .

3 () صحيح : رواه أبو داود في الضياء المختارة عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في الصحيحة (رقم 380) ، وصحيح الجامع رقم (5965) .

والتقصير .

وقال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم : « **مـا توادَّ اثنان في اللَّه فيُفَـرَّق بينهمـا إلا بـذنب يحدثه أحدُهما** »[1] .

ولا يكون للأنساب والرحم : قال النبي صلى اللـه عليـه وسـلم : « **إن مـن عبـاد اللَّـه لعبـادًا يغبطهم الأنبيـاء والشـهداء قيـل : مـن هـم لعلنا نحبهم ؟ قال : هـم قـوم تحـابوا بـروح اللَّه على غير أموال ولا أنساب** »[2] .

وانظر إلى مصعب بن عميـر وكيـف كـان حبه في اللَّه .

ففي غزوة بدر أَسَرَ بلالُ بن رباح رضي الله عنـه أخا مصعب بن عمير رضي اللَّـه عنـه فـرآه مصـعبُ فقال لبلال : يا بلال شدَّ وثاق أسيرك ، فـإن لـه أمًّـا غنية ستفديه بمالٍ كثيرٍ . فقال له أخوه : أتقول هذا وأنـا أخـوك ؟ فقـال لـه مصـعب : **إن بلالاً أخـي دونك .**

أحق الخلق بالحبِّ في اللَّه :

أولاً : رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم :

قال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحـب إليه من والده وولده** »[3] .

وقال أيضًا : « **لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحـبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين** »[4] .

ثانيًا : أصحاب النبي صلى الله عليه وسـلم مـن المهاجرين والأنصار .

فقد قال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **آية الإيمـان حُـبُّ الأنصـار وآيـة النفـاق بغـض**

---

[1] () صحيح : رواه البخاري في الأدب المفرد عن أنس وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (637)، وصحيح الجامع رقم (5603) .

[2] () رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن .

[3] () صحيح البخاري رقم الحديث 14 (1/58) .

[4] () رواه مسلم .

الأنصار »[1] .

وقال أيضًا في الأنصار : « **لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق** »[2].

ثالثًا : حُبُّ آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **أحبوا اللَّه لما يغذوكم به من النعم وأحبوني لحبكم للّه وأحبوا أهل بيتي لحبكم لي** »[3] .

وحبُّهم يعني ودَّهم والحفاظ عليهم ورعايتهم وصلتهم ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **أذكركم اللّه في أهل بيتي ، أذكركم اللّه في أهل بيتي** »[4] . وليس كما يفعل عبَّادُ القبور بالطواف حول المقامات والقبور والنذر لها والنحر عندها فإن ذلك من الشرك الذي نهى عنه اللهُ ورسولُه ؛ لذلك قال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه لمن غالَى في حُبِّهم : « **احببتمونا حتى أصبح حبكم عارًا علينا** » .

6- الرضا بقضاء اللَّه وقدره :

فعن أنس رضي اللَّه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن اللَّه تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط** »[5] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - في ابتلاء الأنبياء والصالحين -: « **إن كان أحدهم ليُبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يحويها ، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم**

---

1 () متفق عليه .
2 () متفق عليه .
3 () رواه الترمذي .
4 () رواه مسلم .
5 () رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

بالرخاء »[1] .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن اللَّه عز وجل قال : « **إن عبدي المؤمن عندي بمنزلة كل خير يحمدني وأنا أنزع نفسه من بين جنبيه** »[2] .

7- حب الصلاة والشوق إليها :

سبحان من لو سجدنا على شبا الشوك
لم نبلغ العُشرَ مِنْ وَلاْ الْعَشَيْرَ ولاْ عُشْرًا
أنت الحبيب وأنت مِن لي سواك من

وقال تعالى : { **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ** } [المؤمنون : 1، 2]، وقال تعالى في وصفه لعباد الرحمن : { **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا** } [الفرقان] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **وجُعلت قرةُ عيني في الصلاة** »[3] . وكان يقول : « **يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها** »[4] .

وكان يصلي من الليل حتى تتورم قدماه ، ويقول : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا** »[5] .

وكان إذا نودي للصلاة خرج وترك أهله وولده . فعن عائشة رضي اللّه عنها قالت : **كان رسول الله** صلى الله عليه وسلم **يكون في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة**[6] .

---

1 () حديث حسن : أخرجه ابن ماجه .
2 () صحيح : أخرجه أحمد (ج 16/8473) .
3 () أخرجه أحمد 3/128، 199، والنسائي (3949) ، والحاكم 2/160، من حديث أنس ، رضي الله عنه . وقال الحافظ : إسناده حسن . وانظر التلخيص الحبير 3/116، وصحيح سنن النسائي (3680) .
4 () أخرجه أحمد 5/364، وأبو داود (4985) ، وانظر صحيح سنن أبي داود (4171) .
5 () أخرجه البخاري (1130، 4837) ، ومسلم (2819، 2820) ، من حديث المغيرة وعائشة ، رضي الله عنهما .
6 () أخرجه البخاري (676) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وربما ترك أحبَّ الناس إليه أيضًا من أجـل صـلاته بالليل .

عن عطاء قال : دخلت أنا وعبيد بـن عميـر علـى عائشة رضي اللّه عنها فقال عبيد بن عمير : حـدِّثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم ، فبكت وقالت : **قام ليلـة مـن الليـالي ، فقال : « يا عائشـة ، ذريني أتعبـد لربـي » . قـالت : قلـت : واللّـه إنـي لأحـب قربـك ، وأحب ما يسرُّك . قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي ، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجـره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض**[1] .

8- ذكر اللّه والإكثار منه :

وإذا ذكرتـــك كـــاد وأرقتنـــي أحـــزانٌ

فإذا ذكرتكِ صار كلـي وإذا سَمِعْتُ صار كُلَـي

قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : « **أحـب الأعمال إلى اللّـه أن تمـوت ولسـانك رطـب مـن ذكـر اللّـه** »[2] . وقـال أيضًـا : « **سـبق المفردون** » . قالوا : ما المفردون يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون اللّه كثيرًا والذاكرات »[3] .

وقال صلى الله عليـه وسـلم : « **وعليـك بـذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض** »[4] .

أخـي الحـبيب : إن اللّـه يـذكر المـؤمنين ولا

---

1 () صحيح : رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم » ، وابن حبان ، وصححه الألباني .

2 () حسن : رواه ابن حبان ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » ، والطبراني في « الكبير » ، والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (165) .

3 () رواه مسلم ، والترمذي .
المفردون : الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا هم يذكرون الله . قال ابن الأعرابي : فرَّد الرجل إذا تفقَّه واعتزل الناس بمراعاة الأمر والنهي .

4 () حسن : رواه أحمد عن أبي سعيد ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (2543) .

ينساهم ، فكيف ينساه المحبون الصادقون في حبهم . قال تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** } [الأحزاب : 42، 43] .

فإذا ذكرته ذكرك مرة ثانية ، قال تعالى في الحديث القدسي : « **أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم** »[1] .

وقال تعالى : { **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** } وقيل : ليس العجب قوله: « فاذكروني » ، ولكن العجب كلّه من قوله : « أذكركم ».

أخي الحبيب : هل تعلم أنه ما من شيء في هذا الكون إلا يحب اللّه ويذكره . قال تعالى : { **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** } ، وقال تعالى : { **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ** }، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما تستقل الشمس فيَبقى شيءٌ من خلق اللّه إلا سبَّح اللّهَ بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم** »[2] .

وقال تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ** } .

أخي الحبيب : هل سمعت نداء اللّه لك بأن لا يلهيك عنه شيء ؟ وما عسى أن تكون الإجابة ؟ إن إجابة هذا النداء لا تكون إلا بدمع العيون ورقة القلوب وحنينها إلى هذا الإله العظيم والربِّ

---

1 () متفق عليه .

2 () حسن : رواه ابن السني ، وأبو نعيم في الحلية عن عمرو بن عبسة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (5599) .

الكريم . وقل كالذي قال :

ما عنك يشغلني مالٌ نسيتُ باسمك ذكرَ

فلو وُشِّفِكَتْ دمائي في بها حروف اسمك لم

وانظر إلى المحبين الصادقين وكيف كان ذكرهم لرب العالمين .

رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم **لا يأتي عليه وقت إلا وهو ذاكر لربه ،** عن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت : « **كان رسول الله** صلى الله عليه وسلم **يذكر الله تعالى على كل أحيانه** »[1] .

حتى في النوم ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **يا عائشة إن عينَيَّ تنامان ولا ينام قلبي** »[2] .

أبو الدرداء يسبح مائة ألف تسبيحة في كل يوم :

عن أبي حلبس : قيل لأبي الدرداء ، وكان لا يفتر عن الذكر : كم تسبح في كل يوم ؟ قال : مائة ألف إلا أن تخطئ الأصابع[3] .

وانظر إلى أحمد بن حرب . قال زكريا بن دَلَّوَيْه : كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدي الحجام ليُحفى شاربه ، يسبح ، فيقول له الحجام: اسكت ساعة ، فيقول : اعمل أنت عملك ، وربما قطع من شفته وهو لا يعلم.

9- حبُّ الموت مع الراحة والعافية :

1- قال أبو عثمان النيسابوري : علامة الاشتياق حُبِّ الموت مع الراحة والعافية ، فإن يوسف حين أُلقي في الجُبِّ لم يقل : توفَّني وحين أُدخل السجن لم يقل توفني وحين مُكِّن في الأرض وأصبح من

---

1 () رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .

2 () رواه البخاري والنسائي ، ومالك ، وأحمد وأبو داود ، والطحاوي عن عائشة ، رضي الله عنها .

3 () إسناده صحيح : أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (3/500) .

الملوك وتمت له النعمة قال : { **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** } .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس اشتياقًا لربه فقد كان يتعجل لقاءه ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الناس وقال : « **إن اللّه خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله** » . قال : فبكى أبو بكر رضي الله عنه فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عن عبد خُير ، فكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم هو المخُير وكان أبو بكر رضي اللّه عنه أعلمنا[1] .

أبو الدرداء : كان من المشتاقين ، فيقول رضي الله عنه : أحبُّ الجوع والمرض والموت ، فقيل له : « إنك تحبَّ أشياء لا يحبها كثيرٌ من الناس ، فقال: **أنا إن جُعْتُ رقَّ قلبي ، وإن مرضت خفَّ ذنبي ، وإن متُّ قابلت ربي** ».

ومعاذ بن جبل : يستعذب الموت للقاء الله فيقول عند موته : « أخنق خنقك فوالله إني لأحبك » .

ورُوي أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت لما أتاه ليقبض روحه: « **هل رأيت خليلاً يميتُ خليله ؟ فأوحى اللّه تعالى إليه : قل له : هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله ؟ فقال : يا ملك الموت ، الآن فاقبض** »[2] .

وفي رواية أخرى : « **قال ملك الموت : يا رب ، إن عبدك إبراهيم جزع من الموت ، فقال : قل له : الخليل إذا طال به العهد**

---

1 () رواه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة رقم (3654-7/12) .

2 () قال ابن حجر في فتح الباري عند شرحه لحديث « من أحب لقاء الله ... » ذكر بعض الشراح : « أن إبراهيم عليه .... » فتح الباري (11/361) .

من خليله اشتاق إليه . فبلغه ، فقال : نعم يا رب ، قد اشتقت إلى لقائك ، فأعطاه ريحانة فشمها فقبض فيها »[1] .

وصفٌ جامع في المحبة

اجتمع الشيوخ في مكة - شرفها اللّه - فتذاكروا أشياءً في المحبة ، فقالوا للجنيد وكان أصغرهم سنًا : « هات ما عندك يا عراقي ، فأطرق رأسه ودمعت عيناه وقال : عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه ، متصل بذكر ربه قائمٌ ، بأداء حقوقه ، ناظرٌ إليه بقلبه ، أحرق قلبه نور هيبته ، وصفا شربه من كأس مودته، فانكشفت له صفات الجبار من أستار غيبه ، فإن نطق فبالله ، وإن تكلم فعن الله ، وإن سكن فمع اللّه ، فهو لله وبالله ومع اللّه ، فبكى الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيدٌ جبرك الله يا تاج العارفين » .

* * *

---

[1] () المصدر السابق ، قال ابن حجر : « ووجدت في المبتدأ » لأبي حذيفة إسحاق بن بشر البخاري أحد الضعفاء بسند له عن ابن عمر قال . فذكره .

حبُّ اللَّه لعباده الصالحين وعلاماته

أولاً : فضل حب اللَّه للمؤمنين :

قال بعض الصالحين : ليس الشأن أن تُحب ولكن الشأن أن تُحب ، أي ليس الأمر أن تظن أنك تحب اللَّه ، ولكن الشأن العظيم أن يحبك اللَّه ؛ لأن اللَّه لا يحب إلا من استحق ذلك الحُب .

ولحبّ اللَّه لعبده فضائل كثيرة ، بل الخير كله تابع لتلك المحبة .

فمن هذه الفضائل :

1- أحباب اللَّه هم الطيبون :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّه طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا** »[1] . فإن كان اللَّه لا يقبل إلا طيبًا فكيف يحب من لم يكن طيبًا .

2- إن اللَّه يدافع عن أحبابه :

قال تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** } ، وجعل لأولياءه النصيب الأعظم من هذا الدفاع ، فقال تعالى في الحديث القدسي : « **من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب** »[2] .

3- إن اللَّه لا يُعذِّب أحبابه :

قال تعالى : { **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ** } [المائدة : 18] .

قال ابن كثير رحمه اللَّه : « قال بعض الشيوخ لبعض الفقهاء : أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فلم يرد عليه ، فتلا عليه الشيخ هذه الآية: { **قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ** } ، وهذا الذي قال حسن وله شاهد في المسند للإمام أحمد أنه قال : مرَّ النبي عليه الصلاة والسلام في نفرٍ من أصحابه وصبي في الطريق ، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ ، فأقبلت تسعى

---

[1] () تقدم تخريجه .

[2] () رواه البخاري .

وتقول : ابني ابني ، وسعت فأخذته ، فقال القـوم : يا رسول اللَّه ، ما كانت هذه لتلقي ولدها في النـار ، قال فحفظهم النبي صلى اللـه عليـه وسـلم فقـال : « **لا والله ما يلقي حبيبه في النار** »[1] .

4- يحبـه جبريـل وأهـل السـماء « يحببـه إلـى خلقه » :

عن أبي هريرة رضـي اللـه عنـه قـال : أن النـبي صلى الله عليه وسلم قال : «**إذا أحبَّ اللَّه تعالى العبد نادى جبريل : إن اللَّه تعالى يحب فلانًا فـأحببه فيحبـه جبريـل فيُنَـادِى فـي أهـل السماء : « إن اللَّه يحب فلانًا فأحبوه فيحبـه أهـل السـماء ثـم يوضـع لـه القبـول فـي الأرض** »[2] .

ثانيًا : معنى محبة اللَّه للمؤمنين :

إن اللَّه طيبٌ غاية الطيب ، جميل غاية الجمـال ، كامل الصفات والنعوت غاية الكمال فإذا أحب أحـدًا فلا بد أن يكون جميلاً طيبًا فإن اللَّه عز وجل لا يحب كما يُحب الخلق بعضهم بعضًا فإن الخلق قـد يحـدث بينهم الحبُ لصلة النسب أو للهوى والدنيا ، أمَّا اللـه جلَّ جلالـه فلا يحـب بـالهوى ولا للـدنيا فإنهـا لا تـزن عنده جناح بعوضة فقد قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم : « **إن اللَّه لا ينظـر إلـى أجسـامكم ولا إلـى صـوركم ولكـن ينظـر إلـى قلـوبكم وأعمالكم** »[3] . فإذا أحبَّ اللَّـه أحـبَّ بـالحق ، وإذا أبغض أبغض بالحق . وللَّه درُّ القائل :

ودودٌ بلا ميـل ودودٌ بلا فأنت غنيٌ عن سواك

لـذلك نجـد أن حـب اللَّـه تبـارك وتعـالى لعبـاده مقرونًا بصفات طيبة وأعمال صالحة . قـال تعـالى :

---

1 () رواه أحمد في المسند عن ابن أبي عدي عن حميد عن أنس ، وتفرد به أحمد .

2 () متفق عليه .

3 () رواه مسلم .

{ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** } [البقـرة : 195] ، وقـال أيضًـا : { **إِنَّ اللَّـهَ يُحِـبُّ التَّـوَّابِينَ وَيُحِـبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** } [البقـرة : 222] ، وقـال أيضًـا : { **فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** } [آل عمـران : 76] ، وقـال أيضًـا : { **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** } [آل عمران : 159] ، وقال أيضًا : { **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** } [الصف : 4] .

وكـذلك بغضـه لا يكـون إلا للمعصـية والعصـاة والطغيان والطغاة ، قال تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** } [البقرة : 190] ، وقال تعالى : { **وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** } [البقـرة : 276] ، وقال تعـالى : { **وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** } [آل عمران : 140] .

ثالثًا : من أسباب حب اللَّه للعبد :

أولاً : اتباع النبي صلى الله عليه وسلم :

قـال تعـالى : { **قُـلْ إِنْ كُنْتُـمْ تُحِبُّـونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ** } [آل عمران : 31] .

الثاني : التقرب إلى اللَّـه جـل جلالـه بالنوافـل بعد الفرائض :

قـال تعـالى فـي الحـديث القدسـي : « **... وما تقـرب إلـيَّ عبـدي بشـيءٍ أحَـبَّ إلـيَّ ممـا افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلـيَّ بالنوافل حتى أحبَّه** »[1] .

الثالث : القرآن الكريم :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما أذِنَ للَّـه لشـيءٍ مـا أذن لنـبيٍّ حسـن الصـوت يتغنـىَّ بالقرآن يجهر به** »[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم بعـث رجلاً علـى سـرية وكـان يقـرأ لأصـحابه فـي صـلاتهم فيختـم بـ { **قُـلْ هُـوَ اللَّـهُ**

---

1 () رواه البخاري .

2 () متفق عليه ، ومعنى « أَذِن اللَّه » ، أي : استمع ، وهو إشارة إلى الرضا والقبول .

أَحَدٌ } ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك ؟** » فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « **أخبروه أن اللَّه يحبه** »[1].

الرابع : الحبُّ في الله ، والتجالس في الله ، ونحو ذلك :

قال تعالى في الحديث القدسي : « **وَجَبَتْ محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتباذلين فيَّ والمتزاورين فيَّ** »[2] .

وقال عز وجل : « **حقَّت محبتي للمتحابين فيَّ ، وحُقت محبتي للمتواصلين فيَّ وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ ، وحُقَّت محبتي للمتزاورين فيَّ وحقَّت محبتي للمتباذلين فيَّ المتحابين فيَّ على منابر من نور ، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء** »[3] .

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّه تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي ، يوم لا ظل إلا ظلي** »[4] .

الخامس : حبُّ الأنصار :

عن البراء قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبَّهم أحبه اللَّه**

---

1 () رواه البخاري (11/347، 348) رقم الحديث 7375 .

2 () رواه أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 4331) ، وتخريج المشاكاة 5011 .

3 () أخرجه أحمد والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك ، وصححه عباده بن الصامت ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 4321 .

4 () رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة .

ومن أبغضهم أبغضه اللَّه »[1] .

السادس : الزهد في الدنيا :

عن أبي العبَّاس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ، دُلني على عمل إذا عملته أحبني اللَّهُ وأحبني الناس ، فقال : « **ازهد في الدنيا يُحِبُّكَ اللَّهُ ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناسُ** »[2] .

السابع: قوة الإيمان :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى اللَّه من المؤمن الضعيف** »[3] .

الثامن : المداومة على العمل الصالح :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **أحبُّ الأعمال إلى اللَّه أدومها وإن قلَّ** »[4] .

التاسع : ثلاث خصال من حُسن الخلق :

« **إن اللَّه يحب العبد التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ** »[5] .

العاشر : أن يُعطيه الدين والإيمان :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « **إن اللَّه يُعطي الدنيا من يُحبُّ ومن لا يحبّ ولا يعطي الدِّينَ إلا لمن أحبَّ** »[6] **.**

وفي رواية : « **... ولا يُعْطِي الإيمانَ إلا من أحبَّ** » .

---

1 () متفق عليه .

2 () حديث حسن : رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة . قال الألباني : يتقوى الحديث بغير طريقه وبشواهد خرجتها في « الصحيحة » (944) .

3 () رواه مسلم .

4 () أخرجه البخاري (6464) ، ومسلم (783) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها .

5 () رواه مسلم : عن سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه ، والمراد بـ « الغِنَى » غنى النفس .

6 () أخرجه أحمد 1/387، والحاكم 2/447 . وصحح الحاكم رفعه ، وصحح الدارقطني الوقف .

الحادي عشر : إلتماس مرضاة اللَّه :

عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن العبد يلتمس مرضاة اللَّه عز وجل فلا يزال كذلك ، فيقول : يا جبريل ، إن عبدي فلانًا يلتمس أن يرضيني برضائي عليه . قال : فيقول جبريل عليه السلام : رحمة اللَّه على فلان ، وتقول حملة العرش ، ويقول الذين يلونهم حتى يقول أهل السماوات السبع ثم يهبط إلى الأرض** » ، ثم قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **وهي الآية التي أنزل اللَّه عليكم في كتابه** : { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** } [مريم : 96] ، وإن العبد ليلتمس سخط اللَّهِ فيقول اللَّه عز وجل : « **يا جبريل ، إن فلانًا يستسخطني ألا وإن غضبي عليه** » . فيقول جبريل : غضب اللَّه على فلان وتقول حملةُ العرش ويقول مَنْ دونهم ، حتى يقوله أهل السماوات السبع ثم يهبط إلى الأرض[1] .

الثاني عشر : هؤلاء الثلاثة يحبهم اللَّهُ ويضحك إليهم :

عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « **ثلاثة يُحبهم اللَّهُ ، ويضحك إليهم ، ويستبشر بهم : الذي إذا انكشفت فِئةٌ قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل فإما أن يُقْتَل ، وإما أن ينصره اللَّه عز وجل ويكفيه فيقول : انظروا إلى عبدي هذا كيف صَبَرَ لي بنفسه ؟ والذي له امرأة حَسَنَةٌ وفراش ليِّنٌ حسنٌ فيقوم من الليل ، فيقول : يَذَرُ شهوتَه ويذكُرُني ولو شاء رَقدَ ، والذي إذا كان في سفر وكان معه**

---

[1] () صحيح : أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (ج 10/272) .

ركب فسَهِرُوا ثم هجعوا ، فقام من السَّحَر في ضراء وسراء »[1] . فإن اللَّه عز وجل أحق من يجاهد في سبيله وأعظم من سُهِر من أجله ، وللَّه درُّ القائل :

سهر العيون لغير وبكاؤهن لغير فقدك

رابعًا : علامات محبة اللَّه للعبد :

كما أن حُبَّ المؤمنين لله له علامات تؤكده ، فإن لحبِّ الله لعباده علامات كذلك وهي كالبُشرى العاجلة لهم لتطمئن بها قلوبُهم ، وتسعد بها نفوسُهم فيا سعادة من وُفِّقَ وكانت فيه هذه العلامات أو بعضها ، ويا فرحة من أكرمه اللَّه بحبِّه وأسعده بقربه ، وسنذكر هنا بعض هذه العلامات :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **إن اللَّه تعالى قال : وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّهُ ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده الذي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأُعْطِينه ولئن استعاذني لأعيذنه** »[2] .

وفي هذا الحديث ذُكرت ستُ علامات لمحبة اللَّه لعبده :

1- كنت سمعه الذي يسمع به :

أي لا يسمع إلا ما يحبه الله ويرضاه كسماعه للدعوة إلى اللَّه ولكلام اللَّه ورسوله ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما أذن اللَّه لشيءٍ مثلما أذِن لنبي حسن الصوت يقرأ القرآن يجهر به** »[3] .

---

1 () حسن . أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (ج 2 ص 255) ، والترغيب والترهيب للمنذري (ج 1 ص 556) .

2 () رواه البخاري (11/341) مع الفتح .

3 () سبق تخريجه .

وكذلك لا يحب الاستماع إلى السوء من القول كالكذب والغيبة وغيرها فإن اللَّه لا يحب ذلك كقوله تعالى : { **لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ** } .

وكذلك يعرض عن اللغو والغناء المحرم ، قال اللَّه في عباد الرحمن : { **وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** } [الفرقان] ، وقد يكون سمعه الذي يسمع به أيضًا أن يرزقه الفراسة في الأقوال فيعرف ما تعنيه كلمات الحق أو كلمات الباطل فيعرف أصناف الناس من خطابهم ، كما قال تعالى : { **وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** } .

قال ابن كثير في هذه الآية : أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يُفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : « **ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أبداها اللَّه على صفحات وجهه وفلتات لسانه** » .

وفي الحديث : « **ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا كساه اللَّه تعالى جلبابها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر** »[1] .

وقد يعني بذلك أيضًا أن يكون حكمه على ما يسمع بشرع اللَّه تبارك وتعالى ، فالطيب ما كان في الشرع طيبًا ، والخبيث ما حكم عليه الشرع بالخبث مهما كان فيه تزيين الشيطان وإغرائه .

2- وبصره الذي يبصر به :

فَيُحِب النظر لآيات اللَّه الكونية مثل السماوات والأرض وما فيها أو الشرعية مثل كتاب اللَّه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ** } [آل عمران : 190].

---

[1] () انظر تفسير ابن كثير (ج 4 / 175) .

ولا يحب النظر إلى ما حرَّم اللَّه كأن يشاهد شيئًا من الباطل أو يحضره ، كما قال تعالى : { **وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ** } [الفرقان : 72] ، و« الزور » قيل : هو الشرك وعبادة الأصنام ، فلا يشهدونه ولا يحضرونه .

وقيل : هو أعياد المشركين ، وقال عمرو بن قيس : « هي مجالس السوء والخنا » . وقال محمد ابن الحنفية : « هو اللغو والغناء » .

وقال مالك عن الزهري : شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه كما جاء في الحديث : « **من كان يؤمن باللَّه واليوم والآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر** »[1] . اهـ .

وقد يكون ذا بصيرة فيما يراه من كثرة حفظه لنظره وبعده عن الحرام .

فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى بنور الله . فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : **ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيءٍ قط : إني لأظنه كذا إلا كان كما يظنُّ**[2] .

وقال شاه بن جاع الكرماني : « من عمَّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة ، وغض بصره عن الحرام وكف نفسه عن الشهوات واعتاد الحلال لم تخطئ فراسته » . وكان شاه هذا لا تخطئ له فراسة[3].

3- ويده التي يبطش بها :

أي لا تمتد يده إلا إلى ما يحب الله ويرضى كالتعاون على البر والتقوى ويكفها عما حرَّم اللَّه تعالى فلا يمس بها ما لا يحلُّ له كالنساء الأجنبيات أو يأخذ بها ما ليس له كحقوق الناس ولا تمتد بالأذى

---

1 () ابن كثير (ج 3 / 313) .
2 () رواه البخاري .
3 () من كتاب البحر الرائق للشيخ أحمد فريد .

كأن يضرب أو يظلم ، كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى اللَّه عنه** »[1] .

وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم النصيب من هذا الحب ، ولذلك فقد قالت عائشة رضي الله عنها : « **ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيءٌ قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيءٌ من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى** »[2] .

4- ورجله التي يمشي بها :

فلا يمشي إلى ما حرّم الله من الأعمال والأماكن ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **والرِّجل زناها الخُطا** »[3] .

ولا يتكبر في مشيته ، فإنها مشية يبغضها الله ورسوله ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مُرَجَّل رأسه يختال في مشيته ؛ إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة** »[4] .

ولكنه يسعى في الخير كالجهاد في سبيل الله ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **لغدوة في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها** »[5] .

أو المشي إلى المساجد ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **من غدا إلى المسجد أو راح**

---

1 () متفق عليه .
2 () رواه مسلم .
3 () رواه مسلم (16/205، 206- القدر) .
4 () متفق عليه ، مُرجَّل : أي مُمَشَّط ، يتجلجل : أي يغوص وينزل .
5 () رواه البخاري (6/13) الجهاد ، ومسلم (13/27) الإمارة .

أعدَّ اللَّه له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح »[6] .

5- وإن سألني أعطيته :

فأي أجر أعظم من هذا ، وأي جائزة هي أفضل من أن يعطيه اللَّهُ ما سأل، فمن ذلك ما أكرم اللَّه به أصحاب الكهف من الآيات العظيمة حين قالوا: { **رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** } ، وحين قال يونس عليه السلام : { **لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** } ، فقال تعالى : { **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ** } .

6- ولئن استعاذني لأعيذنَّه :

وإذا استعاذ بالله من شر فتنةٍ أو بطش ظالم أعاذه الله فمن ذلك :

حفاظته ليوسف عليه السلام حين راودته امرأة العزيزعن نفسه ، فقال : { **مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** } ، فأعاذه الله من ذلك .

وكفايته من بطش الطغاة لطفل أصحاب الأخدود ، فكلما أرادوا قتله قال : « **اللهم أكفنيهم بما شئت** » ، فيكفيه اللَّه وينجيه ويهلك أعداءه .

عصمته لعاصم بن ثابت من نجس المشركين . فقد قتل عاصم بن ثابت اثنين من المشركين يوم أحد ، فنذرت أمهما أن تقتل عاصمًا وتشرب في قحف رأسه الخمر وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة ، فلما غدرت هذيل بالمسلمين وأرادوا قتل عاصم بن ثابت قال : اللهم إني أحمي لدينك وأدافع عنه، فاحم لحمي وعظمي ولا تُظفِر بهما أحدًا من أعداء اللَّه . وقال أيضًا : اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم جسدي آخره . فلما

---

[6] () متفق عليه .

قُتل أحاط به الدَّبْر (وهو النحل والذنانير) فما استطاع أحدهم لمسه ، فقالوا : دعوه إلى الليل ، فبعث اللَّه الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به . فلما بلغ عمر بن الخطاب ما حدث قال : يحفظ اللَّه العبد المؤمن ، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا في حياته ، فمنعه اللَّه بعد وفاته كما امتنع في حياته[1] .

7- حُسن الخاتمة :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إذا أراد اللَّه بعبد خيرًا عسله قبل موته** ». قيل : وما عسله ؟ قال : « **يفتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضى عنه** »[2] .

وقال أيضًا : « **من أحب لقاء اللَّهِ أحبَّ اللَّهُ لقاءَه ، ومن كره لقاءَ اللَّهِ كره اللَّهُ لقاءَه** » .

فقالت عائشة رضي اللَّه عنها - أو بعض أزواجه -: إنا لنكره الموت ، فقال : « **ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوانِ اللَّه وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحبَّ لقاء اللَّه فأحب اللَّه لقاءه** »[3] .

ورُوي عن عائشة رضي الله عنها : « إذا أراد اللَّه بعبدٍ خيرًا قيَّضَ له قبل موته بعام مَلَكًا يُسَدِّدُه ويوفقه حتى يقال مات بخير ما كانَ ، فإذا حضر ورأى ثوابه اشتاقت نفسه ، فذلك حين أحبَّ لقاء اللَّهِ وأحب اللَّهُ لقاءَه »[4].

ليس كمثله شيء في محبته[5] :

فكل من أحب غير اللَّه فنسأله بعض الأسئلة

---

1 () انظر كتاب الجزاء من جنس العمل (2/42، 43) بتصرف .

2 () أخرجه أحمد 5/224، وابن حبان (342، 343) ، والحاكم 1/340، من حديث عمرو بن الحمق ، رضي الله عنه ، وصححه الحاكم .

3 () رواه البخاري (11/357) .

4 () ذكره الحافظ ابن حجر ، فقال : عند عبد بن حميد عن عائشة مرفوعًا . انظر « فتح الباري » (11/359) .

5 () انظر معنى محبة العبد لربه ومعنى محبة اللَّه لعباده المؤمنين .

ومن إجابته عليها سيعلم الفرق بين حب اللَّـه وحُـب غيره :

- هل عَلِم من تحبه أنك تحبه وكم تحبه ؟

- هل إذا علم محبتك له بَادَلَكَ المحبة وأحبك هـو أيضًا ؟

- هل إذا أحبَّك من تحب تضـمن ثبـاته علـى ذلـك الحب وألا يتقلب عليك قَلْبُه ويتحول عنك حُبُّه ؟

- وهل إذا أحبَّـك تضـمن ألا ينافسـك فـي محبتـه غيرُك فينصرف عنك ويهجرك ؟

- وإذا ضمنت ذلك كلـه هـل تضـمن بقـاءَه معـك لتنعم بحبه وتهنأ بقربه ؟

الإجابة عـن هـذه الأسـئلة بكلمـة واحـدة وهـي : « لا » .

فلا تتوافر هذه الشورط إلا في حبِّ اللَّـه وحـده ، فمن ذلك :

1- فإنه يعلم محبتـك لـه وكـم تحبـه مـن غير أن تتكلم فإنه يعلمها من قلبك فإنه عليم بذات الصـدور .

2- ولا نقول أن اللَّه عزَّ وجلَّ يبادل الناس المحبة ، إنما نقول أن اللَّه تبارك وتعـالى يحـب أحبـابه قبـل حبهم له ، قـال تعـالى : « يحبهـم ويحبـونه » ، فقـدَّم محبتَه لهم على محبتهم له .

3- وحبُّ اللَّه للخلـق لا يغيـره شـيء إلا أن يغيـر العبد ما بنفسه تجاه ربه فينقض عهـده ويـترك وُدَّه ، قال تعالى : { **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّـرًا نِعْمَـةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّـى يُغَيِّـرُوا مَـا بِأَنْفُسِـهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** } [الأنفال : 53] .

وجاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنـه أنـه قال : « **ما من قوم كانوا على ما يغضـب اللَّـهَ فتحولوا عنه إلى مـا يرضـيه إلا حـوَّلهم اللَّـه مما يغضبهم إلى ما يرضيهم ، وما مـن قـوم كانوا على ما يُرضى اللَّه عـز وجـل فتحوَّلـوا**

عنـه إلـى مـا يغضـبه إلا حـوَّلهم اللَّـه ممـا يرضيهم إلى ما يغضبهم » .

4- وكثرة المتنافسين على حـب اللـه لا تزيـدهم عنده إلا محبة لهـم ورضـا عنهـم ولا يشـغله بعضـهم عن بعـض فـإن الطريـق إلـى اللَّـه يتسـع لهـم كلمـا تنافسوا فيه .

5- حبُّ اللَّه لأحبابه باقي لا يفنـى إذا مـاتوا علـى ذلك فهـو معهـم فـي الـدنيا وفـي القـبر وفـي الـدار الآخرة ، فقد قال جبريل عليـه السـلام للنـبي صـلى الله عليه وسلم : « **عش ما شـئت فإنـك ميـت ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به ، وأحبب مـن شئت فإنك مفارقه ...** »[1] .

وصدق من قال :

ومن كـانت لغيـر اللَّـه خلتـه فخليلـه منـه علـى خطر

* * *

---

[1] () أخرجه الطبراني في الأوسط (4278) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (1/431) : إسناده حسن .

دعاء اللَّه باسمه « الودود » جل جلاله وتقدست أسماؤه

فإن الحبَّ وحيٌّ وإلهامٌ لا يأتي به إلا اللـه ، فمـن أراده على الحقيقـة سـأل اللـهَ عـز وجـل أن يرزقـه إياه ، وتأمل أخي الحبيب هذا الدعاء لنـبي اللـه داود عليه السلام ، وانظر ماذا كان يسأل :

1- عن أبي الدرداء رضـي اللـه عنـه قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كان من دعاء داود عليه السلام : اللهم إني أسألك حُبَّـك ، وحُبَّ من يُحبُّك ، والعملَ الذي يُبَلِّغني حُبَّك : اللهم اجعـل حبـك أحـبَّ إلـيَّ مـن نفسـي ، وأهلي ، ومن الماء البادر** »[1] .

2- **فقد علَّم اللَّه نبيه محمدًا** صلى الله عليه وسلم **أن يسأله حبَّه وحبَّ من يحبه** . فعن معاذ بن جبل رضي الله عنـه قـال : أن النـبيَّ صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال : « **إن اللَّـه قـال لـه : قـل : اللهـم إنـي أسـألك فعـل الخيـرات وتـرك المنكرات وحـب المسـاكين ، وأن تغفـر لـي وترحمنـي ، وإذا أردت فتنـة قـوم فتـوفني غير مفتون ، أسألك حبك وحب مـن يحبـك ، وحب عمل يقرب إلى حبك** »[2] .

أحب الكلام إلى الله ورسوله :

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : « **كلمتان خفيفتـان علـى اللسـان ، ثقيلتـان فـي الميـزان ، حبيبتـان إلـى الرحمـن : سـبحان اللـه**

---

[1] () رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن ، وقال الشيخ الألباني : قلتُ . كذا قال الترمذي : وفيه نظر ظاهر ، فإن في سنده عبد الله بن ربيعة الدمشقي وهو مجهول كما قال الحافظ .

[2] () أخرجه الترمذي (ج55/3235) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل - وهو الإمام البخاري - عن هذا الحديث فقال : حديث حسن صحيح .

وبحمده ، سبحان الله العظيم »[1] .

2- وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبرك بأحبِّ الكلام إلى الله ؟ إن أحـبَّ الكلام إلـى اللـه : سـبحان اللـه وبحمده »[2] .

* * *

تحم بحمد اللَّه وتوفيقه الجزءُ الأول من سلسلة « النور الأسنى في شرح أسماء اللَّه الحسنى » .
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .
وموعدنا مع الجزء الثاني ، إن شاء اللَّه تبارك وتعالى .

موضوعات الكتاب

تقديم الكتاب
المقدمة
الباب الأول: من فضائل الأسماء الحُسنى
الأُولى: الأسماء الحسنى من أعظم أسباب دخول الجنة
الثانية: الأسماء الحسنى تعرِّفك باللَّه عزَّ وجلَّ
الثالثة: الأسماء الحسنى أصل عبادة اللَّه تبارك وتعالى
الرابعة: الأسماء الحسنى أعظم الأسباب لإجابة الدعاء

---

[1] () متفق عليه .
[2] () رواه مسلم .

الخامسة: إن اللَّه يحب من أحب أسمائه الحُسنى
السادسة: دعاء اللَّه باسمائه الحسنى أعظم أسباب تفريج الكروب وزوال الهموم
السابعة: الأسماء الحسنى أصل كل شيء
الثامنة: معرفة اللَّه باسمائه وصفاته هي أصل خشيته تبارك وتعالى
التاسعة: من عرف الأسماء الحسنى كما ينبغي فقد عرف كل شيء
العاشرة: حسن الظن باللَّه عزَّ وجلَّ
الحادية عشرة لا يضر مع اسم اللَّه شيء
الثانية عشرة : الأسماء الـحُسنى وأثرها في الحلال والحرام
الثالثة عشرة: العلم بأسماء اللَّه الحسنى أعظم العلوم وأشرفها
الرابعة عشرة: بركة الأسماء الحسنى في المعيشة
الخامسة عشرة: بركة الأسماء الحسنى تلحق الذرية
السادسة عشرة: أسماء اللَّه سبب للشفاء
السابعة عشرة: النجاة من الوسوسة
الباب الثاني: قواعد الأسماء الحسنى
القاعدة الأولى: أسماء اللَّه تعالى كلها حسنى
القاعدة الثانية: أسماء اللَّه توقيفية
القاعدة الثالثة: ليس كمثله شيءٌ
القاعدة الرابعة: الأسماء الحسنى ليست أعلامًا فقط ولكنها تحمل معاني وصفات
القاعدة الخامسة: باب الصفات أوسع من باب الأسماء
القاعدة السادسة : الأسماء الحسنى لا تزيد ولا تنقص
القاعدة السابعة: هل حُصرت الأسماء الحسنى بعدد معين ؟
الباب الثالث: أربعة تنبيهات هامة
الأول: إحصاء الأسماء الحسنى«معناه أنواعه»

الثاني: الإلحاد في الأسماء الحسنى«معناه أنواعه»
الثالث: دعاء اللَّه بأسمائه الحسنى«معناه أنواعه»
الرابع: النهي عن التسمي بأسماء اللَّه وتغيير الاسم من أجل ذلك
الباب الرابع:«شرح الأسماءُ الحُسنى»
1، 2«الرحمن الرحيم»
الفرق بين الاسمين
ربكم ذو رحمة واسعة
إن للَّه مائة رحمة
الرحمة بيد اللَّه وحده
اللَّه سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الأم بولدها
فانظر إلى آثار رحمة اللَّه
القرآن والإسلام من رحمة اللَّه
ندائه في الثلث الأخير من الليل ليرحم عباده
تقربه إلى خلقه وذكره لهم
صبره جلَّ جلاله على الأذى من خلقه
رحمته بالتائبين
صلاته على المؤمنين
النجاة من النار ودخول الجنة بشفاعة أرحم الراحمين
رحمته بالمخلوقات الضعيفة
ليس كمثله شيءٌ في رحمته
لا تقنطوا من رحمة اللَّه
من أسباب الحرمان من رحمة اللَّه تبارك وتعالى
1- من لا يَرحم لا يُرحم
2- تعذيب الناس
3- تعذيب الحيوانات
4- الاختلاف والفُرقة
من أسباب رحمة الخلق
طاعة اللَّه ورسوله
صلة الرحم
التماس مرضاة اللَّه
الصبر

رحمة الناس
الجماعة رحمة
دعاء اللَّه باسميه«الرحمن، الرحيم»
3، 4، 5«الملك المالك المليك»
لا ملك إلا اللَّه
فعالٌّ لما يريد
ذلَّ الملوك بين يدي ملك الملوك
احتجاب اللَّه عنهم يوم القيامة
يأتون إلى اللَّه مغلولة أيديهم إلى أعناقهم
يحرمون الشفاعة
لا يدخلون الجنة
هم أشد الناس عذابًا
لمن الملك اليوم ؟
النهي عن التسمية بملك الملوك
النبيُّ عليه الصلاة والسلام يترك المُلكَ تواضعًا لله
ليس كمثله شيءٌ في ملكه
دعاء اللَّه بهذه الأسماء الكريمة
6- القدوس جلَّ جلاله
القدسية التامة لله وحده من جميع الوجوه
تقدس عن الشركاء والأنداد والزوجة والولد
تقدس عن كل نقص وعيب«الموت، والنوم، والكذب...»
التقديس الحق لله تعالى يكون بشرعه
ليس كمثله شيءٌ في قدسيته
دعاء اللَّه باسمه القدوس
7- «الغني» جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه
لا يوصف بالغنى المطلق إلا اللَّه
غني عن كل ما سواه
أنتم الفقراء إلى اللَّه
فقر العباد إلى اللَّه عز وجل فقران
ليس كمثله شيء في غناه
وأنه هو أغنى وأقنى
من أسباب الغنى«هؤلاء يغنيهم اللَّه»

من أسباب الفقر«هؤلاء يفقرهم اللَّه»
8- «الوهاب» تبارك وتعالى
الوهاب على الحقيقة هو اللَّه وحده
دعاء اللَّه باسمه الوهاب
ليست الهبة مجرد العطاء
شكر اللَّه على هباته
الرضا بالعطاء
الصبر على فقد النعم
ليس كمثله شيءٌ في هباته
9، 10، 11 العلي الأعلى المتعال
وجوب الإيمان بالعلو المطلق لله تبارك وتعالى من كل الوجوه
النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي اللَّه عنهم يؤمنون بأن اللَّه في السماء
ثبوت الإيمان لمن آمن بعلو اللَّه تبارك وتعالى
التواضع وذم التعالي
ما علا شيءٌ من الدنيا إلا وُضع
إن اللَّه يحب معالي الأمور
الإخلاص
من أسباب العلو
1- العلم والإيمان
2- القرآن الكريم
3- التواضع
4- الشهادة في سبيل الله
ليس كمثله شيءٌ في علوه
12- «الواسع» تبارك وتعالى
معنى الاسم في حق الله
العلم بأن اللَّه هو الواسع الحق
الواسع في رحمته مغفرته
الواسع في علمه
الواسع في شرعه
من عبادة الله باسمه الواسع
الفرار بالدين من الفتن

الإنفاق في سبيل الله
الصبر هو أوسع الرزق
حبُّ اللّه وطاعته هما أوسع الفضل
المعصية والتنطع هما أعظم أسباب الضيق
دعاء اللّه باسمه الواسع
13- الشافي جل جلاله وتقدست أسماؤه
لا شافي إلا اللّه
المرض جندي من جنود الله
المرض رحمة بالمؤمنين
من المرضى من له أجر الشهداء
المرض عذاب لمن عصى اللّه ورسوله
الفحشاء والظلم سبب للعقوبة بالأمراض
صور لمن عوقبوا بالأمراض«أبو لهب الأسود بن يغوث غلام أحمد القادياني»
ومن أهل جهنم من يُعذب بالأمراض
تدووا يا عباد الله
قد يكون الشفاء من الابتلاء
ليس كمثله شيء في شفائه
من أسباب الشفاء
دعاء اللّه باسمه«الشافي» تبارك وتعالى
دعاءٌ للعافية
وكلمات من قالها لم تطعمه النار
14، 15 الغفور، الغفار، جل جلاله وتقدست أسماؤه
لا يغفر الذنوب إلا الله:
إن ربك واسع المغفرة:
إن اللّه يغفر الذنوب جميعًا:
ستر الله على عباده
إن الله يحب التوابين ، ويفرح بهم ، ويضحك إليهم
ويُسخِّر لهم مخلوقاته
ويغضب على من قنط الناس من رحمته
المسارعة للتوبة
من علامات المغفرة
من موانع المغفرة

من أسباب المغفرة
ليس كمثله شيء في مغفرته
دعاء الله باسمايه الغفار والغفور
16- الودود
الودود« هو الحبيب »
حب المخلوقات لله
معنى حب المؤمنين لله
من علامات حب العبد لربه
1- طاعة الله وترك معصيته
2- اتباع النبي عليه الصلاة والسلام
3- حب القرآن
4- الشوق إلى لقاء الله ورؤية وجهه الكريم
5- الحب في الله والبغض في الله
أحق الناس بالحب في الله
6- الرضا بالقضاء
7- حب الصلاة والشوق إليها
8- الإكثار من ذكر الله
9- حب الموت مع الراحة والعافية
وصف جامع في المحبة
حب الله لعباده الصالحين
أولًا : فضل حب الله للمؤمنين
إن الله لا يعذب أحبابه
يحبه جبريل وأهل السماء
ثانيًا : معنى محبة الله للمؤمنين
ثالثًا : من أسباب حب الله للعبد
التقرب إلى الله« تعالى » بالنوافل بعد الفرائض
القرآن الكريم
حب الأنصار
الزهد في الدنيا
صفات يحبها الله ويحب أصحابها
هؤلاء الثلاثة يحبهم الله
رابعًا : من علامات محبة الله للمؤمنين
ليس كمثله شيء في محبته

دعاء الله باسمه« الودود » تبارك وتعالى
أحبَّ الكلام إلى الله